كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

دنيا الصحافة

محسن محمد



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : كمال النجمى

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KITAB ALHILAL

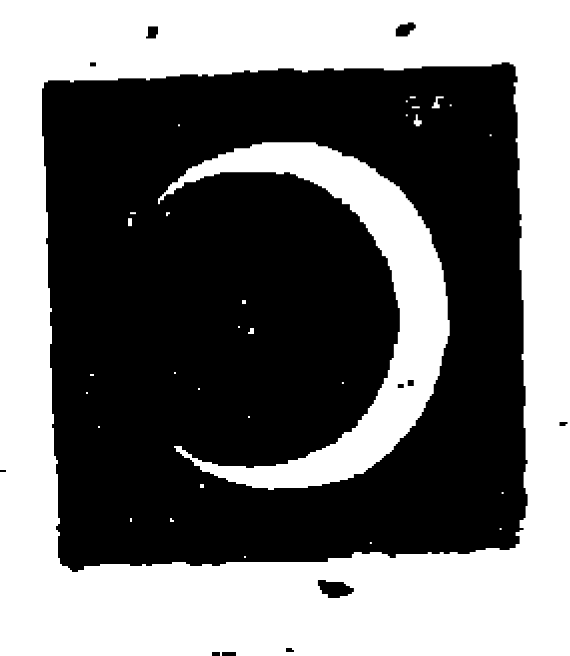
العدد ٣٩٤ – ذو الحجة ١٤٠٣ – أكتوبر ١٩٨٣

No. 394 October 1983

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى – ١٢ عددا – فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى • وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان خمسة جنيهات مصرية او مايعادلها بالعملات الحرة بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادى وعشرون دولارا بالبريد الجوى والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج • م • ع • بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب •

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــــلاف بريشــــــة
الفنانة سميحة حسنين

محسن محمد

دنيا الصحافة

دار الهلال

صحفي.. يحطم الصخور

اعتزل الصحفى العجوز العمل وترك صحيفته لابنه يديرها وهو ، بعد ، فى سن الخامسة والعشرين .

ولم تكن للابن خبرة أبيه ، أو تجاربه ، فأراد ان يفرض رايه على أحد الصحفيين الكبار فى الصحيفة اليومية ، ولكن الصحفى عارض ، واعترض واصر على وجهة نظره .

وكان على المالك الشـــاب أن يتراجع ، أو يطرد الصحفى ..

.. ولأنه شاب فقد فصل الصحفى الكبير من عمله ..

وعندما عرف مدير الجريدة ذلك أسرع الى الشـــاب يقول :

ــ هذا الكاتب لا يمكن الاستغناء عنه .. ابدا .

قال الشاب :

ــ لا أعتقد ذلك فلا توجد صحيفة تعتمد على رجل واحد .

رد المدير :

ــ ومن قال انها تعتمد على ذلك الكاتب .. هناك

١٢ كاتبا ومحررا ومندوبا لا نستطيع اصدار الصحيفة، بدونهم ، أبدا .

قال الشاب :

ــ أريد قائمة بأسمائهم .

أسرع المدير يكتب أمام الصحفى أسماء الرجال ..

وأمسك المالك الشاب القائمة ثم وقع بامضائه على قرار يقول :

« يفصلون جميعا » .

فقد أراد المالك الشاب أن يقول للجميع أن صوته وحده ، ورأيه وحده ، يسود الصحيفة ويقرر مصيرها .

أما المالك الشاب فهو « جيمس جوردون بنيت » .

واما الصحيفة فهى « نيويورك هيرالد » التى تصدر فى نيويورك .. طبعا !

والى هذا المالك .. والى هذه الصحيفة التى تهتم بالأخبار المثيرة والفضائح ، والتى اكتسبت أسوأ سمعة فى صحافة أمريكا كلها .. جاء شاب يسعى .

وكان تاريخ القادم يعادل تاريخ الصحيفة ويماثلها فى ماضيه .

***

طفل غير شرعى .

ولد فى ويلز بانجلترا .

وتنكرت له أمه فعهدت به الى بعض أقاربها .

عمل فى مصنع ، وفى سن الخامسة عشر فر الى مدينة ليفربول ليعمل خادما على سفينة نقلته الى أمريكا حيث تنتظره مفاجآت أضخم .

تبناه رجل وأعطـاه اسمه ، ولـكن هذا الأب مات فجأة ، فعاد الشاب الى الضياع مرة أخرى .

اشترك ـ جنديا ـ فى الحرب الاهلية الامريكية .. وانتقل بحارا الى السفن التجارية وعاد للبحرية الامريكية ثم تركها ليشتغل بالصحافة أثناء التوسع فى الغرب الامريكى .

وسافر مغامرا الى تركيا وزار أمه مرتين فى ويلز ولكنها تنكرت له .

وأخيرا قرر أن يشتغل بالصحافة ويتفرغ لهـــا .. واختـــار ـ وعمره ٢٥ سنة ـ صحيفة نيويورك هيرالد ميدانا لنشاطه الجديد .

وقدم نفسه الى « جيمس جوردون بنيت » المالك الشاب .

أما الصحفى فهو « هنرى مورتون ستانلى » .. وهو الاسم الذى اختاره له أبوه بالتبنى .

ولم يطلب أن يعمل فى أمريكا ، أو فى مكان ميلاده فى انجلترا ، أو تركيـــا التى زارها بل اختـــار الحبشة ..

قال لصاحب الجريدة :

ـ لن تدفعوا لى شيئا . سأسافر على نفقتى . عندى ٣٠٠٠ .. دولار جمعتها من أعمالى السابقة .. ولكن ادفعوا لى ثمن ما ينشر .

.. وبالمناسبة كان الجنيه المصرى يعادل ٥ دولارات فى ذلك الحين !

ووافق صاحب الصحيفة فالصفقة بالنسبة اليه ليست خاسرة ..

.. وكانت الحبشة فى منتصف عام ١٨٦٧ عالما آخر .. لا يهم أمريكا فى قليل أو كثير ولـــكن ما دامت الصحيفة غير ملتزمة الا بنشر ما يعجبها ودفع الثمن الذى تراه فان الصفقة تعتبر مجزية !

***

استطاعت بريطانيا اخماد ثورة الهند بـ ١٥٠٠ رجل .

ودخلت حرب القرم فعاني الجيش البريطانى خسائر ادت الى اســـتقالة الوزارة وتعيين بالمرستون رئيســا للوزارة ...

وجاء دور الحبشة لتتحدى انجلترا التى وجهت اليها قوة تتألف من ٥٢٠ ضابطا و ١٣٫٦٠٠ جنديا و ١٦ الفا من القوات المعاونة و ١٦ ألف « بغل » و ٤٧٠٠ جمل و ٢٥٠٠ جواد و ٢٢ ألف راس من الماشية لطعام هذا الجيش .. وأخيرا أضخم الاساطيل .

***

استطاع « تيودور » عام ١٨٥٥ أن ينتصر على أعدائه فى الحبشة ووحدها وظل ١٢ عاما عليها كامبراطور .

وجاءت الارساليات تبشر بالمسيحية .

وتبادل الامبراطور والملكة فيكتوريا الرسائل والعلاقات الدبلوماسية وبعثت اليه الملكة بمسدسين هدية .

وفى عام ١٨٦٢ انصرف الامبراطور الى الخمر والنساء والاستبداد وقتل كل أعدائه حتى من كانوا بين افراد أسرته .. وأرسل الى الملكة فيكتوريا فى فبراير ١٨٦٣ يطلب منها استقبال مبعوثه الخاص .

وقال للملكة انه يريد معـــاونتها لأنه يستعد لقتـــال

الأتراك .. وكانت بريطانيا تؤيد الامبراطورية العثمانية وتخشى عليها من التمزق .

وتلقى اللورد راسل ـ وزير الخارجية ـ رسالة الامبراطور فأهملها ٦ شهور كاملة .

وضاق الامبراطور من تجاهل انجلترا لمبعوثه فألقى بالقنصل البريطانى فى السجن .

وبعد ٣ شهور جاء الرد البريطانى غامضا ، مبهما ، ليس فيه شيء واضح عن نية الملكة فى استقبال مبعوث الامبراطور .

وعلى ذلك ألقى الامبراطور فى السجن بالقنصل البريطانى وعشرين من أفراد الارساليات من الجنسين وكذلك أطفالهم .

ولم يكتف تيودور بذلك بل أمر بقيد كل المساجين بالسلاسل .

ولم تستطع الجهود الدبلوماسية البطيئة أن تحقق معجزة فقررت بريطانيا اعلان الحرب على الحبشة .

وجاء « ستانلى » الى القاهرة فى أواخر يناير ١٨٦٨ ليرافق الحملة البريطانية .

رفض الإنجليز الاعتراف بصحفى امريكى مجهول يمثل صحيفة سيئة السمعة ، وتوزيعها كبير .

ولكن مراسل الصحيفة فى لندن استطاع اقناع وزارة الخارجية البريطانية لتسمح « لستانلى » بمرافقة القوات الغازية .

وقبل أن يستقل الباخرة من السويس ذهب الى مدير مكتب البرق والبريد وقدم له رشوة ضخمة وعقد معه اتفاقا بأن تكون برقياته أول ما يرسل من السويس وان

تسبق كل برقيات الصحفيين الآخرين .. فقد تعلم ستانلى خلال مغامراته أن مثل هذا الامر لا يمكن أن يترك للبيروقراطية أو الحظ .

ولم تكن خطوط البرق قد اتصلت بين الحبشة ولندن .. والسويس وحدها نقطة الاتصال . ومنها تنطلق كل البرقيات الى لندن .. ثم الى نيويورك .

وأما الدرس الثانى الذى أتقنه « ستانلى » فهو ان يسافر خفيفا فهذا شأن المراسلين الحربيين .

ذهل الضباط الانجليز عندما رأوا « ستانلى » يهبط من الباخرة وحده غرب الحبشة .

ذهل بدوره من الضباط الذين يضعون القفازات فى أيديهم ويضعون الاوشحة على وجوههم خوفا من الحر والذباب .. فوصفهم — بعد ذلك — بأن الانوثة تغلب عليهم .

قالوا له :

— لابد لك من ٦ خيول لمتابعة القوات ، واربعة من الخدم لك وللخيول .

رفض ..

وتابع المعارك القصيرة التى انتهت بانتصار الانجليز وانتحار تيودور وتحرير الاسرى .. ولم تفقد انجلترا سوى ٤٠ من رجالها قتل الحر والمرض معظمهم ، ولم يقتلهم المدافعون ..

وهكذا سقطت مدينة « مجدالا » التى يتحصن فيها الامبراطور .

ولم ينتظر « ستانلى » ..

اسرع الى شاطىء البحر الاحمر يقفز بجواد من الجبل الى الماء ويلحق بأول باخرة الى السويس .

ولكن الكوليرا انتشرت فى مصر ..

وضعت الباخرة فى الحجر الصحى خمسة أيام .

ومرة أخرى لم ينتظر ستانلى بل « هرب » أول برقياته الى مكتب البريد مع رسالة شخصية الى مديره يذكره فيها بوعوده القديمة .

وصلت البرقية الى لندن ومنها الى نيويورك تحمل نبأ سقوط « مجدالا » وانتحار تيودور .

وبعد الافراج عن الباخرة تتابعت برقيات ستانلى .

ويتدخل الحظ ، غالبا ، ليناصر كل صحفى مجتهد ومثابر فيتعطل — بعد ذلك — الخط بين الاسكندرية ومالطة وتنتقل رسائل الصحفيين الآخرين ، وتقارير قائد الحملة البريطانى ، من الاسكندرية الى مالطة بالباخرة .

وفى نفس الوقت تنتقل الأنباء التى نشرتها « نيويورك هيرالد » من نيويورك الى لندن قبل أن تعرف وزارة الحرب البريطانية ان قواتها انتصرت وان « مجدالا » سقطت .

وتسارع الحكومة البريطانية الى النفى ..

وتسخر كل الصحف البريطانية من ستانلى وال « هيرالد » .

ولكن البرقيات الرسمية تصل فى موعدها المتأخر وتضطر الحكومة البريطانية الى أن تعلن أن كل ما نشرته الصحيفة الامريكية .. صحيح .

ويكتب « ستانلى » الذى بقى فى الاسكندرية مذكراته يوم ٢٨ يونيو ١٨٦٨ قائلا :

« أصبحت الآن محررا دائما فى الصحيفة ، وآمل أن يكون السبق الصحفى الثانى الذى أحصل عليه معادلا للأول » .

ولكن السبق الثانى كان أعظم !

***

من مدريد حيث تابع أنباء الحرب الاهلية الاسبانية استدعى « ستانلى » الى باريس لمقابلة « بنيت » عام ١٨٦٩ .

وكان اللقاء سريعا وحاسما ..

قال « بنيت » :

ـ ابحث عن « لفنجستون » .

ولم يكن العالم قد سمع عن لفنجستون خلال الـ ٣ سنوات السابقة .

كان الطبيب قد سافر عام ١٨٦٦ الى قلب افريقيا لاكتشاف بحيراتها الوسطى ومنابع النيل .

وكان القنصل البريطانى فى جزيرة زنزبار قد أرسل البعثات عن الطبيب ولكن البعثات لم تصل وقالت أنباء كثيرة ان « لفنجستون » قد مات لأن أحدا من الاوروبيين لم يره خلال ٣ سنوات .

وتلقى ستانلى أغرب تعليمات من « بنيت » ..

لم يطلب منه أن يتوجه مباشرة الى مصر أو افريقيا .. بل قال له :

ـ احضر فى مصر احتفالات افتتاح قناة السويس . وقم برحلة فى النيل واكتب ما يغرى الامريكيين ، وتوجه

الى سوريا وفلسطين وتركيا والقرم وبحر قزوين والخليج الفارسي وأخيرا الهند .

وقال أيضا :

ـ اذا لم يكن العالم قد سمع عن « لفنجستون » حتى ذلك الحين فابحث عنه ان كان حيا .. وان مات نريد الدليل .

وهكذا وصل « ستانلى » الى جزيرة زنزبار فى ٦ يناير ١٨٧١ .

وفى ٢١ مارس هبط الى الساحل الافريقى ليبدأ رحلة البحث فى مناطق مضطربة .. فيها قبائل تتقاتل ، وأمراض تفتك بالبشر ، وطرق مملوءة بالغابات والوحوش .

وكان مساعدو ومعاونو ستانلى يمثلون نموذجا غريبا من الافارقة ..

البعض يلتحق بالرحلة للحصول على العربون .

وآخرون فرارا من مصير لجرائم ارتكبوها .. حتى ان أحدهم كان قد قتل سبعة .

والبعض طلبا لبعض السلاح والطعام ثم الهرب بعد ذلك .

وعلى أية حال فان « ستانلى » استطاع خلال ٨ شهور أن يصل الى مدينة أوجيجى حيث التقى بلفنجستون ـ يوم ١٠ نوفمبر ١٨٧١ ـ وقال له عبارته الشهيرة :

« أحسبك الدكتور لفنجستون » .

أو :

« الدكتور لفنجستون فيما أظن » .

ويحرص « ستانلى » على أن يسمع تفاصيل الـ ٣ سنوات التى عاشها الطبيب المبشر فى قلب أفريقيا .

ويكتب وصفا تفصيليا للبيئة التى يعيش فيهـــا ، وملابسه ، وحذاءه الممزق ، وكتفه الذى نهشه أسد وملامحه وكل شيء عنه .

ويحصل من « لفنجستون » على رسالة الى صاحب الصحيفة .. وكذلك يوميات الرحالة .

ويمضيان فى رحلة الى بحيرة تنجانيقا ، ويقطعان ٣٠٠ ميل معا فى قلب افريقيا .

طلب « ستانلى » من « لفنجستون » أن يعود معه الى زنزبار ..

وكان هذا العرض انسانيا فان عودة الطبيب تعنى أن يفقد « ستانلى » السبق الصحفى الذى ناله ، ويعود الفضل كله للطبيب .

ومن حسن حظ « ستانلى » ان « لفنجستون » أصر على البقاء فى أفريقيا ومات فيها بعد عام كما ماتت فيها زوجته قبل ذلك .

.. افترق الرجلان بعد أن ترك ستانلى جانبا من المؤن لزميله ثم أسرع عائدا الى زنزبار فقطع المسافة فى ٥٤ يوما وأبرق فى مايو ١٨٧٢ الى الصـــحيفة يصف قصة عثوره على « لفنجستون » فيثير العالم بأكبر سبق صحفى خلال قرن كامل .. أو السبق الذى لم يحصل عليه أحد قبل ذلك .. وحتى الآن !

والغريب فى الامر ان ستانلى الذى التقى بالرحالة فى نوفمبر ١٨٧١ لم ينشر النبأ الا فى مايو ١٨٧٢ أى بعد ٦ شهور كاملة ومع ذلك فان أحدا غيره لم يسبقه فان سمة ذلك العصر .. البطء الرهيب فى الحصول على الاخبار .. وفى نشرها أيضا !

عاد « ستانلى » الى باريس ومنها الى لندن .
وهناك ، مثل أى صحفي ناجح ، وجد حقدا من زملائه أضيفت اليه أحقاد الرحالة الانجليز لأن ستانلى كان قد تجنس بالجنسية الامريكية وأصبحت الكرامة الوطنية في خطر .. فان الذى اكتشف « لفنجستون » لا ينتمى الى بلاد الانجليز .
قالت الصحف البريطانية ، وكذلك الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية أن رسائل لفنجستون للهيرالد مزورة .. وأن الخط ليس خط الرحالة ، والاسلوب ليس أسلوبه وكذب ابن لفجنستون ذلك وقال :
ـ هذه يوميات أبى .
وقالوا انه لم يذهب الى يوجيجى ، ولم يلتــــــق « بلفنجستون » بل انه التقى فى الغابات بمبعوث من الرحالة كان يحمل الوثائق فأخذها منه وأسرع الى زنزبار يكذب ويدعى .
وانتشرت الأغانى الساخرة عن « ستانلى » .
وكان كل انجليزى يقول لصاحبه :
ـ مستر فلان .. كما اعتقد .
وآمن ستانلى ان أعداءه لم يستطيعوا اثبات انه كاذب ولذلك فانهم عازمون على تأكيد انه أحمق .
واستغلت كلمات اللقاء الشهيرة فى الاعلانات .
ورد « ستانلى » قائلا :
ـ ماذا أفعل . كنت مضطرا ، أمام الجميع ، أن أتحدث بكبرياء .
ولكن الهجوم استمر على « ستانلى » .
الجمعية الجغرافية الملكية رفضت دعوته لمناقشته فيما

جاء به من أخبار عن منابع النيل ، أو يوميات الرحالة
وقال سكرتير الجمعية :
ـ هذا الفتى لم يقم بعمل جغرافى .
وتمادى رئيس الجمعية فقال :
ـ لا أرى ما يدعو للاجتماع « بستانلى » فان ما بعث به « لفنجستون » لا يهم الجغرافيين .
ونشر جيران « ستانلى » فى ويلز قصة حياته وانه ابن غير شرعى ووضعوا ماضيه كله أمام الناس ..
واضطر « ستانلى » لأن يرد ..
قال :
فى أول الأمر أثرتم الشك فى صدق روايتى .
واتهمتمونى بتزوير الخطابات التى جئت بها .
وأثرتم الشبهات حولى .
وأخيرا اتهمت بالاثارة .
والحقيقة انكم بعد أن دفنتم « لفنجستون » فى زوايا النسيان تكرهون أن يقال لكم انه على قيد الحياة .
ولكن الناس استقبلوا « ستانلى » بطريقة أخرى ..
فى تلك الايام لم تكن الصحف تنشر صورا على الاطلاق ولذلك وضعت صور ستانلى فى نوافذ المحلات .
ورسمت صورته فى متحف الشمع .
وأهدته الملكة علبة « نشوق » .
واضطر رئيس الجمعية الجغرافية الملكية الى دعوة ستانلى ليلقى محاضرة عن رحلته استمع اليها ، فى مقدمة الصفوف ، امبراطور فرنسا المخلوع نابليون الثالث وزوجته أوجينى التى حضرت افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ .

وبعد المحاضرة استمرت أيضا المرارة .

وقف أحد أعضاء الجمعية يقول :

ــ لم نأت هنا لنسمع قصصا مثيرة بل جئنا لنناقش حقائق جادة .

رد « ستانلى » فى الصحف فوصف كبير منتقديه قائلا :

« انه جغرافى يقيم فى انجلترا » .

.. يقصد أنه لا يرحل ، ولا يكتشف .

وفى المأدبة التى أقامتها له الجمعية الطبية الملكية البريطانية ضحك الاعضاء لأنه كان يتكلم ويشير بيديه .

... والانجليز « المهذبون » لا يحركون أيديهم أثناء الحديث ولكن « ستانلى » كان قد تعلم ذلك أثناء حديثه مع الافارقة .

ورأى ستانلى أن يرد بقسوة ..

توقف أثناء الحديث وألقى جنيها ذهبيا على المائدة ، وكأنه ثمن طعامه ، ثم انحنى لرئيس الجمعية وانصرف .

وقال للجميع بعد ذلك ..

« رحلت الى افريقيا لاكتشف لفنجستون ، لا لأكتشف نفسى » .

وأرسلت الملكة فيكتوريا تدعوه للقائها فاضطر رئيس الجمعية الجغرافية للذهاب اليه وصحبه للاجتماع ..

وخضعت الجمعية الجغرافية فى نهاية الامر فأهدته ميداليتها .

ونشر كتابه الشهير « كيف عثرت على لفنجستون » وكتب فى المقدمة انه يهديه الى « بنيت » صاحب الجريدة الشاب .

بل انه أطلق اسم « بنيت » على مجموعة من الجزر الصغيرة فى بحيرة تنجانيقا .

ولم يكن فى استطاعة ستانلى أن يفعل أكثر من ذلك لصاحب الصحيفة الذى أصبح شديد الغيرة من نجاح صحفى يعمل لديه .

قال « بنيت » للصحفيين يعزى نفسه :

ـ اذا كان ستانلى قد اكتشف لفنجستون فقد اكتشفت ستانلى .

***

عندما كلف « بنيت » « ستانلى » بالبحث عن « افنجستون » قال له :

ـ ستمول رحلتك كلها .

وكان مرتب « ستانلى » بعد انتصاره فى الحبشة ٤٠٠ جنيه سنويا .

قال ستانلى :

ـ كيف ؟

أجاب بنيت :

ـ انفق ألف دولار .. وعندما تنتهى انفق الفا أخرى .. وهكذا .

وذهب ستانلى الى زنزبار فوقع ايصالات بـ ٨٠٠٠ دولار قبل أن يرحل الى قلب القارة .

وكان القنصل الامريكى هناك هو الذى تعهد بأن تقوم الصحيفة بسداد كل الديون .

ولكن ستانلى غاب ٨ شهور فى رحلته .

وخلال تلك الفترة أعلن « بنيت » انه لن يسدد دولارا واحدا من ديون « ستانلى » .. أو ديون الصحيفة .

ولكن النجاح والشهرة والسبق الذى حصلت عليه « الهيرالد » أرغم « بنيت » على السداد .

ونجحت صحيفة واحدة فى لندن فى ذلك الحين وهى « الديلى تلجراف » فقد وقفت مع « ستانلى » ضد باقى الصحف وضد الجمعية الجغرافية أيضا .

وكان مندوب هذه الصحيفة فى باريس واسمه « لى ساج » قد أستقبل « ستانلى » عند قدومه من افريقيا وأجرى حديثا معه عن انطباعاته وما رآه .. وقصته مع « لفنجستون » .

وزاد توزيع « الديلى تلجراف » ..

وخاف « بنيت » على السبق الصحفى الذى نالته جريدته فأبرق الى « ستانلى » فى باريس يقول :

« اصمت » .

ولكن « لى ساج » .. أصبح رئيسا لتحرير « الديلى تلجراف » !

***

وصل « ستانلى » الى نيويورك فى نوفمبر ١٨٧٣ .

استقبلوه فى عرض البحر بلافتات التهنئة بعد غياب ٥ سنوات .

وقابله « بنيت » — يوم ٢٠ نوفمبر — ١٠ دقائق .. نفس مدة لقاء الصحفى بالملكة فيكتوريا .

ولكن الحقد الصحفى سريع العدوى ، وسريع الانتقال .

الصحف المنافسة فى نيويورك كتبت تصف ستانلى تحت مانشيت عريض :

« منافس . مخادع . كاذب . قاتل » .

فقد قتل عددا من الافريقيين أثناء اشتراكه فى القتال خلال رحلته وانضمامه لقبائل وملوك ضد قبائل وملوك آخرين .

وجد ستانلى ردا ..

عرض على زواره قبعة لفجستون وقال :

ـ يتهموننى بتزييف القصص فهل زيفت أيضا قبعة الطبيب .

ودعاه الكاتب الساخر مارك توين لالقاء محاضرات فى امريكا وقال له :

ـ ستكسب من هذه المحاضرات ٥٠ ألف دولار سنويا .

ولكن ستانلى لم يكن خطيبا موفقا بل موهبته في قلمه .

وبقى فى أمريكا يتقاضى ٤٠٠ جنيه فى السنة من نوفمبر حتى ابريل عندما استدعاه « بنيت » ليطلب منه العودة ، كما كان ، مراسلا للصحيفة فى مدريد مع رفع مرتبه الى ألف جنيه سنويا .

وبهذا العرض أصبح « ستانلى » صحفيا عاديا ، لم يغامر ، ولم يكتشف ، ولم يتعرض للموت ولم يضف الى تاريخه ، وعلم الجغرافيا أى جديد .

ومع ذلك سافر الى اسبانيا ثم رافق حملة السير « جارنيت وولزلى » ضد قبائل « الاشانتى » .

وولزلى هو القائد البريطانى الذى حارب عرابى بعد ذلك واحتل مصر .

وكان تعليق ستانلى على القائد انه حقق انتصاره الاكبر على الصحفيين فقد عرقل ، بكل الطرق ، عملهم ، وأداءهم لواجبهم !

لم يستطع ان يحتفظ بقلبه بعيدا عن افريقيا ذهب الى صحيفة « الديلى تلجراف » يعرض عليها أن تمول رحلة يقوم بها بالاشتراك مع « الهيرالد » لاكتشاف نهر الكونغو، فوافقت على أن تدفع ٦٠٠٠ جنيه .

وقد أراد باشتراك « التلجراف » أن يرغم « بنيت » على المساهمة . وعندما بعث اليه بالعقد رفض « بنيت » أن يوقع عليه وأبرق بعد ٢٠ ساعة بكلمة واحدة :

« موافق » ..

وهكذا بدأ رحلته الجديدة فى ١١ نوفمبر ١٨٧٤ من مدينة زنزبار ليكتشف نهر الكونغو ويصل الى مصبه بعد ٣ سنوات فى ١٢ أغسطس ١٨٧٧ .. على ساحل المحيط الاطلسى مخترقا القارة من شرقها الى الغرب بعد أن خاض ٢٦ معركة .

وخلال الـ ٣ سنوات مات كل رفاقه البيض ومن ٣٥٠ افريقيا عاش ١٠٦ فقط .

وضاعت أول برقية كتبها للصحف ــ الف كلمة ــ لان الرسول لم يسلم الرسالة فى زنزبار .

***

وحتى ذلك الوقت كان ستانلى صحفيا رحالة يكتشف ..

كان يكتب الرسائل ولا يعلم هل تصل الى الصحف ، أو لا تصل .

ليس عنده جهاز لاسلكى ، ولا مكتب للبريد أو البرق ولا تصله الرسائل من أحد ٣ سنوات كاملة وعليه أن ينجح أو يموت . يحقق حلمه أو يدفن فى الغابات وقد لا يدفن .

وفكر فى الانتحار ..
ومرض أكثر من مرة ..
وقاتل .. وقتل واتهم بالوحشية ..
ولكنه عاش فى عزلة ، أو فى سجن الغابات لا يعرف ما يقوله الناس عنه ، قطعت صلته بالعالم الخارجى ، ولا يصله رد فعل اعماله ..

لا يقرأ الصحف ولا يستمع الى اذاعة ، ولا يرى نفسه على شاشة التليفزيون ٣ سنوات كاملة ، ففى القرن الماضى كان هذا كله أبعـــد من أحـلام المخترعين وآمال كل الصحفيين .

وما أنفق عليه ينفق على صحفى واحد فى رحلة واحدة .. هذه الايام .

وما لقيه من مغـــامرات ينوء به جيـــل كامل من الصحفيين .

وفوق هذا كله فانهم لم يتركوا له اعترافا بنجـاح يشجعه ، ويدفعه للمزيد .

وكان لابد أن يتحول عن الصحافة ..

***

بعث اليه « ليوبولد » ملك بلجيكا ليكون مبعوثا خاصا له ينشىء دولة فى الكونغو .. يقيم المحطـــات ويمـد الطرق ، ويسير السفن ، ويعد المستوطنات .

وتكلف الملك فى أول الامر ١٢ الف جنيه سنويا مقابل هذه العمليات ارتفعت بعـــد ذلك الى ستين الفا .

واستغرقت هـذه المهمـة ٥ ســـنوات كاملة من عام ١٨٧٩ حتى عام ١٨٨٤ — فى زمن ، كان فيه التنافس

ضخما ، للاستيلاء على افريقيا بواسطة القوى الاوربية عن طريق بعض المغامرين .

وانتهى الصراع فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ الـذى حضرته ١٤ دولة بعد أن فرضت المانيا الحمـــاية على توجولاند والكاميرون فى غرب افريقيا .

واعترف المؤتمر بسيادة ملك بلجيـــكا ليوبولد على الكونغو ومساحتها ٩٠٠ الف ميل مربع نالت فرنســا ٢٧٥ ألف ميل والبرتغال ٣٥١ ألف فى قلب افريقيا .

وكانت البداية رحلة صحفية مثيرة لاكتشاف المجهول قام بها صحفى أطلقوا عليه اسم « محطم الصخور » !

مجلة.. للغاضبين

ليست اكبر الصحف البريطانية توزيعا ولا أكثرها ثراء .. وعدد محرريها ومراسليها لا يتجاوز العشرة .. ومع ذلك أحب كلما زرت لندن أن أتجه اليهـــا لانها الجريدة الوحيدة التى تسير على مبدأ (خالف تعرف) .. وهى تخالف .. ولكنها فى معظم الاحيان على حق !

ان توزيعها يبلغ ٣٢ الف نسخة تقريبا .. وايرادتهـا من الاعلانات مائة ألف جنيه شهريا وهذه الارقام تعتبر تافهة جدا بالقيـــاس الى الخمسة ملايين نسخة التى توزعها جريدة أسبوعية مثل « نيوز أوف ذى ورلد » .. وبالقياس الى ايرادات الصحف من الاعلانات والتى يتراوح سعر الصفحة الواحدة فيهـــا بين خمسة وعشرة آلاف جنيه .

ومع ذلك فان هذه المجلة الصغيرة ، محـــــدودة الانتشار ، أثرت فى السياسة البريطانية منذ صـــدر العدد الاول منها فى فبراير عام ١٩٠٣ .. ولا تزال هذه الجريدة تفرض رأيها على الساسة البريطانيين .

وقصة هذه المجلة واسمها «نيوستيتسمان اند نيشان» ومعناها السياسى الجديد والأمة هى قصة انتصار فى بريطانيا .

وقصة اليسـار فى بريطـــانيا تختلف عن قصته فى روسيا .

فى القرن الماضى كان المثقفون اليساريون فى روسيا يطأون أرضا بكرا وهم يحدثون الفــــلاحين الروس عن الاشـــتراكية .. ويستشهدون (أى اليساريين) فى سبيل عقيدتهم .

أما المثقفون اليساريون فى الغرب فلم يجدوا أرضـا عذراء يحرثونها ولا حلفاء لهم يشاركونهم أمانيهم .

وفى الشرق .. أى فى روسيا فان المثقفين انضموا للعمال ليخططوا لهم . ولكن فى وسط وغرب أوربا ، فان العمال كانوا قد أسسوا ، وبسرعة ، منظماتهم ، وأحزابهم ، ونقاباتهم .. وكان لهم — أيضا — قادتهم .. وهم رجال بيروقراطيون عزيمتهم حديدية ، ورءوسهم خشبية لا تلين .

وعلى هذا الاساس كان هناك فارق ضخم بين اليسار المثقف فى شرق ، وفى غرب أوربا .

***

واليسار فى بريطـــانيا بدأ بالجمعية الفابية فى عام ١٨٨٢ — عام الاحتلال البريطانى لمصر — أسسها بعض ابناء الطبقة المتوسطة بقيادة ادوارد بيس .. ألهمهم فكرتها كتاب ألفه « هنرى جورج » اسمه .. « التقدم والفقر » .. وغاية الجمعية النهائية اعادة بناء المجتمع على أساس اخلاقى .

وكان ممكنا أن يستمر عمل الجمعية محصورا فى نطاق الخير لولا أن « برنارد شو » حضر أحد اجتماعاتها ثم كتب يحدد هدف الجمعية ويحدد غايتها .

● ان نظامنا الزراعى الحالى يعنى تقسيم المجتمع الى طبقتين متصـــارعتين الاولى لها شهية مفتوحة ، ولا تجد عشاءها ، والثانية لديها عشاء متوافر ، وشهية مغلقة .

● ان تأميم الارض بشكل عام ضرورة .

● ليس من حق الحكومة الحاضرة أن تسمى نفسها الدولة ، والا كان من حق دخان المصنع أن يسمى نفسه طقس بلادنا .

● من الافضل لنا أن نواجه حربا أهلية بين الطبقتين المتصارعتين من أن نعيش قرنا آخر من العذاب . .

وفى يناير ١٨٨٥ أحضر شو معــه الى مقر اجتماع الجمعية الفابية رجلا آخر اسمه « سيدنى ويب » .

وبعد سنوات كتب « برنارد شو » يقول انه رأى فى « ويب » الرجل الذى تحتاج اليه الجمعية .

وكانت نظرية شو صحيحة ففى الاجتماع الثالث الذى حضره « ويب » أنتخب عضوا فى الجمعية ثم اشتهرت الجمعية الفابية بعد ذلك باسم « سيدنى » و « بياتريس ويب » ونسى النـــاس مؤسس الجمعيـــة « ادوارد بيس » .

***

ولم يكن معقولا ان تقوم هذه الجمعية دون أن يكون لها لسانها الناطق وفعلا أصدرت مجلة اسمها « الحملة الصليبية » ماتت فى مهدها .

وأصدرت الجمعية بعد ذلك مجلة « النيوستيتسمان » وقبل صدورها همس الكاتب الاديب والمفكر البريطــانى « هـ . ج . ويلز » فى أذن « بياتريس » قائلا : « ان

مجلة مستقلة ، لا ترتبط بأحد ، عندها فرصة الحياة . أما اذا تحيزت فستموت » .

واذا اجتمع « شو » و « سيدنى » و «بياتريس ويب» معا لاصدار مجلة فمعنى ذلك ان هذه المجلة يجب أن تكون اشتراكية تنطق باسم الجمعية التى قامت تدعو للخير ثم منحها الاشتراكيون الثلاثة فكرة يسارية وخطا يساريا .

ومن اليوم الاول قالت المجلة .. « ان الحرية السياسية شيء تهتم به اذا كان لديك ما يكفى من طعام تأكله .. وملابس تغطيك ، وسقف يحميك ، ونوع من الطمأنينة يظلك .. ان الذين لديهم هذا كله قلة يتمتعون بمستوى عال من المعيشة .. أما الاغلبية فلا تجد ما يكفيها ولذلك ستقوم بثورة للحصول على الخبز » .

***

ولكى نعرف أهمية هذه المجلة ، فى تلك الفترة ، يجب أن نذكر انه كان فى بريطانيا فى ذلك الوقت حزبان الاحرار والمحافظون .. وكان الحزبان على استعداد لاصدار تشريعات تخفف آلام الناس ، وذلك ، بين الحين والآخر .. اما أن تتحمل الدولة مسئولية بعض الجوانب الاقتصادية في حياة الناس لاسباب اجتماعية .. فان هذه الفكرة كانت تبدو مستحيلة وسخيفة ومرعبة للحزبين . ورأى الحزبان فى تدخل الدولة بين صاحب العمل والعمال شذوذا ولم يخطر ببال الاحرار والمحافظين على الاطلاق ضرورة التخطيط الاقتصادى لانقاذ الملايين من الفقر .

ونشأت بعد ذلك فكرة نقل ملكية الصناعة والاشراف

عليها الى النقابات العمالية .. أما تدخل الدولة فلم يقل به أحد حينذاك الا جريدة السياسى الجديد .

***

وقصة انشاء الجريدة تعتبر قصـــة كفاح من نوع نادر .

كان يجب لتنجح الجريدة أن توزع ٣٠٠٠ نسخة على الاقل ، ورؤى أن مقالات « برنارد شو » يمكن أن تجذب ألف مشترك ، ومقالات « ويب » ٥٠٠ ومقالات المحرر الادبى « سكوير » توزع مائة نسخة ومعنى ذلك أن المجلة ستموت .

ورغم ذلك كله صدرت المجلة برأسمال قدره خمسة آلاف جنيه تبرع « برنارد شو » بألف منهـــا وكذلك « ويب » و « بياتريس » وجمعت باقى الاكتتابات من مساهمين صغار أعضاء فى الجمعية الفابية .

واختير صحفى اسمه « شارب » رئيسا للتحـرير بمرتب ٥٠٠ جنيه سنويا ومنح ٥٠ جنيها ليسافر لاوربا ليجمع مراسلين ، وعين محـرر أدبى بـ ٣٠٠ جنيه . ومحرر للمسرح يحصل على قرش عن كل خمس كلمات . وخمسين قرشا كلما دخل المسرح !

ولم يزد توزيع العدد الاول على ٢٣٠٠ نسخة وبعد عام انخفض التوزيع الى ١٦٠٠ نسخة .. ولكن الفا من هؤلاء ظلوا يجـددون اشتراكهم فى الجريدة ٢١ عاما متتالية .

ولم يهتم المؤسسون بالاعـلانات فلم تزد فى السنة الاولى على ٧٥٠ جنيها .

***

والذى يقرأ العدد الاول يجد افتتاحية المجلة تقول :

« سنسعى لنواجه المسائل الاجتماعية والسياسية بطريقة علمية أى بنفس الروح والطريقة التى يحلل بها الكيمائى والبيولوجى العينات فى أنابيب الاختبار .

وكان « شو » مديراً وشريكا ومساهما فى رأس المال ويريد أن يوقع مقالاته باسمه .

رفض رئيس التحرير وقال « يجب ان نعطى المجلة كيانا متكاملا وشخصية صحفية متجانسة . ولكى تنجح المجلة يجب أن تكون المقالات بغير توقيع لتنجح المجلة .. لا ليشتهر كتابها » .

وبعد مدة تطرف « شو » فى مقالاته ورأى رئيس التحرير أنه لابد أن يوقع « شو » بامضائه على كل مقال .. وكان « شو » .. الذى رفض هذه المرة !

***

قامت الحرب .. وكتب « برنارد شو » مقالا يهاجم فيه دخول بريطانيا الحرب وأبدى عدم ثقته فى حلفاء بريطانيا يعنى الاتحاد السوفييتى .

وثارت الازمة بعنف بين رئيس التحرير والكاتب الفيلسوف .. ولو ان شو تخلى عن التأييد المالى للمجلة لتوقفت عن الصدور .

حاول رئيس التحرير اقناع « شو » ببيع حصته للكاتب « ارنولد بنيت » فرفض « شو » قائلا :

ـ اذا كانت المجلة ستفلس فلماذا آخذ أموال «بنيت» واذا كانت ستزدهر فلماذا أخسر حصة فى مشروع ناجح .

وأرسل « شارب » رئيس التحرير كتابا الى « بياتريس ويب » وقال فيه :

ان « شو » لم يظهر أى عطف ، أو فهم ، لمتاعب المهنة التى يقوم بها رئيس التحـــرير ولم يسع أبدا لحفظ التجانس فى الجريدة . ورفض كل تســوية واستمر ينقدنى بعنف .

كنت أنظر للعمل الصحفى على أنه تعــاونى . وان سياسة المجلة يقررها اتفاق عام مشترك .. وفى حالة قيام خلاف بينى وبين « شو » يسود رأيى فى المسائل السياسية .. وتسود آراؤكم أنتم فى المسائل الاخرى .

وأنا لا أريدها ان تكون لسانا شخصيا لى وانما هدفى أن تعبر عن السياسة الفابية .

ان مقالات « برنارد شو » بعيدة عن أهداف الجمعية ولا تسير فى نفس خط الجريدة .. وتثير المتاعب ومع ذلك فانها تلقى اهتمــاما أكبر من الناس لانهــا أكثر اثارة » .

وأيد « سيدنى ويب » رئيس التحرير فقال «شو» : « سآخذ حلولى وسياستى بعيدا ان « شارب » رجل السهر والقهوة الثقيلة والعمل الصحفى » .

وأصر رئيس التحرير على نشر مقالات « شو » بتوقيعه فاستقال « شو » !

واستمرت المجلة تؤدى دورها الخالد الذى يمكن أن نسميه « الوجودية السياسية » .. وذلك قبل أن ينطق سارتر بتلك الكلمة .. فقد كانت متحررة وتركب المد الاشتراكى ولا تتبع الاحزاب .

ولم تكن المجلة بلا أخطاء .

فعندما قامت الثورة السوفييتية « البلشفية » وقفت المجلة منها موقفا باردا أو موقفا سيئا للغاية . قالت ان

روسيا ستحارب بجيش مهلهل وأن اللينينية لا تحقق تأثيرا طيبا على الجيوش .

ولكن الجريدة أوفدت أحد محرريها الى الاتحاد السوفييتى وعند عودته ينصف الثورة البلشفية ويقول رأيت المستقبل .

***

وخلال ٦٠ عاما عاشت « السياسى الجديد » تضم اليها مجلة « الامة » وتحمل المجلة الجديدة اسمى الجريدتين معا .. « نيوستيتسمان أند نيشان » .

والصحف والمجلات فى تلك الايام كانت تصدر لتحمل فكرا ورأيا .. وظلت الجريدة خمسة أعوام تخسر ٥٠٠ جنيه سنويا .. ولكنها تستمر وكتابها الكبار مثل « شو » و « ارنولد بنيت » يعملون بغير أجر .. وكان ربح الجريدة لاول مرة جنيها ونصف فى العام .

ويوم فاز حزب العمال لاول مرة فى الانتخابات وتولى الحكم ، دخل « سيدنى ويب » مجلس العموم نائبا عن حزب العمال . ولكنه استقال من المجلة حتى لا يظن الناس ان « السياسى الجديد » هى جريدة حزب العمال .

واحتفظت المجلة باستقلالها ، ولكن وجود الحزب ألقى ظلاله على الجريدة . كانت المجلة حليفة للحزب وهو فى المعارضة .. وعندما يتولى الحكم تختلف معه ولكنها تؤيده .. فهى معه وهى أيضا تنتقده لانه لا يوفر الحلول الاشتراكية وكانت مع الحزب لانها رات فيه الامل الوحيد لقيام حكومة اشتراكية .

ولكن المجلة ظلت تتدهور وتنحدر فأصبح توزيعها ـ عام ١٩٣١ ـ لا يتجاوز عشرة آلاف نسخة أسبوعيا .

وخسر أصحاب المجلة نحو مائة ألف جنيه ، وكان متوقعا ان يظلوا طول حياتهم يسددون الديون .

ورشح البعض كينجلسى مارتن ليكون رئيســـا للتحرير .

***

كينجسلى مارتن ابن قسيس بريطانى عمره ٣٣ سنة .. كان أبوه من المفكرين الاحرار الذين عارضوا حرب البوير ولذلك نشأ مارتن وهو يعرف انه سيظل طـول حياته من القلة .. القلة التى على حق .. ولـكنها تخسر دائما فى أية معركة ضد المؤسسات القائمة .

وجاءت الحرب الاولى وتطوع فى الاسعاف ونقل الى فرنسا .. وهناك شهد كيف يموت الناس بعد الآلم .. وبعد العذاب فكان طول حياته داعية للسلام .

وتعلم فى انجلترا بعد حصـوله على منحة دراسية واستكمل دراسته فى أمريكا وتتلمذ على العالم الاشتراكى هارولد لاسكى واشتغل مســاعدا له حتى اختير ليكتب المقالات الافتتاحية فى جريدة « المانشستر جارديان » .. ولم ينجح فى عمله ولذلك قالوا له قبل أن ينتهى العقد بستة شهور .

ـ حاول أن تبحث عن عمل فان عقدك لن يجدد .

***

ومن هنا رشح للمجلة الاشتراكية .

اجتمع مجلس ادارة المجلة ووجه اليه الدعوة لتناول طعام الغداء .

ساله أحد الحاضرين .

ـ من أنت .. آراؤك .. والمبادىء التى تسير عليها .

ـ أظن .. أستطيع أن أقول انى اشتراكى .

قالوا له :

ـ نأمل ذلك .

وافقوا على تعيينه فان المجلة أسسها الذين أنشأوا الحركة الفابية فى انجلترا .. التى مهـدت للسياسة الاشتراكية التى سار عليها حزب العمال .

كان عليه أن يختار من مجموع محررى المجلتين اسرة تحرير المجلة الجديدة ، كان عليه أن يكون حاسما وقاطعا وبتارا ليختار أفضل العناصر الجديدة .. وقد فعل .

اكتشف ان المجلة فى حاجة الى الغضب .. فى حاجة الى الصراحة والاندفاع .

استعان بهارولد لاسكى وطاغور وكبلنج ونصف الذين حصلوا على جوائز نوبل ليكتبوا فى المجلة .

ويعتبر كينجسلى مارتن نقطـة التحول فى حيـــاة « نيوستيتسمان » .

قيل له من اليوم الاول ان أحد الذين اختــــارهم لا يعرف مواعيـــد الطبع ويتأخر فى تسليم مقاله الى المطبعة فلم يهتم كثيرا بهذا العـــذر وكان يقصد بيت الكاتب ويجلس أمامه وهـو يكتب مقـاله فانه يعرف « دلال » بعض الكتاب .. وكان كرئيس تحرير « يفهم الصنعة » بقدر ذلك « الدلال » ويحمل العبء ولا يؤخر مواعيد الطباعة بل ينتقل الى الـكاتب يرجوه بطريقة عملية .

وخلال ثلاثين عاما تولى خلالها رئاسة التحرير ..
بدأت عام ١٩٣١ كان دائما يتكلم مع زملائه فى رقة ..
لم يزأر أبدا كالاسد .. مع ان بداخله أسدا على استعداد
دائم للزئير .

ولم يحجر على رأى كاتب .. ولم يمنع نشر مقال
يخالف رأيه .

***

كانت لرئيس التحرير سياسة واضحة يطالب بها
الحكومة ويطالب بها الشعب وتتعدد ضرباته القاضية
فى كل اتجاه حتى ان المجلة استمرت ـ خلال مدة أسابيع
ـ تحمل على الموسيقى التى تقدمها الاذاعة البريطانية ..
وتقول :

ـ الاذاعة تقدم موسيقيين بريطانيين من الدرجة
الثالثة لاسباب وطنية ،وتقدم موسيقيين عالميين من
الدرجة الثالثة لاسباب وطنية أيضا حتى لا يجد
المستمع أن الموسيقيين الاجانب أفضل من البريطانيين !

وظل خلال ١٥٠٠ مقال تقريبا .. وخلال ١٥٠٠ عدد
من اعداد الصحيفة يتصرف كالفنان .. لا كالصحفى ..
والفنان ينقل صراعه الشخصى .. او الصراع النفسى
الذى يحياه الى العمل الفنى الذى يقدمه .. والصحفى
يحرص ـ الى حد ما ـ على أن يبقى هذا الصراع بعيدا
عن دائرة العمل .. ولكن مارتن حرص على أن يجمع
فى كل عدد بين شخصية الفنان والصحفى ويمزج بينهما
فلا يخل بالحقيقة .. وبذلك أصبحت المجلة جزءا منه .

***

حدث يوما ان كتب احد المحررين مقالا هاجم فيه أول

مسرحية لبريخت تعرض فى لندن فضاق بالنقد وقال للمحرر :

ـ هل هذا معقول ان الشاعر والكاتب المسرحى الماركسى الكبير يكتب عنه بهذه الطريقة .. ويقال انه ممل .

أجاب الصحفى :

ـ وهل رايت مسرحيته ؟

ـ لا ..

وصمت رئيس التحرير ، والتزم الصحفى الصمت أيضا .

ولكن مارتن أدرك الحقيقة .. قال للكاتب .

ـ آسف .. استمر .. اذا كنت ترى ان بريخت ممل .. فاكتب ذلك .

***

وكان القسم الادبى فى هذه المجلة مدعاة سرور القراء ونقد مجلس الادارة .

فى ذلك القسم كانت هنـــــاك كل الاقلام .. وكل الكتاب حتى قيل يوما أن الناس يبدأون بقراءة القسم الادبى قبل القسم السياسى .. وكان مارتن يرد قائلا :

ـ لقد أصبحتم مدمنين لقراءة المجلة .

وطلب اليه مجلس الادارة مزيدا من التدخل فى القسم الادبى فكان جوابه :

ـ ان الناقد الفنى والادبى يجب ان تكون له نافذة أوسع على الحياة .

وكان مستوى النقد الادبى والفنى عاليا فى المجلة فجاب قراء يكرهون سياستها .

وبعض رؤساء تحرير الصحف والمجـــلات يهتمون بالقسم السياسي من الجريدة أو المجلة .. أما « مارتن » فكان يهتم بكل أقسام المجلة وسمح لهذه الاقسام كلهـا بأن تنمو .. معا .

وكان يحسن الاستماع كما يجيد الحديث . لم يقل لزملائه .

ــ أنت مخطىء .. أو انت على خطأ .. بل كانت له عبارة تقليدية .

ــ يا صديقى .. ان المسألة ليست بهذا الشكل . أو ..

ــ انى أعرف ماذا تعنى .. ولكنى أعتقد .. ثم يشرح رأيه المعارض تماما ..

كان كل عدد من المجلة بالنسبة اليه عملا أخلاقيا .. أو حملة أخلاقية .

كل معركة يمضى اليها بروح عالية ..

وأخذ متاعب العــالم كله مسألة شخصية ، بالنسبة اليه ، يحاول حلها .. ويعيش فيها ويهتم بكل مظاهر الحياة حوله .

وقيل انه حزم نفســـه حزمة واحدة وضعها فى الصحيفة ..

وكان مثل كل رؤساء التحرير الكبار يعيش لصحيفته .. يأكل ويشرب وينام معها ، وأى ألم يسهل احتماله من أجلهــا .. وليس معنى ذلك أن يعيش فى دار الصحيفة كل الوقت . .وانما يأخذ معه كل مشاكل المجلة واهتماماتها حيث يأكل .. وحيث ينام !

***

ومنذ اليوم الاول ..

أصبحت مجلة « السياسى الجديد والامة » تعكس آراء رئيس التحرير فتغضب معه .. وتضرب معه .. وتثير الجدل وتجذب اليها رأيا عاما كبيرا ربما لا يجب المجلة ولكنه مضطر لقراءتها .

وأصبحت قراءة المجلة اجبارية على مستوى الوزراء فى معظم العواصم الاوربية وفى المستويات العليا من العالم .

وفتح أبواب التفكير أمام الشباب .. ونجح فى جذب قراء مخلصين من بينهم .

***

ولم يوقع مقالاته باسمه .. وانما اختار توقيعا مستعارا هو « الناقد » .

وجعل عنوان مقاله « المفكرة » أو « اليوميات » وفيها يتكلم عن صراع المذاهب والآراء السياسية ، والمشاكل الدولية ، ويتحدث أيضا عن الزراعة والحدائق والقطط والناس والشطرنج ومشاكل الجنس .

وجمع فى هذه المقالات بين الرقة والغضب .. بين التسامح والقتال واستهدف منذ اليوم الاول خطة معينة حددها ورسمها .

وكان يسمع لكل آراء الناس قبل ان يكتب مقاله .. وقبل أن يتأثر بآخر الذين يلتقى بهم ولكن تفسيره لذلك بسيط :

— انى لا أكتفى بوجهات النظر السبع لكل سؤال ولكل موضوع . وأحب أن أعرف أخطار وأخطاء اى موضوع قبل أن أكتب ..

وعندما يخطىء .

وشأن كل صـــحفى ـ كان يخطىء ـ ولــكنه كان مستعدا دائما للاعتراف بالخطأ والرجوع عنه .. فى مقال لاحق .

***

وكان سوته حماسيا .. أو متحمسا وهو يـكتب .

فى كل مقال يغوص فى أعماق النـــــاس .. يفتح ضمائرهم أو يستصرخ ضمائرهم .. أو يضع هذا الضمير على مائدة العمليات الجراحية ليفحصه .. ويفحصوه . بأمانة كاملة ..

اما أسلوبه فكانت له الشخصية المتميزة بحيث عرفه الناس وتابعوه .. خلال تلك السنوات الطويلة رغم أنه بلا توقيع صريح .

وتعلم منه الكثيرون هذا الاسلوب .

***

تسلم رئاسة التحرير عام ١٩٣١ .. وحزب العمال فى الحكم ينادي بالاشتراكية « ومارتن » لا يعرف شيئا اسمه الامبريالية الاشتراكية أو الاشتراكية الاستعمارية. ولذلك وقف مع غاندى ونهرو يؤيد استقلال الهند ويدعو لاستقلال المستعمرات البريطانية فى آسيا وأفريقيا .

ويقول ان من حق هذه الشعوب أن تحكم بلادها .

وكان أغاخان يقول انه يجب أن تمر عدة قرون قبل أن تصبح الهند مستعدة للحكم الذاتى .

ولقد وقف أصحاب المجلة موقف المعارض لرئيس التحرير عندما أيد استقلال الهند والمستعمرات ولكنه لم يعبأ باعتراضهم واستمر يدافع عن فكرته . ومن هنا نشأت بينه وبين المثقفين الهنود صداقة وثيقة .

ويثير النقاش بين المثقفين الاشتراكيين ويرسم لحزب العمال فى الثلاثينات السـياسية الاشتراكية ويذكرهم عندما يلاحظ نسيانهم لها .

ونادى بأن يصبح الشـعراء والمثقفون والفلاسفة والمدرسون جنودا ينضمون للطبقة العاملة ويسـاعدون العمال اليدويين على طرد البورجوازيين من مركز القوة .

وأيد اشراف الدولة ، بقـدر ما ، على الصحف .. وطالب بنزع السلاح وتحريم الاسلحة الذرية وأيد تيتو وهوشى منه .. وهاجم التدخل الامريكى فى جنـوب آسيا . فى فيتنام وكان من أوائل الذين دعوا لقيـام صداقة أوثق بين انجلترا والسوفييت وصداقة أقل مع أمريكا .

يوم تولى رئاسة التحرير كانت الازمة الاقتصـادية الدولية تجتاح العـالم . وأصيب كثير من المثقفين والسياسيين بشلل فى التفكير .

وفى تلك الظـروف العصيبة كان يجب على حكومة العمال ، التى تتولى الحكم ، أن تطبق نوعا من الاشتراكية ولكنها عينت لجنة لبحث وسائل انقاذ الجنيه الاسترلينى بضغط النفقات .

يومها دعا الحكومة الى ضغط نفقـات التسليح لمنع التضخم ووجهة نظره فى هذا الشأن ان صناعة الاسلحة لا تطرح سلعا استهلاكية فى السوق يقبل عليها الناس ولذلك فان هذه الصناعة هى الاولى بالحذف أو الاولى بضغط المصروفات والنفقات .

ودعا الى مضاعفة الضرائب المباشرة .

وتخصيص ١٠٪ من الدخـل كضريبة .. وعارض

الاتجاه الى تشكيل حكومة ائتلافية وكتب يقول مخاطبا زعماء حزب العمال :

ـ أنتم تخونون المبادىء .

وردد كلمات الخليفـة الزاهد عمـر بن عبد العزيز فقال :

أنتم تأخذون من الفقراء لتعطوا الاغنياء .

أو ..

ـ تزيدون الاغنياء غنى .. وتضاعفون محنة الفقراء وتجعلون الحياة أكثر سهولة على الاغنياء .

وعارض تخفيض الاجور .

وعارض تخفيض الخدمات الاجتماعية لتصبح الارباح اكبر .. وقال :

ـ هذه سياسة قاتلة .. ولا يمكن أن نسـميها أبدا مساواة فى التضحية .

ولم يفزع عندما تعطل عشرون مليونا فى أوربا وأمريكا بل كتب يقول :

« هذه ساعة الظلام الاخيرة قبل حلول فجـر الاشتراكية .

وكان المسـئولون فى بريطـانيا يرون ان تلك الازمة الاقتصـادية كارثة طبيعية كالزلازل يجب قبولهـا ولكن ارتفع صوت المجلة يقول « الاقتصـاد كالآلة يمكن التحكم فيها » .

وقالت « الذين يطالبون بالاقتصاد الحر يرفضـون استخدام عقـولهم فهم يسمحون بموت الملايين ليبقى الاقتصاد الحر والامتيازات الطبقية » .

ارتفعت الاصوات فى انجلترا تقول :

اذا لم نستطع زيادة الضرائب فيجب أن نخفض المصروفات . ان اعانة البطالة يجب أن تنخفض .

ويبدو واضحا فى تلك الاثناء ان النية متجهة للأخذ بهذا الرأى ولكن الجريدة تقول :

« اذا كان لابد من خفض المصروفات فلماذا تفرض ذلك كعقوبة على الفقراء .. ارفعوا الضرائب المباشرة وحققوا مبدأ المساواة فى التضحية » .

ولم يتأرجح ابدا فى اتجاهاته حسب آراء القراء على نحو ما تفعل بعض الصحف .

وفى الهند بقرات مقدسة لا تذبح .

وكانت فى انجلترا بقرات كثيرة مقدسة لا يمكن ذبحها خلال نصف قرن . وكان « هـ . ج . ويلز » « شبه مقدس » .

ولكن هارولد لاسكى يهاجمه وينتقده ويقول عن كتبه ان أفكارها مشوشة ومتناقضة .

***

رجل كهذا .. كانت له أخطاء كثيرة .

ايد ستالين ودافع عنه .

ثم اكتشف « مارتن » ، قبل غيره ، مذابح ستالين .

وأثناء الحرب العالمية الثانية تودد الغرب الى ستالين فأطلق اسم « العم جو » بينما « مارتن » وحده يهاجم ستالين !

وهاجمت المجلة عصبة الأمم قبل أن يكتشف العالم ضعفها وعجزها وقالت « لا يوجد فى هذه العصبة من يحلم بوضع مصلحة الانسانية فوق مصلحة طبقته الحاكمة » .

وطالبت بفرض عقوبات اقتصادية على ايطاليا عندما حاربت الحبشة كما طالبت قبل ذلك بفرض عقوبات اقتصادية على اليابان عندما حاربت منشوريا .

وكانت تلك العقوبات هى الوسيلة الوحيدة لتدعيم « عصبة الامم » .

وكانت انجلترا تؤيد ميخائيلو فيتشى ولكن « السياسي الجديد » أيدت « تيتو » وتنبأت بثورته الشيوعية وساندته .. وكانت مقالاتها تقرأ بشغف فى جيش التحرير اليوغوسلافى .

وتنبأ أحد محررى الجريدة بأن اليابان ستدخل الحرب ضد أمريكا وانجلترا .. بعد تحليل دقيق لسياسة اليابان خلال ٣٠ عاما . وقال المحرر ان سياسة اليابان باستمرار هى محاولة طرد الغرب من آسيا .

وقبل أن تقوم الحرب تنبأت الجريدة بأن تشرشل هو الرجل الذى سيقود بريطانيا فى المعركة وحصلت من « تشرشل » على حديث قال فيه ان الديمقراطية ستستمر أثناء الحرب .

وقد عارض مارتن تشرشل دائما .

ومع ذلك .. عندما أوشكت الحرب أن تقوم دعا حزب العمال الى تأييد تشرشل بلا تردد باعتباره الامل الوحيد فى تحقيق السلام .

وتلقف حزب العمال هذا الرأى .. واستطاع العمال ان يفرضوا تشرشل على حزب المحافظين .

***

كانت المجلة مدينة دائما قبل أن يتولى رئاسة

تحريرها مارتن .. والاسباب كثيرة لعدم الرواج من بينها رئيس التحرير السابق الذى وقف فى قاعة المحكمة فى احدى قضايا القذف يقول :

ــ اننا لا نتوقع عدلامن محكمة يرأسها القــــاضى فلان .

واتهم رئيس التحرير باحتقار المحكمة .. والزمت المجلة بتعويضات وغرامات ضخمة .

وجاء « مارتن » ليرفــع توزيع المجلة باستمرار .. وعندما تركها بعد ٣٠ عاما .. كان رقم التوزيع قد ارتفع عشرة أضعاف من ١٠ آلاف الى ١٠٠ ألف نســخة كل أسبوع .

وتحــول المشروع الفاشل .. الى جريدة ناجحــة رابحة .

وقال يسخر من نفسه ..

ــ كان اهتمامى بالنجـــاح كبيرا حتى انى نسيت المبادىء .. وتجاهلت الرسالة !!

***

وفى انجلترا يرتفــع توزيع الصحف الاسبوعية الى خمسة وســــبعة ملايين نسخة أســـبوعيا ومجلة « نيوستيتسمان » ١٠٠ ألف ومع ذلك فان تأثير هــذه المجلة الصغيرة ونفوذها كان أقوى وأكبر .

السياسيون يقرأونها .. وكل مقالاتها تثير جدلا بين المثقفين لان رئيس التحرير يستهدف مستوى عاليا من الفكر والسياسة لا يستطيع الذين يملكون مقادير الامور الارتفاع اليه .

كان دائما يأمل فى الافضل والاحسن ويتوقع الاسوأ.

وكان معظم زعماء حزب العمال من أصدقائه ومع ذلك يحمل عليهم لانه يعارض الخضوع للتسويات التى تفرضها واقعية الحياة .

انه لا يقوم بنفسه كصحفى بتنفيذ اية عملية سياسية ومع ذلك يدعو الذين فى يدهم الامور الى أن يفكروا أولا .

***

ولا يمكن أن يقال ان هذه المجلة ـ وهى من نوع خاص ـ أثرت تأثيرا مباشرا فى سياسية الحكومات ولكنها ـ من غير شك ـ أثرت فى المناخ السياسى فى تفكير الجيل الجديد الذى تولى بعد ذلك مسئولية الحكم فى بريطانيا وفى دول كثيرة من العالم .

وقد التقى بساسة بلاده .. وبستالين وغيره من زعماء الاتحاد السوفييتى وعمل مع « برنارد شو » وغيره من الادباء الكبار .. وكان تأثيره الاكبر على المثقفين ..

وهدفه الاول والاخير المثل العليا ..

يرفض دائما فكرة الاختيار بين أخف الضررين .. بل يريد المثالية وكان من المستحيل أن يرتفع السياسيون وكثير من المثقفين الى مستوى مايطلب أو يريد .

***

ولم يسع للقوة ابدا ولذلك حرص على ان يتجنب خوض المعارك الانتخابية رغم ان حزب العمال عرض عليه اكثر من مرة دخول المعركة الانتخابية عن الحزب وكان من رايه انه يريد النفوذ لا القوة .

وفى شهور الحرب العالمية الثانية .. وبسبب حالته الصحية .. ولانه راى أهوال الحرب الاولى كان يتوقع

هزيمة بريطانيا ويريد أن يموت قبل أن يتعذب على يد الالمان فاحتفظ فى جيبه ببعض السم .. ونصح أصدقاءه بأن يفعلوا ذلك .. وظل متشائما فترة حتى أدرك سخف ما يفكر فيه فاستعاد روحه المرحة .. ونشاطه وبقى يكتب دون أن يهتز بالحرائق أو القنابل التى تتساقط على لندن كل يوم .

وكانت له بعد اعتزال رئاسة التحرير آمال بينها أن يعيش لوردا ويختار فى مجلس اللوردات .

وبعد أن يتولى هارولد ويلسون رئاسة الوزارة اعتقد الناس أنه سيهديه اللقب ولكن ويلسون اكتفى بأن يقدم اليه لقب « سير » فرفضه مارتن وقال .. انى أكبر من اى لقب .. انى لا أبنى شهرتى على لقب .. بل اعتبره اهانة .

***

والحقيقة أنه بنى شهرته على أساس أكبر من الالقاب .. بناها خلال ثلاثين عاما من العمل الصحفى المتصل يخوض كل أسبوع معركة مع نفسه .. ومع رجال السياسة ، والقراء ، ليصدر كل عدد وكأنه قطعة من نفسه .. واستطاع أن يؤلف ١٢ كتابا بينها كتابان هامان الاول عن الملكية هاجم فيه النظام الملكى .. وربما كان ذلك من أسباب عدم منحه لقب لورد .. والثانى « الصحافة التى يريدها الشعب » وفيه يحلق فى آفاق صحفية .. مثالية عليا سعى اليها أسبوعا بعد أسبوع فى كل سطر .. وفى كل مقال .. لا تجذبه الشهرة السريعة ولا شهرة النشر .. ولا يرغب فى أن يرى اسمه مطبوعا بحروف كبيرة .

كانت كلمة « ناقد » فى آخر كل مقـــال تعبيرا عن غايته فى الحياة .. ينقد بأسلوب رقيق ولامع .. متزن ومتحمس .. ينبض بالغضب وينطق بالصدق .. ويعارض بلاده ولا يخونها أبدا لانه يستهدف مثلا رائعا حتى وهو يطالب باستقلال المستعمرات مثل الهند .. فهو حريص على الصداقة بين بريطانيا والهنـد ، وبين بريطـــانيا والمستعمرات ، وهو يعـلم ان الاســـتعمار لن يدوم والصداقة باقية .

***

وظل أسلوبه فى الكتابة والعمل مثاليا يرى الجانب الطيب فى الناس ويرى انهم سيلتزمون الصـــواب اذا عرفوا الحقيقة .. والحقيقة تحررهم .

ورغم ان هذه المثالية ليست واقعية فان الصحفى العظيم لا ينبغى أن يكون واقعيـــا والا أصبح كرجل السياسة الذى يفاضل بين الممكن والمتيسر وأفضـــل الحلول العملية .. ان على الصحفى الدعوة للحق والايمان بالثورة الاجتماعية .

ولقد بلغ ايمانه بذلك حدا دعاه لان يقول لصديق له اثناء الحرب الثانية .

ـ انى أتمنى أن تظل هذه الحرب فترة أطول لانهـا تساعد على خلق الثورة الاجتماعية .

فقالت زوجته :

ـ لو كان لدينا أولاد .. ما همست بذلك أبدا ،

ولم يتسامح فى الصدق مرة .. ولا يعنى هذا ان كل ما نطق به هو الصدق بل ما يراه صدقا فحسب .

ولقد استطاع خلال ثلاثين عاما أن يحول مجلة يسارية من مجلة فاشلة الى مجلة يسارية تحس وأنت تقرأ كل عدد منها أن الكاتب على وجهه ابتسامة وفى يده أغنية ويترنم بأنشودة الحياة .. حاسته الصحفية قوية ويذكر الناس فى مجتمع رأسمالى .. بالاشتراكية .. لا اشتراكية حزب بالذات هو حزب العمال وانما اشتراكية التخطيط وليست عبادة الدولة .. يعلم ولا يعظ غايته تحرير الناس ووحدة العالم بشرط أن تنبع هذه الوحدة اختياريا .. ويعالج المشاكل السياسية والاجتماعية بوعى .. وبغضب .. بعاطفة .. وبفن .

ترك « كينجسلى مارتن » رئاسة التحرير بعد أن تولاها ثلاثين عاما .

تركها باختياره لواحد من تلاميذه وهو «جون فريمان» الذى استعان به حزب العمال ليكون سفيرا لبريطانيا فى الهند ثم سفيرا فى واشنطن .

***

وكانت المجلة فى أول عهدها تعظ .. فأصبحت ، فى عهد مارتن ، تعلم .

آمنت بأن مركز القوة فى كل دولة لم يعد داخل البرلمان وانما خارجه ولذلك حرصت على أن تكتب للقلة المثقفة وتسبق حزب العمال .. ولا تحارب معارك قديمة ربحتها أو خسرتها ، وانما تقدم كل يوم للجيل الجديد التزاما عاطفيا وسياسيا جديدا .

وقيل فى وقت من الاوقات ان مثل هذه الجريدة هى التى منعت اليساريين البريطانيين من الاتجاه الى الشيوعية كما حدث فى ايطاليا وفى فرنسا .

وقد حدد مارتن لليسار هدفا واضحا جنبه الانزلاق الى الشيوعية .

دعا « أبا بانت » سفير الهند فى القاهرة كينجسلى مارتن لقضـاء أسبوعين فى ضيافته .. وجاءت معـه زوجته « دوروثى وودمأن » .

ومارتن مريض قديم ..

فى شبابه أعفوه من الخدمة العسكرية أثناء الحـرب العالمية الأولى لانه مريض ولذلك تطوع فى الاسعاف .. ولكن الامراض تجمعت عليه فجأة .. ولم ينجح الطب .. ومات فى القاهرة فى فبراير ١٩٦٩ . وقالت زوجته وسط دموع الحزن ان زوجها أوصى قبل وفاته بألا يقام له قبر وأن يعطى جثمانه هدية للبلد الذى يموت فيه لتجرى على الجثمان أبحاث طبية .. أو ينتفع به طبيا .. ولذلك تركت جثمانه لمستشفى قصر العينى .

ولكن الجنازة الحقيقية لمارتن كانت فى الصفحات الاولى من صحافة الشرق والغرب على السواء ..

ومن الهنـــد اتصلت رئيسة الوزراء أنديرا غاندى بسفيرها فى القاهرة لتقدم العزاء .

وفى معظم الدول التى كانت يوما مستعمرات بريطانية أو خاضعة للحكم البريطانى .. خرجت الصحف تنعى الرجل الذى وقف قلمه للدفاع عن استقلال الشـعوب .. ضد بلاده .. ضد انجلترا .

فان مارتن كان نموذجا فريدا للصحفى العظيم .

***

ـ وتعاقب على المنصب ، بعد ذلك ، كثيرون ...

ولم تستطع المجلة ، نتيجة لعدم الاستقرار ونقص

الوضـوح فى الرؤية السياسية أن تسـتعيد مجـدها القديم .

تولى رئاسة تحريرها عام ٧٢ ريتشارد كروسمان الوزير العمالى السابق لمدة عامين .

وطلب اليه الاستقالة فرفض ونشر مجلس ادارة المجلة فى الصحف انه استقال فرد ببيان آخر يقول :

« لقد طردونى » !

وفى عام ٧٨ اختاروا الصحفى الاسترالى بروس بيج رئيسا للتحرير .

وكان يعمل فى جريدة « صانداى تايمس » الاسبوعية ثم اختلف مع رئيس تحريرها فاستقال وعين رئيسا التحرير « نيوستيتسمان » وبقى فى منصبه ٤ سنوات ثم عزلوه بلا مقدمات لانه لم يرفع توزيع المجلة وان منع هبوطها .

وقد تقرر عزله فى نوفمبر عام ١٩٨١ .

وبدأت المفاوضات فورا لاختيار رئيس تحرير جديد .

أصر المحررون على أن يكون لهم رأى وأصر مجلس الادارة وأخيرا اتفق على تشكيل لجنة تضم ممثلين لمجلس ادارة من المحررين وعمال الطباعة تقوم بهذه المهمة .

وطلبت اللجنة أن يقدم الراغبون فى المنصب طلبا يتم قبل ٣١ مارس ١٩٨٢ .

وتقدم خمسة لهذا الغرض بينهم الصحفى والاذاعى .

وحتى يمكن الاتفاق أختير كاتب يسارى هو هيوج ستيفنسون الذى عمل محررا فى صحيفة التايمس ثم أصبح كاتبا للافتتاحيات فى جريدة « الجارديان » .

وقد فاز ستيفنسون بأغلبية ٧ أصوات ضد ثلاثة .

وأصبح عليـه أن يعيـد مجد مجلة اليسار فى بريطانيا ..

ففى الوقت الذى زاد عدد القراء بصفة عامة انخفض توزيع المجلة الى ٣٢ ألف نسخة .

وارتفعت خسارتها السنوية عن الرقم المعتـــــاد فى السنوات الاخيرة وهو ٧٠ ألف جنيه الى ١٣٠ ألفا .

وقررت المجلة بيع مبناها والانتقال الى مخزن دجاج قديم !!!

قضيــة قــذف

كان « راسبوتين » فلاحا من سيبيريا .. ولم يكن في يوم من الايام راهبا .. ولكنه ادعى ذلك واستطاع الوصول الى قيصر روسيا وزوجته وأقنعهما بأن له قوة روحية خارقة وأنه يملك القـــدرة على شفاء ولدهمـا المريض .

وازداد نفوذ راسبوتين على القيصرة حتى ان رجال الأسرة المالكة آمنوا بأنه لا خلاص لروسيا الا بقتل هذا الراهب المزيف .

وفى ديسمبر عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الاولى دعا الامير « يوسوبوف » « راسبوتين » لتناول العشاء وقدم له طعاما مسموما ثم قـام الأمير مـع خمسة من أصدقائه باطلاق الرصاص على راسبوتين .

وانصرف الجميع ولمـا عاد « يوسوبوف » وجد ان « راسبوتين » لا يزال حيا بل حاول قتل الامير الذى أطلق عليه ٤ رصاصات أخرى ثم ألقى جثته فى النهر .

أمر القيصر بابعاد الامير الى سيبيريا ومنها انتقل الى باريس مع أسرته ليقيم فى فرنسا .

وبعد ١٠ سنوات نشر الامير « يوسوبوف » مذكراته التي روى فيها كيف خطط لقتل « راسبوتين » .

اختارت شركة مترو فيلمـــا اسمه « راسبوتين : الراهب المجنون » .

وفى هذا الفيلم يظهر أمير ـ ليس « يوسوبوف » ـ يلعب دورا هاما فى اغتيال الراهب المزيف .

وفى الفيلم أيضا تظهـر ناتاشا زوجة الامير كمعجبة « براسبوتين » .

وتقول الاميرة ـ فى الفيلم ـ لزوجها وهى تتحدث عن راسبوتين :

ـ ظننته جاء من الســماء ولـكنه مجرد رجل .. ولا أستحق أن أكون زوجتك .

ومن خلال المشاهد يبدو أن « راسبوتين » اما انه « اغتصب » ناتاشا أو أغراها !!

عرض الفيلم فى انجلترا فأقام الامير دعوى ضد شركة « مترو جولدوين ماير » منتجة الفيلم يطالب فيهــا بالتعويض للقذف فى حقه .

وقال الامير ان العالم كله يعرف انه الرجل الذى قتل « راسبوتين » .

والفيلم يقول ان زوجة الامير خائنة .

وفى ظل هذا الاتهام يبدو ان الامير قتل زوجتـه لسبب شخصى .

ولكن الشركة قالت ان شخصية الامير خيالية .. وان الذين شاهدوا الفيلم ، حتى من أسرة الاميرة لا يجدون صلة بينها وبين البطلة .

استدعت المحكمة الاميرة وسألتها :

ـ هل تريدين مالا أم تبتغين نفى تهمة الخيانة عنك ؟

اجابت :

ـ لا اريد مالا .

سئلت :

ـ وهل ستقيمين دعاوى ضد الـ ٢٢٠ دارا للسينما عرض فيها الفيلم ؟

أجابت بالايجاب ..

تداول المحلفون ساعتين ثم صدر الحكم بمنح الاميرة تعويضا قدره ٢٥ ألف جنيه وذلك فى فبراير عام ١٩٣٤ .. وهو يعادل ١٥٠ ألف جنيه بأسعار هذه الايام .

وأيدت المحكمة الاستئنافية هذا الحكم ..

وحصلت الاميرة على ربع مليون جنيه تعويضا فى القضايا التى اقامتها فى دول أخرى عرض فيها الفيلم .

***

لمع المثال الشاب خلال عامين ..

استدعاه رجال الكنيسة وأعضاء مجلس اللوردات والشعراء والفنانين .. وحتى الملكة ليصنع تماثيل لهم .

ونجح فى صنع تمثال للشاعر « بايرون » لا يزال حتى الآن قرب حديقة هايد بارك فى لندن .

وضاق زميل للمثال فنشر فى احدى المجلات انه شخصيا الذى قام بصنع معظم التماثيل وأن الفنان نسبها لنفسه .

ولم يجد المثال « بيلت » مفرا من اقامة دعوى قذف ضد زميله وجاء أستاذ المثال يشهد وكان هدفه هدم « بيلت » .

وكان الحل الوحيد هو احضار ٤٠ من تماثيل «بيلت» للمحكمة .. امتلأت بهم القاعة .

وجاء أصحاب هذه التماثيل يشــــهدون بأنهم رأوا « بيلت » وهو يصنع هذه التماثيل .. أمامهم !

ولم يجد « بيلت » مفرا من أن يعلن أمام المحكمة أنه مستعد ليصنع تمثالا سبق له عمله حتى يطمئن القضاء الى أن « بيلت » وحده يصنع التماثيل وترك للمحكمة أن تحدد الشخصية .. فاختارت تمثالا قديما أقامه لاحد مساعديه ليصنع مثله .

وخصصت غرفة فى دار المحكمة ليقوم فيها الفنـان بعمله ، ولم يسمح بدخول الحجرة الا للمحلفين وبعد ٣ أسابيع وضع التمثال الجـديد فى قاعة المحـكمة ورفع الستار عنه بين تصفيق الحاضرين .

وجاء النقاد ومثالون آخرون ليقول بعضهم ان التمثال الجديد لا يختلف عن التمثال القـديم .. والبعض قال بعكس ذلك .

وأخيرا قضت المحكمة بحق « بيلت » فى التعويض عما وجه اليه من قذف وقدرت المحكمة ذلك بـ ٥٠٠٠ جنيه ..

وأيدت ٣ محاكم استئنافية هذا الحكم .

ومما يذكر أن أحداث هذه القضية وقعت عام ١٨٨٢ وقد استغرق نظرها أكثر من عامين وكان عدد الشهود ٨٢ لصالح « بيلت » و ٦١ لصالح زميله ..

أما المحلفون فلم يحصلوا الا على جنيه واحد مقابل حضورهم كل الجلسات طبقا لما هو محدد لهم من أجر فى ذلك الزمان !

تعتبر معركة « جوتلاند » البحرية أكبر المعارك فى تاريخ الحرب العالمية الاولى ، وقد تحقق فيها انتصار ضخم لبريطانيا ضد ألمانيا .

جرت المعركة مساء يوم ٣١ مايو عام ١٩١٦ وأذاعت الحكومة البريطانية البلاغ العسكرى مساء ٢ يونيو .

كتب البلاغ بطريقة غريبة ..

قال ان « خمس سفن حربية بريطانية اغرقت وتعطلت سفينة وفقدت خمس سفن أخرى و .. » .

وقال البلاغ بعد ذلك ان « خسائر العدو خطيرة جدا وهى ... » .

وأفاض البلاغ فى وصف خسارة العدو .

ولكن البيان كان صدمة للشعب البريطانى لذلك رأى « لويد جورج » رئيس الوزراء ان يخفف وقع الصدمة على الناس فطلب من « ونستون تشرشل » أن ينشر تقييما للموقف العسكرى .

وكان تشرشل فى أوائل فترة الحرب وزيرا للبحرية ولكنه ترك منصبه .

كتب « تشرشل » مقالا وصف فيه المعركة بأنهـــا خطوة نهائية حاسمة نحو تحقيق النصر النهائى .

وانتهت الحرب عام ١٩١٨ بانتصار بريطانيا وأمريكا وحلفائهما على ألمانيا .

وبعد ٣ ســنوات أى فى عام ١٩٢١ ــ كان اللورد « الفريد دوجلاس » يرأس تحرير مجلة صغيرة فنشر مقالا اتهم فيه « تشرشل » بأنه كاتب أول بلاغ عسكرى عن معركة « جوتلاند » وأن الصياغة كان لها هدف مالى وهى أن تهبط أسعار الاسهم البريطـــانية فى بورصة نيويورك فيشترى صديق « تشرشل » السير « ارنست

كاسل » هذه الاسهم بسعر منخفض ثم يبيعها بعد ذلك بسعر عال عندما تعرف الاخبار الحقيقية .

وقال اللورد « دوجلاس » انه كان من نتيجة هـذه المؤامرة أن ربح السيد « كاسل » بين ٤٠ و ٥٠ مليون جنيه وأنه أعطى « تشرشل » عدة ألوف من الجنيهات ثمنا لكتابة البيان .

.. وكان « تشرشـل » عام ١٩٢١ وزيرا فاستشار النائب العام الذى نصحه قائلا :

ـ لا تهتم .

ولذلك أعاد اللورد « دوجلاس » نشر اتهامه لتشرشل مرة أخرى واصدر كتيبا صغيرا قال فيه :

« لو كان « تشرشل » قد نشر ضدى ربع أو خمس ما كتبته كنت آتى به الى المحكمة وأضع أنفه فى التراب» .

اضطرت النيابة العامة الى تقديم اللورد « الفريد » الى القضاء بتهمة القذف وذلك فى ديسمبر ١٩٢٣ .

وجاء الوزير اللورد « بلفور » يشهد بأنه الذى كتب بخط يده مسودة البلاغ العسكرى .

وكان السير « كاسل » قد مات ، فجاء سكرتيره يشهد بأن « كاسل » قدم لتشرشل هدية زواج عام ١٩٠٨ وأنه سبق أن استثمر أتعاب « تشرشل » عن تأليف الكتب وأنه خلال معركة «جوتلاند» قبلها وبعدها بشهور، لم يشتر أو يبع أسهما بريطانية .

لم يستغرق المحلفون سوى ٨ دقائق قرروا بعـدها أن اللورد « دوجلاس » مذنب وحبسوه ستة شـهور وغرامة مائة جنيه ونصحوه بحسن السلوك مع كل رعايا صاحب الجلالة ملك بريطانيا !

ففى اوربا وامريكا لا تعتبر قضايا القــذف جريمة يستحق عنها العقاب بل يستحق عنها التعويض المالى فحسب فهى قضية مدنية وليست جنائية .

وفى انجلترا وحدها تتحول قضية القذف الى قضية تعرف تهمتها باسم « احتقار المحكمة » ويقيمها النائب العام وحده .

ففى هذه الحالة يعتبر الامر جريمة ضد المجتمع .

والنائب العام البريطانى ، عادة ، لا يتحرك ايمانا منه بحرية الصحافة الا فى أحوال نادرة .. نادرة !

***

هارولد « لاسكى » كاتب سياسى شهير تولى رئاسة اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطانى .

بعد الحرب العالمية الثانية خطب « لاسكى » داعيـا لانتخاب حزب العمال فقال :

« لم يحدث فى التاريخ أن تخلت طبقة حاكمة عن امتيازاتها بطريقة سلمية ودستورية » .

وقال ان « الثورة فى بريطانيا ربما تحدث دون عنف ، ولكن اذا لم يستطع حزب العمال تحقيق برنامجـه بموافقة اجماع الشعب فان عليه استعمال العنف حتى ولو كان ذلك يعنى الثورة » .

كان ذلك عام ١٩٤٥ وسط حملة انتخـــابات عامة يخوضها تشرشل الذى انتصر فى الحرب بينما يقف ضده كليمنت اتلى وحزب العمال .

وخاف لاسكى ان تؤدى هذه الكلمات التى نشرتها احدى الصحف الى فشل حزب فى الانتخابات فأقام دعوى قذف ضد الصحيفة .

ولكن الشهود الذين حضروا الحفل الانتخابى أكدوا

أن « لاسكى » أدلى بهذه الكلمات ولذلك رفض المحلفون قضية لاسكى بعد مداولات استغرقت أربعين دقيقة .

وعجز لاسكى عن دفع مصروفات القضية التى بلغت ١٣ ألف جنيه فجمعها الناس فى تبرعات .

وفاز حزب العمال وهزم تشرشل .

***

قالت صحيفة «الديلى ميل» البريطانية أن «سافالاس» الذى يقوم بدور « كوجاك » فى الحلقات التليفزيونية لا يستطيع أن يكون نجما لان حياته الليلية تجعله ينسى سطورا من النص المكتوب عند تمثيله الافلام السينمائية .

وقالت الصحيفة « كوجاك » لا يمكن أن يكون ممثلا محترفا لانه يشرب الخمر كثيرا وقد جعله التصفيق يفقد اتزانه .

وهو مصاب بانفصام الشخصية مثل دكتور « جيكل » ومستر « هايد » وقد ألغت شركة يونيفرسال انتاج فيلم كانت بطولته ستسند الى « سافالاس » .

وصرح أحد المسئولين فى الشركة بأنها « ليست مستعدة للمقامرة بأموالها على فنان غير مسئول » .

أقام كوجاك دعوى قذف وتعويض ضد الصحيفة قال فيها أن الهدف من المقال الاضرار به كما أن مستقبله الفنى يتأثر بما نشر فقضت له المحكمة بتعويض ٣٤ ألف جنيه .

***

ونشرت صحيفة بريطانية عام ١٩٣١ صورة لاعب جولف وقد برزت من جيبه قطعة شيكولاته عليها اسم الشركة فأقام دعوى تعويض لاستغلال اسمه تجاريا بينما هو لاعب هاو غير محترف .

وقد قضت له المحكمة بالتعويض .

وكتب أحد الصحفيين البريطانيين عام ١٩٤٠ عن رجل اتهم بتعدد الزوجات وذكر اســـــمه .. وأما وظيفته فجرسون فى أحد البارات .

ولكن رجلا آخر يحمل نفس الاسم ويعيش فى بلد آخر قال انه المقصود رغم ان الصحيفة ذكرت اسم بلد الاول .

ولكن القضاء حكم للرجل بالتعويض .

***

وفى رواية « بيت السكر » التى نشرت عام ١٩٥٦ ذكر المؤلف اسما خياليا للبطلة فأقامت ممثلة مغمورة تحمل نفس الاسم دعوى قالت فيها ان الرواية تسىء اليها وتعتبر قذفا فى حقها فقضى لها بتعويض مائتى جنيه .

وقدمت احدى الصحف خبرا فيه اساءة لعميل سابق لادارة المباحث الجنائية يقضى اجازته على شاطىء ميامى .

ولكن هذا العميل اتهم الصحيفة بالقذف وأقام دعوى ضدها ..

دافعت الصحيفة بأنها لم تذكر اسمه وأن هناك عملاء كثيرين سابقين لتلك الادارة .. على شاطىء ميامى .

ولكن المحكمة طالعت الخبر وجاء الشهود يقولون ان ذلك الرجل بالذات يشير الى نفسه فى كل مناسبة بأنه عميل سابق .

وعلى هذا الاســـاس قضت المحـكمة بتعويض تدفعه الصحيفة يبلغ ٥٨٫٥٠٠ دولار .

وهو على فراش الموت قال لاصدقائه ان صـــديقته وضعت له السم فى الطعام .

ومات الرجل فنشرت احدى الصحف كلماته الاخيرة دون ذكر اسم الفتاة ولكنها فى دعوى التعويض قالت انها الصديقة الاخيرة للرجل والكل يعرف ذلك ومن ثم ترى أن هناك جريمة قذف .

قبلت المحكمة هذا المنطق وقضت بالتعويض .

***

كان فريق كرة القدم لولاية أوكلاهوما يفوز باستمرار فنشرت صحيفة ان الفريق يتعاطى أدوية وموادا منشطة قبل المباريات فأقام أحد أعضاء الفريق دعوى يطـالب فيها بالتعويض عن القذف .

قالت الصحيفة انها لم تذكر اسماء ولكن اللاعب قال ان التعميم يؤذيه وما دامت الصحيفة قد اتهمت الفريق كله فقد اتهمته أيضا .

قضت المحكمة للاعب بتعويض ٧٥ ألف دولار .

ولما رأى زملاؤه ذلك أقاموا دعاوى أخـرى قبلهـــا القضاء .

***

قبض على فتاة بتهمة السكر والعـربدة وأدينت امام القضاء فنشرت احدى الصحف اسم الفتاة .

وتبين ان ممثلة شهيرة سابقة تحمل نفس الاسم مع اختلاف فى حرف واحد فأقامت هذه الممثلة دعوى قذف وقالت أنه كان يجب على الصحيفة أن تبين أن الممثلة

ليست المذنبة خاصة وأن المتهمة ممثلة أيضا .
فوافقت المحكمة على حق الممثلة فى التعويض .

***

وقدمت صحيفة « مورننج جورنال » فتاة مجتمع مشهورة وقالت أنها تحاول صيد زوج .
فاعتبرت المحكمة ان هذا قذف وقضت للفتاة بتعويض ٣٠٠٠ دولار .

***

ونشرت احدى الصحف صورة جنرال من المكسيك ومعه خطيبته فأقامت زوجته دعوى تعويض عن القذف وقالت ان الجيران سيظنون أنها ليست زوجته .
وقالت انها انفصلت عنه ولكن الطلاق لم يتم فقضى لها بالتعويض وقدره ٥٠٠ جنيه .
وأقامت زوجة ملاكم دعوى تعويض عام ١٩٤٠ لان صحيفة « الاكسبريس » ذكرت أن زوجته تجلس فى كل مباراة تراقب زوجها .
ووصفت الصحيفة الزوجة بأنها مجعدة الشعر .
وقالت الزوجة انه يبدو مما نشر انها ليست زوجته لان شعرها غير مجعد فقضى لها بتعويض ٦٥٠ جنيها .

***

ونشر كاتب أمريكى عام ١٩١٧ نقدا لمسرحية « يقظة الربيع » فقال ان ذلك أسوأ عرض رآه على المسرح فى حياته .
فأقام بطل الرواية دعوى قذف ولكن المحكمة رفضتها وقالت :

« بما أنه لا يوجد قصد سيىء فمن حق النـاقد أن يسخر بلا حدود ما دام نقده أمينا عادلا » .

وقالت أيضا « ان من حق الناقد السخرية لانها أكبر سلاح مؤثر » .

***

ونعت صحيفة « نيويورك تايمس » رجلا ، ذكرت اسمه .

أقام الرجل دعوى على الصحيفة يتهمها فيه بالقذف فى حقه ويطالب بتعويض لان نبأ وفاته أزعجه وأدى لاحساس بالالم عند أسرته .

ولكن القضاء الامريكى رفض الدعوى على أساس انه ليس هناك قذف .

وقالت المحكمة :

« ان الموت ليس من صنع المدعى بالحق المدنى وانما هو قدره . وهو خبر غير سار قد يؤذى المدعى ، وقد يضايقه ، وقد يؤثر فى مشـاعره ، وهـذا الخبر نكتة سخيفة ولكن ذلك كله ليس مبررا للتعويض .

***

ونشرت احدى الصحف نبأ آخر عن وفاة رجل وقالت ان جثمانه يوجد فى عنوان كذا ، ونشرت العنوان .

أقام الرجل دعوى قذف لان العنوان المذكور هو مكان بار يملكه .

ومرة أخرى قال القضـــاء الامريكى انه لا يجـوز التعويض .

***

وحدث فى ٤ يناير عام ١٩٥٨ أن نشر فى الصفحة الاولى

ان رجال الشرطة هاجموا ليلا ناصية شارعين فى مدينة نيويورك وقبضوا على عشرة من المشتبه فيهم وأودعوا سيارة الشرطة ولكن المتهمين دخلوا السيارة من مؤخرتها وهربوا من مقدمتها واستغلوا الظلام فأحدثوا اضطرابا بين الشرطة وسرقوا عصيهم وهرب أربعة من المتهمين .

وذكرت « نيويورك تايمس » أسماء قائد الحملة وبعض رجاله فأقاموا دعوى تعويض عن القذف وقضت المحكمة بتعويض ٦١٢٥ دولارا لاحد رجال الشرطة و ٦٠٢٠ لآخر . وقالت المحكمة ان الصحيفة عمدت الى الترفيه عن القراء على حساب رجال الشرطة وأن الخبر لا يستحق النشر فى الصفحة الاولى من جريدة محترمة مثل « نيويورك تايمس » .

وقد اعتبرت صحافة أمريكا ان هذا الحكم يمثل تدخلا خطيرا من القضاء فى حرية الصحافة وأنه من الخطر على هذه الحرية أن يبحث القضاء أهمية أى خبر وصلاحيته للنشر فى أى من صفحات الجريدة .

***

نشرت « نيويورك تايمس » أيضا فى ٢٩ مايو عام ٦٠ اعلانا من لجنة الدفاع عن الزعيم الزنجى مارتن لوثر كنج تطلب تبرعات .

وقال الاعلان ان أنصار مارتن لوثر كنج قد ضربوا وأهينوا واعتدى عليهم كما تم اعتقالهم فى ولاية الاباما .

وحصلت الصحيفة على ٤٨٠٠ ثمنا للاعلان .

وباعت الصحيفة ٣٩٤ نسخة فقط فى ولاية الاباما فى ذلك اليوم .

ولكن مدير الشرطة طالب بتعويض قدره نصف مليون دولار ، وطلب المحافظ وآخرون من المسئولين تعويضات مجموعها ٣ ملايين دولار .

وقالوا ان الصحيفة لم تنشر أسماءهم ولم تكتب كلمة عن رجال الشرطة ولكن المفهوم ان الاعتقـــال والقبض ومطاردة المتظاهرين يقوم بها رجال الشرطة ولذلك فان من حقهم التعويض الضخم .

قضت محكمة « الاباما » بالتعـــــويض وأيدت ذلك المحكمة الاستئنائية ولكن الصحيفة طعنت فى الحكم أمام المحكمة العليا الاتحادية فى واشنطن .

قالت الصحيفة انها ليست مسئولة عما يرد فى اى اعلان .

وقد أخذت المحكمة العليـــــا بوجهة نظر الصحيفة ورفضت الدعوى وقالت « أن من حق الصحيفة القذف فى اى اعلان . ومن حقها الحماية حتى فى الاخبار الكاذبة وعندما تنشر عن اتهام البعض بالجرائم » .

وقالت المحكمة « ان الشرط الوحيـد للحصول على التعويض هو سوء النية عند النشر » .

ولكن « نيويورك تايمس » دفعت نصف مليون دولار مصروفات الدعوى الطويلة فان نفقات التقاضى مرتفعـة للغاية فى أوربا وأمريكا .

يموت بحثا عن صورة

وصل ستة من حراس السفارة الامريكية الى الفندق الذى يقيم فيه الصحفيون فى مدينة « سان سلفادور » عاصمة جمهورية السلفادور فى أمريكا الوسطى .

أخذ الحراس يحتسون الخمر ، ويتبادلون النكات ويتجاذبون الحديث مع الصحفيين الذين تباعدوا عنهم ليتركوهم للشراب .

وفجأة أمسك أحدهم بجهاز « الووكى توكى » ووضعه على أذنه فبدا وكأنه رسالة هامة .. ثم أسرع يهمس الى زميل له بكلمات لم يسمعها أحد .

اقتربت رءوس الرجال الستة ، ثم بدأوا يخرجون أجهزة « الووكى توكى » من جيوبهم ويتناوبون الهمس والاستماع اليها .

وتغير المشهد .

وقف أول الحراس وفى يده « الووكى توكى » ثم امسك بالكأس وألقاها على الارض وهو يلعن بكلمات غير مفهومة .

وجاء دور الثانى ليحطم الكأس فتتطاير شظاها ويسمع

صوتها بعض الصحفيين وأخذ الحارس يلعن كل من فى السلفادور .

والثالث .. حتى الاخير .

ثم أسرع الحراس جميعا .. وفى أيديهم المسدسات وحولهم الشظايا المتناثرة وكلماتهم تتابع « الووكى توكى » يقفزون الى السيارات ويستقلونها مسرعين .

أحس الصحفيون ان شيئا غير عادى يجرى فى المدينة يتصل بالسفارة الامريكية ذاتهـــا فأخذوا يجرون الى ســـياراتهم ، وعربات التاكسى ، وما توفـر لهم من موتوسيكلات وغيرها ، حتى وصلوا وراء الحـــراس ، الى مبنى السفارة الامريكية وهو أشبه بالقلعة تحيط به حراسة قوية من جنود الدولة .. وجنود أمريكا .

اختفى الحراس داخل السفارة بينما وقف الصحفيون خارجها يحاولون اختراق الحـــــراسة ، ويتبادلون المجاملات حينا ، والشتائم كثيرا مع الموظفين والحراس الآخرين محاولين دخول الســـفارة والوصول الى سر الحراس الستة .

واستمر الصحفيون عند الباب المغلق يـكاد جنـون الفضول يودى بعقولهم حتى عاد أحد الحراس الستة وقال للصحفيين وهو يبتسم :

ــ هيه .. ضحكنا عليكم !

قال الصحفيون فى دهشة :

ــ ماذا تعنى ؟

قال الحارس :

ــ أردنا التسلية ورأيناكم تحومون حولنا فقلنا لنعبث

بصحفيين يريدون خبرا .. وأنتم تجرون وراء المسئولين .. فأردنا أن تلهثوا ، يوما ، خلفنا !

وابتعد الحارس داخل السفارة وهو يضحك والصحفيون لا يصدقون حرفا مما يقول معتقدين أن الرجل يكذب ..

طال انتظار الصحفيين وظهر غضبهم فى أحاديثهم مع باقى الحراس الذين أبلغوا المسئولين بالسفارة .. فجاء المستشار الصحفى ليؤكد للصحفيين تلك الحقيقة ويعتذر اليهم عن « المقلب » السخيف !

عاد الصحفيون الى الفندق يتألمون .

وأسرع بعضهم يروى القصة فى برقيات الى صحف أوربا وأمريكا .

وظلت تدوى فى آذان الجميع كلمة المستشار الصحفى الامريكى وهو يقول لهم :

ــ ان أى انسان فى السلفادور يستطيع أن يعبث بكم ويجعلكم تتبعونه الى أى مكان .. بل ، أيضا ، الى قبوركم .

وكان الصحفيون يعرفون ان المستشار يقول الحق فان ٩ صحفيين قتلوا فى السلفادور خلال عامين من الحرب الاهلية .

وكان الموت ينتظرهم جميعا على عتبة فندق « كامينو ريال » حيث يقيم ٢٠٠ صحفى جاءوا من أوربا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية يغطون أحداث أغرب الحروب الاهلية فى هذا العصر .

السلفادور أصغر دولة في أمريكا الوسطى ، هزمتها اسبانيا عام ١٥٢٦ وظلت تحتلها نحو ٣٠٠ عام حتى استقلت عام ١٨٣٩ ، وعدد السكان ٥ ملايين نصفهم من الاميين ويمثل البن نصف الصادرات .

ويحكم البلاد ـ منذ عامين ـ مجلس ثورة من ٥ أعضاء اثنان من العسكريين وثلاثة من المدنيين اختاروا من بينهم جوزيه نابليون دوراتى رئيسا للجمهورية .

وهذا المجلس يتبعه جيش مؤلف من ٢٢ ألف جندى .

وهناك ضابط سابق فصل من الجيش يرأس فرقا للموت تقتل الثوار ، وكل من تشك فى انتمائه للشيوعيين او من تظنه من رجال العصابات .

وهناك رجال العصابات ينتمون لـ ٥ جبهات أو جماعات عددهم ٥٠٠٠ يهددون قوات الجيش وفرق الموت أيضا .

ورجال العصابات يتلقون المعونة من كوبا .

وأمريكا تخشى زحف الشيوعية الى السلفادور ، وتخاف من انتصار العصابات ، ولذلك أمدت الحكومة بمعونة اقتصادية تبلغ نحو ٢٠٠ مليون دولار وأرسلت ٥٥ مستشارا عسكريا لتدريب الجيش .

وفي الولايات المتحدة انقسم الرأى بالنسبة لمساعدة السلفادور .

فريق يخشى أن تتورط الولايات المتحدة في السلفادور فتتكرر تجربة فيتنام . وهؤلاء يقولون ان المساعدات الامريكية كانت ١٠ ملايين دولار ظلت ترتفع حتى وصلت

الى رقم ۲۰۰ مليون دولار والمستشارون العسكريون كانوا ۲۰ فارتفع الرقم الى ٥٥ .

وفريق آخر يطالب بوقف زحف الشيوعية الى أمريكا الوسطى .

وفى ظل هذا الموقف المعقد جاء ۲۰۰ صحفى الى السلفادور يتابعون أخبارها ليروا هل ستتكرر تجربة فيتنام ، أو تجربة كوبا ، فى أمريكا الوسطى .

***

فى العاصمة « سان سلفادور » يوجد فندق واحد به أجهزة للتليكس وهو « كامينو ريال » .

وفى هذا الفندق يقيم كل الصحفيين .

والحكومة تريد جذب الصحفيين اليها ، وكذلك فرق الموت والثوار أيضا .

ولكن الصحفيين لا يستطيعون مغادرة الفندق ليلا فالثوار على بعد ۳۰ ميلا من العاصمة وهم يحتمون بالغابات .

ولا يستطيع الصحفى ، أن يتحرك وحده ، خوفا من رصاصة غادرة فان الثوار يقتلون الصحفيين ويتهمون الحكومة ..

والحكومة بدورها تقتل الصحفيين وتتهم الثوار .

وكل طرف يريد أن يبين لواشنطن أولا ، وللعالم بعد ذلك ، ان الطرف الآخر هو القاتل وأنه لا يستحق مساعدة من أى نوع .

باختصار كل طرف يريد أن يربح معركة الدعاية أولا، ويستميل الصحفيين أو يقتلهم .

وكل طرف يقسم الصحفيين قسمين : معه أو ضده .

وهناك ضابطان للجيش يتبعان الحـــكومة ويدليان بتصريحات للصحفيين عن المعارك .

ولكن الصحفي عندما يسأل أحد الضـــابطين ، أو كليهما ، سؤالا فان الجواب فى أغلب الاحوال :

ــ لا أعرف .

وراديو الثوار يذيع من الغابات مرتين فى اليوم ، فيذكر أنباء المعارك . ولذلك ينتقل الصحفيون الى هذه الاماكن بحثا عن الحرب .. والقتال والخسائر فى الارواح فان ٣٢ ألفا قتلوا خلال العامين الماضيين .

***

والحياة تبدأ فى فندق « كامينو ريال » فى السابعة صباحا .

يرتدى الصحفي قميصا أزرق أو أسود عليه كلمـات بالاسبانية تقول :

« صحفى .. لا تطلق النار » .

وعلى السيارات ، وعلى عربات التليفزيون كلمـــات « صحافة » ، « وتليفزيون » بخط عريض مضافا اليها بالاسبانية أيضا :

« صحافة .. لا تطلق النار » .

ويسمع كل صحفى فى المصعد ، وفى قاعة الطعام ، وفى البهو ، وفى البار ، اشاعات كثيرة عن الاماكن التى وقعت ، أو ستدور ، فيها المعارك .

ويتلقى كل صحفى مكالمات مجهولة تطلب منه الانتقال الى هذه البلدة ، أو تلك ، حيث سيكون القتال .

ويتعاون الصحفيون فيما بينهم لتغطية هـذه الانباء

الصحيحة أو الكاذبة ، فيستقلون معاعربات الميكروباس ، ولو كانوا في مكان آخر ، أو ظروف أخرى ، ما تبادلوا كلمة واحدة .. ولكنه اليأس الذي يجمعهم .

ويخرج الصحفيون جماعات وراء الاشاعات ، أو الى المدن المجاورة ، كل يوم ، لعلهم يظفرون بقصة تصلح للصحف .

ومشكلة الصحفيين ، رغم صعوبتها ، تبدو سهلة بالقياس الى مشكلة التليفزيون .

ان الصحفيين يجتمعون معا في المساء يتبادلون الاخبار .. ولكن مصور التليفزيون يجب أن يكون في مكان « الموقعة » والا ما استطاع تصوير القتال .

وعندما يختفي فريق صحفي من الفندق فان الآخرين يسرعون ، بحثا عنه ، ويتبعونه الى أى مكان ، حتى لا يظفر الفريق الاول بالقصة المثيرة .

ولذلك فان الصحفيين المقيمين في « كامينو ريال » يتابعون بعضهم البعض ويتعقبون زملاءهم و« يتجسسون » عليهم .

والحظ يلعب الدور الرئيسي في هذا السباق الصحفي .

سعيد الحظ من يجد معركة أمامه فان التليفزيون الامريكي لا يقدم الا صور القتال ولذلك يدفع للصحفي « بدل سفر » أو « بدل قتال » أو « بدل موت » .. ؟ دولار كل يوم !

والصحفي الحقيقي لا يبحث عن المال .. بل ان هذه الدولارات هي التي تمكنه من تأجير السيارات ، ورشوة

الدليل ، واجتذاب الفلاحين الذين يعرفون أين يوجد الثوار .

والصحفيون لا يتبعون الثوار فحسب .. انهم يقفون عند التقاء الطرق فى الريف ، ليرصدوا أية دورية للجيش ، فيسيرون وراءها ، اعتقادا منهم انها لابد تتجه الى مكان الثوار .

وعندما يعجز الصحفيون عن الوصول الى المعارك فانهم يتجهون الى المقابر ..

هناك يجدون أرملة تبكى أو طفلا يندب أباه أو ... فيلتقطون الصور ويجرون الاحاديث ويعرفون أين جرت المعركة ويصورون مكانها .

ولكن التليفزيون لا يستطيع أن يقدم كل يوم صورا للمقابر . فان التجديد والابتكار مطلوبان يوميا .

ويذيع راديو الثوار ، بصفة دائمة ، أنباء المذابح الجماعية التى ترتكبها قوات الحكومة فينتقل الصحفيون الى المناطق فيكتشفون أن أغلب القصص وهمية ..

ومع ذلك فان الصحافة لا تستطيع الا أن تجرى وراء الحقيقة والاشاعة .

والحكومة تعقد مؤتمراتها الصحفية فى الفندق ولكن الصحافة لا تهتم بهذه المؤتمرات اذ تراها مجرد دعاية .

فى أحد المؤتمرات تكلم المتحدث باسم الحكومة باللغة الاسبانية فقال له صحفى أمريكى :

— تكلم بالانجليزية .. فان دافع الضريبة الامريكى هو الذى يعطيك مرتبك .

وامتنع المتحدث الرسمى مرة أخرى عن اصطحاب الصحفيين الى مكان معركة فقال صحفى امريكى :

ــ من حق دافع الضرائب الامريكى أن يرى كل شيء .

وثمن هــذه « الوقاحة » رصــاصة قاتلة فى أغلب الاحيان لا بطريق العمد ولكن لان الرصاص هو أسلوب الحياة فى السلفادور .

وأصبح الصحفى مقاتلا رغم أنفه .

انه يهبط تحت سيارته عندما يسمع رصاص فان كلمة صحافة لا تعنى الحماية .

والصحفى يستعين دواما بمترجم يعــرف الاسبانية والانجليزية ليكون وسيطا بينه وبين رجال الحكومة أو الثوار .

ولا توجد صحافة تعانى العذاب مثل الـ ٢٠٠ صحفى الذين يعيشون هذه الايام فى السلفادور .

***

حدث أن أذاعت الحكومة بيانا قالت فيه أنها أسرت جنديا كوبيا مع الثوار .

أسرع فريق صحفى الى المكان المحدد ليثبتوا تدخل كوبا ، ولكن الســـــيارة توقفت وسط الاراضى المغمورة بالماء .

واضطر الصحفيون الى دفع ٨٠ دولارا لفلاح جاء ومعه ثوران لرفع السيارة من الطين .

ووصل الصحفيون الى نقطــــة الحراسة فقال لهم الجندى :

ــ الضابط نائم .

قالوا :

ــ والكوبى .

قال الجندى :

ـ قتل .

قالوا :

ـ وأين دفن ؟

قال الجندى :

ـ سلوا الضابط .

وانتظر الصحفيون فى العراء حتى الفجر عندما استيقظ الضابط ليقول لهم أنه لا يعرف شيئا .. ولكن مرشدا من أهالى المنطقة أخذ الصحفيين الى نقطة بعيدة حيث وجدوا رجلا فى فمه سيجار كوبى فلما اقتربوا قال لهم بالاسبانية :

ـ هل معكم كبريت ؟

وأدرك الصحفيون انهم وقعوا ضحية دعابة كلفت كلا منهم مبلغا لا بأس به حصل عليه المرشد للارشاد عن الكوبى المزعوم !!

***

ووجدت قوات الحكومة اسم صحفى هولندى مع احد رجال العصابات القتلى فاستدعت الصحفى لتسأله فنفى صلته برجال العصابات . وقال انه يوسط الكثيرين لعله يلتقى بأحد الثوار فانه وثلاثة من زملائه الهولنديين يقومون بتصوير فيلم تسجيلى لحساب احدى محطات التليفزيون الهولندية .

استمر التحقيق مع الصحفى الهولندى ٥ ساعات ثم اطلق سراحه .

وفى اليوم التالى نشرت الصـــحف المحلية صـــورة الصحفى أثناء التحقيق معه .

وفى اليوم الثالث اذاعت فرق الموت قائمة بأسماء ٣٥ صحفيا كان من بينهم أسم الصحفى الهولندى فقال له زملاؤه :

ـ حاذر .. اهرب وزملاءك .

وفى اليوم الرابع جاء صحفى المانى ليقود الصحفيين الهولنديين الاربعة الى مكان المعركة .

وكان مع الصحفى الالمانى طفل من أهالى السلفادور .

لاحظ السائق أن دورية من الجيش تتبع ســيارته فاسرع يضللها ونجح فى ذلك حتى وصل الى تقاطع طريق بعيد عن العاصمة فأشار الصبى الى الســـائق بالوقوف .

قال الصحفى الالمانى للهولنديين :

ـ هذا المكان لا يعجبنى .. سأعود .

قال الصحفيون الهولنديون :

ـ لقد صورنا الجزء الاول من الفيلم عن الحياة فى العاصمة . ونريد تصوير الجزء الثانى عن الحياة فى الريف وسط الحرب الاهلية .

وعاد الصحفى الالمانى .. وبقى الهولنديون يتقدمون داخل الغابات .

***

بعد ٢٤ ساعة اذاعت حكومة الســـلفادور بيانا فى فندق « كامينو » قالت فيه ان الصحفيين الهولنـديين الاربعة قتلوا أثناء معركة دامت ٤٠ دقيقة وقعت بين

قوات الجيش ورجال العصابات .

أحس الـ ۲۰۰ صحفى بشبح الموت داخل الفندق .

ولكنهم انتقلوا الى مكان المعركة التى قتلت زملاءهم .

ولم يكن هناك سباق بين الصحفيين هذه المرة .

ولم تكن هناك محاولة للفوز بخبر أو قصة .

كان كل صحفى ينعى نفسه .

وكانوا يحاولون الوصول الى سر الجريمة فان قتل صحفى ، ليس صاحب رأى ، بل هو مراقب محايد للأحداث ، يسجلها بالكلمة والصورة ، يعتبر جريمة .

قال بعض الفلاحين :

ـ رأينا الصحفيين يخترقون الغابة وبعد دقائق سمعنا رصاصات متفرقة .

قال الصحفيون :

ـ اذن الجريمة .. حقيقية .

ونشر الصحفيون ان قوات الحكومة قتلت اربعة منهم لارهاب الجميع .

ولم يقل البيان الحكومى ان الثوار هم الذين قتلوا الصحفيين . بل ذكر ان الصحفيين وصلوا الى منطقة للعصابات كان الجيش يراقبها . وقد وقع الصحفيون بين الطرفين المتحاربين .

ولكن الصحفيين الآخرين قالوا :

ـ بل وقع الصحفيون فى كمين دبره رجال الجيش .

واضطرت الحكومة الى تشريح جثث الصحفيين لتثبت انه لا توجد آثار احتراق للجلد حول مكان اختراق

الرصاص .. فان « الحروق » تدل على ان الرصاص أطلق من منطقة قريبة .

وقال بيان الطبيب الشرعى « أن الصحفى الاول وجد رصاصة فى قلبـه ، والثانى فى عينه والثالث فى رأسه .. الخ » .

رد الصحفيون قائلين :

ـ وهل يقتل الصحفى الا فى قلبه وعينه وراسه !

وبكى الصحفيون زملاءهم فان آخر ضحية للصحافة فى السلفادور قتل قبل عام ولذلك كان وقع المفاجأة عنيفا على الصحفيين جميعا .

لقد ظنوا أنهم نجـوا من الموت ولكن ها هو يعوض فترة السماح التى استمرت ١٢ شهرا كاملا .

***

جاء رئيس الجمهورية « دوراتى » الى فندق «كامينو» ليطمئن باقى الصحفيين .

أيد بيان الحكومة عن طريقة مصرع الصحفيين ، وقال أنهم كانوا يتحركون فى منطقة يسيطر عليها الثوار وتحت حمايتهم .

ووعد بأن يلزم قوات الحكومة بحمـاية الصحفيين الاجانب . وأنه سيجرى تحقيقـا آخر وسيشترك الصحفيون فى هذا التحقيق .

وقال للصحفيين :

ـ لقد سبق تحذير هؤلاء الصحفيين بالذات . من خطر الذهاب الى مناطق تسيطر عليها العصابات .

قال :

ـ اذا أردتم الذهاب الى حيث لا نستطيع حمايتكم فكيف يمكننا ذلك .. ولماذا تذهبون ؟!

قالوا :

ـ انه نداء الواجب ، والتزام الصحفى ، وضغط الصحف ومحطات التليفزيون علينا لنكون حيث لا ينبغى أن نكون اذا أردنا حماية أرواحنا .. ولكننا نريد أن نقدم للقراء والمشاهدين ما نعتقد انه حق لهم .

***

احتج اتحاد الصحفيين الهولنديين على المأساة وقامت المظاهرات فى العاصمة وعدة مدن أخرى .

واتحدت أحزاب هولندا فى ابداء الاسف والرثاء لمصرع صحفيين فى أرض بعيدة لا تهم هولندا فى كثير أو قليل .

ولم تتحد الجبهات المتصارعة فى السلفادور فى حماية الصحفيين لان كلا يريد القاء تبعة الجريمة على الآخر .

ولهولندا قنصل فى السلفادور ولذلك أوفدت الحكومة سفيرها فى المكسيك الى سان سلفادور ليجرى تحقيقا .

وتحول الصحفيون الى الطبيب الذى قام بتشريح جثث زملائهم يسألونه عن حروق حول الرصاص ، وفى قلب كل صحفى كان هناك أكثر من حريق .

وعرض التليفزيون الهولندى الجزء الاول من الفيلم التسجيلى الذى صوره الصحفيون الاربعة وهم اثنان من المندوبين ومصور ومهندس للصوت .

واحست هولندا وأوروبا التى عرض فيهما الفيلم

أيضا بالثمن الفادح الذى دفعه الصحفيون من أجل فيلم تسجيلى .

ولم يعرف ، وربما لن يعرف أبدا ، اسم قاتل ، أو قتلة ، الصحفيين .

هل قتلوا مصادفة فى معركة ؟

هل قتلهم رجال العصابات ليبينوا فساد الحكم فى السلفادور ؟

وهل قتلتهم السلطات غضبا من الصحفيين الاجانب انتقاما لسعيهم الحثيث للحصول على الجانب الآخر من الصورة والرأى الآخر فى بلاد السلفادور ؟

ومهما يكن القـــاتل ، أو القتلة فان الجريمة حققت هدفها .

تدفق مزيد من الصحفيين على الســلفادور بدعوى متابعة أخبار الانتخابات التى تجرى لاختيار ستين فى البرلمان الجديد .

وربما يكون السر فى وصول الصحفبين انهم يريدون ان يثبتوا لانفسهم ، وللعالم ، أن الصحفى لا يعبأ بالخطر وأنه ينتقل حيث يحلق الموت فوق رأسه ويلاحقه من كل مكان .. ومن كل الخصوم .

وفى كل الاحوال نجح القتلة ..

أصبحت السلفادور موضـــوعا رئيسيا فى صحافة العالم .

كل الصحف كتبت عن السلفادور .

البعض اهتم بالحرب الاهلية لانها تؤثر فى سعر البن وقدح القهوة فان الثورة والعصابات أحرقت مزارع البن وهبطت بالانتاج الى حده الادنى فزاد الفقر .

والبعض اهتم بتجربة فيتنام المتكررة والصراع بين اليمين واليسار فى أمريكا الوسطى .

والبعض يعنيهم من القصة جانبها الصحفى ليكتبوا عن الزملاء الذين قدموا حياتهم ، دفعة واحدة ، ثمنا لخبر وصورة .. والبعض يدفعون حياتهم قطرة قطرةِ ، وكل ساعة وكل يوم ، بحثا عن خبر أو عن صورة ، أو عن مادة ينشرونها تثير القارىء وتجذب اهتمامه ، وتدفعه لمزيد من التفكير !

حرب الايام الستة
فى شارع الصحافة

فى المطار .. سألوه :

ـ لماذا تسافر الآن بالذات ، الى نيويورك ؟

اجاب :

ـ سأقيم حفل عشاء فى بيتى الليلة بمناسبة عيد ميلادى الـ ٥١ .

انتقل الصحفيون يسألون زميلهم الصحفى :

ـ وهل صحيح ان « هارولد ايفانز » رئيس تحرير صحيفة « التايمس » استقال من منصبه .

أجاب :

ـ هذا السؤال لا يوجه لى . . اسألوه .. هو !

قالوا :

ـ ولكنك مالك « التايمس » .

تخلص من الجواب لأنه يريد اللحاق بالطائرة ..

وأدرك الصحفيون فى مطار لندن صحة الاشاعة ما دام مالك الصحيفة « روبرت ميردوك » لم يسارع الى نفيها .

***

اشترى « ميردوك » صحيفة « التايمس » وزميلتها الاسبوعية « الصانداى تايمس » فى فبراير عام ١٩٨١ .

واشترطت الحكومة البريطـــانية ، لاتمام الصفقة ، تعيين ٦ مديرين مستقلين من الشخصيات العامة يتولون اختيار رئيسى التحرير لضـــمان اســــتقلال الصحيفتين وحتى لا يوجههما « ميردوك » لصالح أعماله المالية .

وعلى الفور اختير « هارولد ايفانز » رئيس تحـــرير « الصانداى تايمس » رئيسا لتحرير « التايمس » .

وايد المديرون الستة والعاملون فى الصحيفة هـــذا الاختيار فان شهرة ايفانز كصحفى ليست محل شك .. أبدا ..

***

ابوه سائق قطار و « ايفانز » اشتغل بالصحافة وعمره ١٦ سنة وخدم فى السلاح الجوى والتحق بالجامعة ثم عاد للصحافة فى الاقاليم .

واختير مديرا لصحيفة « الصـــــــانداى تايمس » الاسبوعية ثم رئيسا لتحريرها عام ٦٧ وظل يشغل هذا المنصب ١٤ سنة متصلة استطاع خلالها أن يرفع توزيع الصحيفة الى مليون ونصف مليون نسخة اسبوعيا وأن يرفع سعرها أيضا .

خصص الصفحة الاخيرة لبرامج التليفزيون .

وخالف التقاليد المتبعة فى صحافة بريطانيا التى تنشر الرياضة فى الصفحة الاخيرة فجعلها فى صفحة داخلية .

ووجد أن رئيس القسم الرياضى جامد العقلية لا يعرف الفن الصحفى الحديث رغم أنه أمضى فى عمله ١٧ سنة فعين له مساعدين استطاعوا ان يحققوا هدف « ايفانز » .

وكانت أفكار « ايفانز » واضحة .

ان الذين يدخلون الميدان الرياضى كل عام ، لاعبين

ومتفرجين ، يريدون عمقا أكثر فى الموضوعات ، ويريدون معرفة أكثر بالشخصيات الرياضية . ولا تستطع الصحيفة أن تكتب عن كل الاحداث الرياضية فى عدد واحد ، ولكن ما تكتبه عن أى موضوع يجب أن يكون شاملا .

ونجحت صفحات الرياضة ومنهـا بدأت الحملات الصحفية .

فى كل مناسبة ، وفى كل خبر ، لا يرسل مندوبا واحدا بل يبعث بفريق متكامل من المحررين يغطون كل التفاصيل .

وفى حرب عام ٦٧ نشر ١١ صفحة فى عدد واحد .

وقام بحملة ، الهدف منها ، اكتشاف مرض السرطان مبكرا .

وحملة أخرى لصالح الاطفال الذين يولدون مشوهين نتيجة تناول الامهات أدوية معينة .

واشترى مذكرات كبار الشخصيات العامة ، والمجرمين ، والجواسيس أيضا .. فان هذه المذكرات تصبح محل تحليل وتعليق فى الصحف .. وفى البيوت .

وعندما استقال « جورج براون » ، فجأة ، من منصب وزير الخارجية .. كان « ايفانز » فى مكتبه يتفق معه على شراء مذكراته .

ويوم قرر رياضى عجوز فى الخامسة والستين أن يسافر وحده بقارب صغير من انجلترا الى استراليا تعاقد ايفانز على شراء يوميات الرحلة ، وكاد احد المحررين أن يموت وهو يلتقط ، من الجو صورة للرياضى العجوز قرب راس الرجاء الصالح وقاربه شبه محطم تتقاذفه الامواج .

وكلف نقاد الصحيفة أن يكتبوا تعليقا ونقدا لـ ١٢٠٠ كتاب كل عام .

وعهد اليهم بتأليف كتب فى الموضوعات الحيوية التى تنشرها الصحيفة على أن تتحمل الصحيفة كل النفقات وينال الصحفى ٤٠٪ من دخل الكتاب .

وادخل فى الصحيفة قسما للسيارات تديره سيدة ، وقسما للطفل يعلمه الالعاب الرياضية ، وثالثا للمرأة ، ورابعا للرحلات ، وخامسا لحماية المستهلكين .

واختار أفضل المراسلين ..

فى مآدب المشـــــاء التى يقيمها فى بيته « هنرى براندون » مراسل الصحيفة فى واشنطن ، بين الضيوف ، وزير الخارجية الامريكى ومدير المخـــــابرات ومعظم السياسيين الذين يديرون سياسة الولايات المتحدة .

وكان يكتب بعض القصص بنفسه .

ويطوف أقسام الصحيفة يوجه ، ويلهم ، ويعاون .. ويسمع شكاوى الصحفيين ومشاكلهم العائلية ويحضر حفلات زواج الشبان منهم .

وعندما سمع باستقالة « مايكل راندال » رئيس تحرير صحيفة « الديلى ميل » قال :

ـ هذا الصحفى لا يمكن أن يعتزل العمل .

وعرض عليه منصب مدير التحرير للأقسام الاخبارية فى صحيفة « الصانداى تايمس » .

ووافق « راندال » لانه أدرك أنه سيعمل مع صحفى كبير .

ومع الحماس الصحفى كان لابد أن يخطىء « ايفانز » . كتب أحد محرريه كلمات يعلق بها على صورة نشرتها

الصحيفة فاعتبرت النيابة هذه الكلمات جريمة وقدمته الى المحاكمة .

ولقد حدث أن حوكم رئيس تحرير نفس الصحيفة عام ١٩٢٠ وقضى بحبسه ٣ شهور كما حوكم رئيس تحرير « الديلي ميرور » عام ١٩٤٩ وحبس ٣ شهور أيضا .

ولكن القاضي لم يأمر بحبس ايفانز بل غرمه ٥٠٠ جنيه فقط .. دفعتها الصحيفة .

وقال القاضي :

ــ ان هناك نظاما في كل الصحف لمراجعة ما ينشر لمنع ما قد يكون قذفا ، أو يكون ، مايسمى ــ في بريطانيا ــ تهمة احتقار المحكمة .

ولكن اى نظام قد يحدث فيه خلل نتيجة للعــــامل الانساني كما حدث في القضية .

وقالت المحكمة :

ــ ان رئيس التحــــرير يجب ان يتحمل المسئولية كاملة . ولكن يشترط لذلك أن يكون على علم بالخطأ الذي وقع ، وأن يقره .

وما دام لا يعرف فانه لا يعتبر مســـئولا ولا يوجد ما يدعو لسجنه لان أحدا لا يتوقع أن يقرأ رئيس التحرير كل كلمة تنشر في الصحيفة .

ورفع « ايفانز » شعارا يقول :

« الصحيفة كائن حي . يجب ان يتغير ويتبدل ، تنتشر أو تموت » .

وقال :

« الكلمة المطبوعة يجب ان تناقش وتسجل الحقيقة »

وقال :

« ان الصحف تمر بدورات . وكل دورة تستمر زمنـــا

معينا ولا تدوم الى الابد . ويجب أن تنجح الصحيفة خلال دورتى » .

وبالفعل نجح ، ونجحت الصحيفة خلال الـ ١٤ سنة .. فقد مات العالم القديم الذى كان يحيط بصحيفة « الصانداى تايمس » ونشأ عالم جديد يواجه المطالب المتغيرة للصحيفة .. وللقراء .

***

واختار « ميردوك » « ايفانز » رئيسا لتحرير « التايمس » فى فبراير ١٩٨١ .

وبدأ « ايفانز » عملية التغيير من الداخل .

شجع ٥٤ من قدامى الصحفيين على الاستقالة ومنحهم تعويضات عن مدة خدمتهم بلغت ٤٠٠ الف جنيه . واصبح عدد المسئولين الكبار فى الصحيفة ١٣ منهم ٥ عينهم « ايفانز » .

ولكنه عين بدلا منهم ٥٨ منحهم مرتبات أكبر .. وبذلك زاد متوسط الاجر السنوى فى الصحيفة من ١٤٫٧٢٥ جنيها الى ١٥٫٧٥٠ جنيها .

ورفع توزيع « التايمس » بنسبة ٥٠٪ كان ٢٨١ الفا فارتفع الى ٢٩٧ الفا .

وبدأت الصحيفة تأخذ موقفا متحررا يخرج بها عن جمودها التقليدى ..

انها لا تكتفى بالاتجاه المحافظ بل تكتب عن الحزب « الاشتراكى الديمقراطى » الجديد فى بريطانيا .

وهى تفسح المجال لكل الآراء .

واصبحت « التايمس » صحيفة حية يطالعها جانب من الشباب ..

ولم يوافق المحررون القدامى على هذا الاتجاه فانهم يرون ان « التايمس » يجب أن تعكس وجهة نظر الحكومة البريطانية وحدها .. ويجب أن تعبر عن آراء بريطانيا العظمى .. فان هؤلاء المحـــــررين يعيشون بعقلية الامبراطورية البريطانية وعقلية « التايمس » عندما كانت اختصاصاتها أن تقيم الثورات والانقلابات والحروب .

***

اعتادت محطة تليفزيون « جرانادا » البريطانية أن تقدم ، فى بداية كل عام ، أشهر صحفى فى بريطانيا خلال العام السابق وذلك فى برنامجها الشهير « أقوال الصحف » . وتطلق عليه « صحفى السنة » .

وفى يناير ٨٢ اختارت « هارولد ايفانز » أو « هارى » كما يسميه زملاؤه فانه منذ اختياره رئيسا للتحـرير لاول مرة عام ٦٧ رفض أن يقال له السيد « هارولد » أو السيد « هارى » !

ولكن فى فبراير وقع خلاف بين «ايفانز» ونائب رئيس تحرير التايمس « شارل دوجلاس هيوم » الذى قــرر الاستقالة .. ولكن « ميردوك » طلب اليه البقاء .

وكان « هيوم » يطمع فى رئاسة التحرير عندما أختير « ايفانز » بدلا منه ..

وكمظهر للتحدى أعلن « شارل هيوم » ذلك فترددت الاشاعات بأن خلافا نشأ بين صاحب الصحيفة «ميردوك» ورئيس التحرير « ايفانز » ولكن « ميردوك » سارع الى

نفيها . وأصدر بيانا نشر فى الصفحة الاولى من التايمس — يوم ١١ فبراير — قال فيه :

« هذه اشاعات خاطئة ، خبيثة وكاذبة ، وتخدم أغراضا خاصة . وان مزايا « ايفانز » وصفاته معترف بها فى العالم كله » .

وهدأت الاشاعات شهرا كاملا .. ثم انفجرت يوم ١١ مارس .

واتصل مندوبو الصحف الاخرى بايفانز يسألونه فرفض أن يرد — تليفونيا — على أحد .

ولكن فى مطار لندن قال « ميردوك » :

— سلوا « ايفانز » .

فأكد بذلك صحة الاشاعة لانه لم يسارع الى نفيها كما فعل قبل شهر .

ومنذ نشر النبأ فى صحف لندن صباح يوم ١٢ مارس أصبحت « التايمس » خبرا يتقدم الاخبار الآخرى في كل صحف بريطانيا وتنشره بالعناوين الضخمة « المانشيتات » .

***

فى اليوم التالى — ١٣ مارس — ألقى « ميردوك » ، من نيويورك ، بقنبلة :

قال :

« طلبت يوم ٩ مارس من « ايفانز » — ٥٣ سنة — أن يستقيل من رئاسة تحرير صحيفة « التايمس » وعرضت على شارل دوجلاس هيوم منصب رئيس التحرير » .

واصبح على « ايفانز » أن يرد :
وكان أمامه ٣ خيارات :
ـ الاستقالة .
ـ الاستمرار وتحدى « ميردوك » .
ـ جمع مجلس المديرين الستة لاتخاذ قرار معه أو ضده .
ولكن « ايفانز » اكتفى بأن يعلن انه مستمر فى عمله كرئيس للتحرير .
أما « هيوم » فقال :
عرض على المنصب وقبلته وسأشغله عند خلوه !
وتتابعت قذائف وقنابل « ميردوك » من نيويورك ومن ادارة شركاته فى لندن .
قال :
ـ « ايفانز » وافق على الاستقالة ولكنه يتفاوض الآن فى شروط التسوية المالية لانه تعاقد على رئاسة التحرير ٧ سنوات وقد أمضى منها عاما واحدا .

***

وبدات الصحف تتكلم عن أعظم كرسى لرئاسة التحرير فى العالم .
وانقسمت الصحف بين مؤيد « لايفانز » ومؤيد « لميردوك » حسب استقلال كل رئيس للتحرير ، ونفوذه داخل صحيفته .
وبعض رؤساء التحرير كانوا يؤيدون زميلهم المهدد بالفصل .
والبعض ايد صاحب الصحيفة فقد طلب منهم ذلك .
قالت « الديلى اكسبريس » المحافظة :

ـ لا يستطيع رئيس التحرير أن يبقى متى فقد ثقة صاحب الصحيفة .

ـ من حق رئيس التحرير أن يحرر الصحيفة بالطريقة التى يراها . ولكن ليس من حقه أن يستمر فى منصبه .

ـ ان « التايمس » اعتادت أن تعكس وجهة نظر الحكومة ، ولكنها تتجنب ذلك الآن . ولا تقدم بديلا واضحا .

ـ « التايمس » يجب أن تتكلم لغة بريطانية واحدة ازاء الاجانب .

ـ اذا أراد صاحب الصحيفة أن يحولها الى اليمين فمن حقه ذلك ـ ان ما يتهم به « ايفانز » هو زيادة ميزانية تحرير الصحيفة وعين كثيرين وهو يرد على ذلك بأنه لا توجد ميزانية ثانية للصحيفة كما ان الادارة لم ترفض طلبا قدمه بتعيين محرر واحد أو أكثر ولم ترفض ما يريده من نفقات .

ـ العلاقة بين « ايفانز » و « ميردوك » أصبحت صعبة ولا يمكن اصلاحها .

ـ دون تخفيض ميزانية الصحيفة بعنف فانها ستفلس . ولن تكون هناك صحيفة صغيرة أو كبيرة .

وقالت الاكسبريس ساخرة من « ايفانز » :

« لو أنه مات قبل ١٢ شهرا لاعتبر أشهر صحفى فى بريطانيا لانه نجح فى « الصانداى تايمس » .

أما « الجارديان » اليسارية نوعا ما فقالت :

ـ من الواضح أن « ايفانز » لن يبقى طويلا فى منصبه .

ـ مهما ادى رئيس التحرير عمله بجدية فان احدا لن يستطيع انقاذه من صاحب الصحيفة .
ـ الى اى حد يستطيع رئيس التحرير ان يبقى فى منصبه اذا اغضب صاحب الجريدة .
ـ ما ضمانات حرية الصحافة فى انجلترا واستقلال رؤساء التحرير الآن .

***

وقالت « الاوبزرفر » اليمينية :
ـ خسرت « التايمس » ١٥ مليون جنيه خلال السنة الماضية . و « ميردوك » مستعد لاحتمال الخسارة اذا ظلت الصحيفة قوة سياسية . ومستعد أن يتقبل الصحيفة اذا ربحت ماليا ولكن أن تفقد الصحيفة نفسها كقوة سياسية ومالية أيضا فهذا ما لا يتحمله .
ـ ما جرى فى الايام الماضية يمثل حلقة من مسلسلة « دالاس » وقد سبق نشر اعلان عن « التايمس » فى محطات المترو وفيه يظهر قيصر وهو يطعن من الخلف .. اشارة الى أن « ايفانز » يطعن من الخلف من محرريه .
ـ لم يستطع « ايفانز » تعبئة المحررين وراءه حول مبدأ استقلال الصحفى والدفاع عن حق رئيس التحرير فى ادارة الصحيفة وحده .
ـ حصل بعض الكتاب الذين عينهم « ايفانز » على مرتب ٣٠ الف جنيه سنويا مما اغضب الآخرين .
ـ الصحيفة أفضل فى عهد « ايفانز » ولكنه ليس ساحرا . انه يحتاج الى وقت والى صبر والى فرصة اكبر مما منحها له « ميردوك » .

أن الصحف مثل ناقلات البترول العملاقة صعب ان تغير اتجاهها فجأة .

***

ونشرت « التايمس » نفسها نبأ الخلاف فى الصفحة الاولى بقلم اثنين من المحررين وعرضت وجهتى النظر كاملتين مع « ميردوك » وضده ، ومع « ايفانز » وضده ولكنها كانت تميل ناحية « ايفانز » لانه كان لا يزال يرأس تحريرها وهو الموعز بالنشر بطبيعة الحال .

واكدت « التايمس » نفسها أن صاحب الجريدة طلب من رئيس تحريرها .. الرحيل !

ونشرت « التايمس » افتتاحية عن ميزانية بريطانيا ومشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية وكان المقال يشير الى مشاكل رئيس التحرير نفسه .

***

قدامى الصحفيين فى جريدة « التايمس » انتقدوا « ايفانز » ..

اعترفوا بأنه صحفى عظيم ولكنهم قالوا انه ادخل تغييرات فى الصحيفة بحيث لا يستطيع أحد أن يتعرف عليها .

وقالوا أن « ايفانز » قام بتجميل وجه « التايمس » وأصبحت تبدو أجمل ولكن « التايمس » شىء آخر غير مجرد وجه جميل .

وقالوا ان رأى « التايمس » يتغير كل يوم بينما يجب أن تكون ثابتة على راى .

وقالوا ان عددا منهم استقال احتجاجا على التغيير الذى طرأ على الصحيفة منذ جاء « ايفانز » .

والصحفيون الشبان ، وكذلك الصحفيون الذين جاء بهم ايفانز من « الصانداى تايمس » قالوا ان المشكلة تتركز فى أمر واحد مدى استقلال رئيس التحرير وهل ينبغى أن يخضع لهوى صاحب الصحيفة .. وأين حرية الصحافة .

وكان أعنف هجوم وجه الى « ميردوك » من نائب رئيس التحرير لشئون التحقيقات الصحفية « انتونى هولدن » الذى عينه « ايفانز » :

قال « هولدن » :

« ان « ميردوك » يريد من الصحيفة أن تتجه الى اليمين . وقد عارض بعض ما نشرته الصحيفة من أخبار وآراء بالنسبة لبولندا والسلفادور وأمريكا والتفرقة العنصرية داخل بريطانيا واضراب عمال السكك الحديدية .

ان « ميردوك » يتدخل فى سياسة الصحيفة وتحريرها .

وهو يريد من « التايمس » أن تؤيد « ريجان » فى أمريكا ، و « تاتشر » فى بريطانيا .

وقيل « لايفانز » اجمع المحررين والق فيهم خطابا تشرح فيه الموقف .

وكتب « ايفانز » الخطاب وفى آخر لحظة عدل عن الخطة كلها .

وقالت « الصانداى تايمس » التى ظل « ايفانز » يرأس تحريرها ١٤ سنة .

انخفض عدد مؤيدى « ايفانز » وقد وافق على الرحيل

وغالبية العــــاملين فى الصحيفة أيدوا خليفته « شارل دوجلاس هيوم » .

ــ اهتمام الصحفيين فى الجريدة يتركز فى صفحة الراى فقد هبط مســــتواها تدريجيا وبذلك اصبحت الصحيفة لا تستحق الانقاذ .

وقالت « الصانداى تايمس » أيضا :

ــ أن المحررين يقولون أنهم ورئيس التحـــرير كانوا يعانون ضغوطا مستمرة من صــــاحب الصحيفة فى الشهور الاخيرة . وقد نفى « ميردوك » ذلك .

* ما دار فى الصحيفة خلال الايام الماضية يستحق أن يكون مسلسلا يعرضه التليفزيون من ١٣ حلقة ليقرر المشاهدون من المخطىء ومن المصيب .

* ستبحث لجنـــة برلمانية الامر لتقرر مدى حق الصحف وبالذات الاجانب فى ادارة صحفهم .

* ان معنويات الصحفيين تنخفض بشدة .

قال الصحفيون « لميردوك » : من حق « ايفانز » ان يستقيل طواعية .

* ان مجلس المديرين لا يعارض عزل « ايفانز » ولكنه يعارض طريقة العزل .

* أن « شارل هيوم » ينفى أنه اشـــترك فى تدبير مؤامرة لعزل « ايفانز » وهو ليس مسئولا عن اتخـــاذ استقالته وسيلة لذلك .

* قـــد يرى مجلس المـــديرين ان الحل الامثل هو اختيار رجل ثالث غير « ايفانز » أو « هيوم » ليراس تحرير الصحيفة .

وهكذا فان « الصانداى تايمس » أمسكت بالعصا من وسطها ولم تؤيد « ايفـــانز » تأييدا كاملا خـوفا من « ميردوك » أن يطرد يوما ما رئيس التحرير الجـــديد للصانداى تايمس وحاولت أن تكون موضوعية بنسبة كبيرة وأن غلبها الميل لصاحب الجريدتين .

***

أصبح واضحا أن « ايفانز » سيضطر الى الاستقالة فان المديرين لم يجتمعوا من تلقـــــاء أنفسهم بل ان تصريحاتهم للصحف أجمعت على ان الحل ســــيكون طبيعيا .

ولكن المعركة تحولت لتصبح اتهامات قذرة متبادلة .

أحد محررى « التايمس » الكبار أذاع فى الراديو حديثا قال فيه :

« هناك مذكرتان بعث بهما « ايفانز » الى « ميردوك » يومى ٢١ ، ٢٤ فبراير يقول فى احداهما :

ـ اعطنى رايك فى أفضل الوسائل لمناقشة ميزانية بريطانيا .

وفى المذكرة الثانية يقول :

« هذه سلسلة مقالات ستنشر فى الصحيفة قل لى رايك فيها » .

وقال الصحفى الكبير :

ـ « ان رئيس التحرير المستقل لا يطلب من صاحب الجريدة رايه فى مثل هذه الامور .

انه لا يدافع عن اســـتقلال الصحيفة بل يريد راى صاحبها أولا .. ويبحث عن توجيهه وارشاده فى قرارات

خاصة بالتحرير وحده . هل هذا هو الرجل الذى يجب أن يبقى فى الصحيفة ويدافع عن استقلالها ويصونه » .

ووزع الصحفى حديثه على الصحف البريطانية التى نشرته .

وقال أنصار « ايفانز » :

« هيوم وحده الذى يعلم بهذه المذكرات والهدف منها معرفة رأى صاحب الجريدة فى شئون تترتب عليها التزامات مالية .

وكان واضحا ان الدفاع عن « ايفانز » ضعيف وأن الرجل حرص على ارضاء « ميردوك » والانصياع لرغباته ولكن « ميردوك » كان يريد الانحناء التام .

استمرت المعركة ستة أيام من ٩ مارس الى ١٥ مارس.

وحرص « ميردوك » على أن يذكر أن محامى «ايفانز» يتفاوضون على التسوية المالية لانهاء العقد والتعويض فقد أصبح الموقف مليئا بالمرارة داخل الصحيفة مشبعا بالاتهامات المتبادلة القذرة .

وقيل ان مرتب ايفانز ٥٠ أو ٥٣ أو ٥٥ ألف جنيه سنويا وأنه يريد تعويضا قدره البعض بربع مليون جنيه وقدره آخرون بنصف المليون .

وقيل ان الضرائب فى بريطانيا سترتفع أبتداء من ٥ ابريل ولذلك فان من مصلحة « ايفانز » أن يتفق فورا .

اذا حصل على تعويض ربع مليون فانه سيتقاضى منها الآن ١٨٢ الفا وبعد ٥ ابريل سيتقاضى ١٢٦ ألفا والباقى يذهب للضرائب الجديدة .

واذا حصل على نصف المليون سيخصه منهـا الآن ٣٥٧ الفا وبعد ٥ ابريل لن ينال سوى ٢٢٦ الفا .

واكتفى « ايفانز » بأن يقول نحن الآن فى الحلقة ١١ من مسلسل « بورجيا » وسننتظر الحلقة ١٢ .

ولكن فى ١٥ مارس أى بعد حرب الايام الستة استدعى « ايفانز » محرريه وكاميرات التليفزيون ووقف أمامها يتلو استقالته ويقبل سـكرتيرته ويقول للمحررين وللصحيفة « وداعا » .

وفى اليوم التـالى اجتمع مجلس المديرين ليعين « شارل دوجلاس هيوم » رئيسا للتحرير .. وهو ابن شقيق رئيس الوزراء السابق وقريب للأميرة ديانا زوجة ولى عهد بريطانيا .

ونشرت الصحف ساخرة أن « ميردوك » طلب من السيدة « مرجريت تاتشر » أن يبحث « لايفانز » عن وظيفة مناسبة وقدمت الصحف اقتراحا بأن يكون رئيسا لهيئة السكك الحديدية لان والده كان سائق قطار !

وفى واشنطن أعلن رئيس تحرير « واشنطن بوست » انه عرض على « ايفانز » أن يعمل معه .

ولم تتحرك صحيفة بريطانية واحدة دفاعا عن «ايفانز» أو استقلال « التايمس » وأصبح واضحا أن الصحيفة ستسير على هوى « ميردوك » الذى حرص على أن تكون المعركة علنية حتى يعرف الجميع أنه السيد الوحيد فى الصحيفة وأنها ستعبر عن رأيه .

وفى نفس الوقت حرص « ايفانز » أيضا على أن

تـــكون المعركة علنية حتى يعرف الجميع أن التـــايمس المستقلة قد ماتت وأنه آخر رؤساء تحريرها العظام !

***

والغريب فى الامر أن ميردوك طرد قبل ذلك رئيس تحرير « نيوز أوف ذى ورلد » الاسبوعية بعد شرائهـا بفترة قصيرة .

استدعى الرجل وطلب منه الاستقالة وأعطاه تعويضا قدره ١٠٠ ألف جنيه . وترك الرجل مهنـــة الصحافة كلها .

ولكن الامر تم فى ٣ دقائق ولم تعرفه لندن الا بعــد وقوعه .

و « نيوز أوف ذى ورلد » صحيفة فضائح ولذلك فان الصحافة لم تبك لخروج رئيس تحــريرها .. أما بالنسبة للتايمس فالوضع مختلف تمــــاما خاصة وأن المساومات استمرت ٦ أيام كاملة .

***

ولقد شاءت الظروف أن يتكرر طــرد رئيس تحرير « التايمس » مرتين فليس « ميردوك » أول من طرد رئيس تحرير « التايمس » .. بل هناك سابقة أخرى وقعت عام ١٩١٩ .

والفرق بين الحادثين أن الاولى تمت فى سرية مطلقة .. ولم تنشر الصحف البريطانية كلمة واحدة عنها .. تعففت الصحف فلم تنشر غسيلها القذر أمام القراء .

ومن ناحية أخرى فان رئيس التحرير المستقيل فى المرة الاولى أبى أن يسىء الى صحيفته أو يشهر بها أو

يفضح صـــــاحب الصحيفة .. أو ينتقم منه فيشوه الصحيفة التى أحبها .

أما صاحب الصحيفـة فقـد خاف أو مسه الخجل فمنعه من أن يقول أنه طرد رئيس تحرير «التايمس» .

وكان صاحب الصحيفة أو مالكها فى الحالة الاولى بريطانيا .. أما « ميردوك » فانه استرالى .

وأوجه الشبه فى الحـالتين أن المالك مليونير .. وصحفى أيضا .

***

كان اللورد نورثكليف قد اشترى صحيفة «التايمس» من أصحابها عام ١٩٠٨ .

وفى عام ١٩١٢ طلب الى رئيس التحرير « باكل » الاستقالة ...

و « للتايمس » فى ذلك الحين شهرة خاصة وهى أن رئيس تحريرها يبقى سنوات فى منصبه .

« توماس بارنس » أمضى فى منصبه ٢٤ سنة .

و « ديلين » ظل رئيسا للتحرير ٣٦ عاما .

أما « باكل » فانه عمل رئيسا للتحرير ٢٨ سنة .

واختار « نورثكليف » « جوفرى دوسون » رئيســا للتحرير .

وبعد ٦ سنوات ونصف السنة أصبحت العلاقة متوترة للغاية بين « نورثكليف » و « جوفرى دوسون » وذلك عام ١٩١٩ .

راى دوسون أنه لا يستطيع أن يعمـــل فى صحيفة لا يسمع فيها الا صوت مالكها .

وأما « نورثكليف » فقد اراد من رئيس التحرير ان ينفذ أوامره حرفيا .

وكان اللورد صاحب طموح سياسى يريد أن يكون مندوبا لبلاده فى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس بعد اعلان الهدنة وتوقف القتال الذى استمر ٤ سنوات فى الحرب العالمية الاولى .

بعث « لويد جورج » رئيس الوزراء ببيان الى الصحيفة فأمر « نورثكليف » بنشره فى صفحة داخلية بينما أبرزت « التايمس » تصريحات وخطب القاها اللورد « نورثكليف » .

وفى ذلك الحين كانت « التايمس » تنشر الاعلانات المبوبة فى الصفحة الاولى .

وأراد « نورثكليف » مهاجمة « لويد جورج » حتى لا ينجح فى الانتخابات فلما نجح اتهم « دوسون » بانه لم يهاجم رئيس الوزراء كما ينبغى .. وكما يستحق .

وعندما الف لويد جورج الوزارة وأصبح شقيق « نورثكليف » وكيلا للخارجية اصر اللورد على ضرورة الهجوم على التشكيل الوزارى ووصفه بالضعف فرفض « دوسون » .

ويحاول الرجلان عدة مرات تسوية خلافاتهما ولكن « نورثكليف » يبعث ببرقيات ورسائل متلاحقة الى رئيس تحرير « التايمس » ينتقد فيها سياسته .

ويطلب أن تكتب « التايمس » افتتاحيتها عن خطبة لصاحبها فيعتذر « دوسون » .

ويصر اللورد على أن تهاجم الصحيفة رئيس الوزراء ولكن « دوسون » لا يستجيب .

ويكون رئيس التحرير ضيفا دائما فى الحفـــــلات الاجتماعية التى يحضرها رئيس الوزراء فيسمع بذلك اللورد فيغضب لانه يرى ان سياسة الصحيفة وتحريرها لا يجب أن يتم من خلال الحفلات ومآدب العشاء .

ويزداد غيظ اللورد لانه عرف ان « دوسون » ينتقده علنا فى أحاديثه التليفونية وكان اللورد يستعمل عمـال التليفون جواسيس له حتى ان كبـــــار المحررين كانوا يمتنعون عن الحديث فى سويتسش الصحيفة العمومى .

ولم يكن « نورثكليف » يخفى انه يفعل ذلك بل — فى لحظات صفوة — كان يقول للمحررين ما تحدثوا به فى التليفون .

***

ويلتقى اللورد ورئيس تحريره .

انفجر اللورد غاضبا وقال :

ـ انى مصمم على تسيير الامور بطريقتى .

أجاب دوسون :

ـ لا فائدة من الحديث بهذه الطريقة ولا أريد أن أبقى فى « التايمس » اذا لم أكن مطلوبا .

انت تقول اسما ورمزا وشــــفاهة انك تؤيد رئيس الوزارة والحقيقـــة أنك تحـرجه وتدمره بهذه الطريقـــة ولا استطيع أن أدير صحيفتى مثل باقى صحفك .

ويتجمد الموقف حينا ولكن اللورد فى لحظة غضب يكتب لرئيس التحرير :

« اذا لم يعجبك سلوكى فأرجوك أن تتخذ طريقا من اثنين :

حاول أن تلتقى بى وجها لوجه .

أو :

اترك منصبك » .

رد « دوسون » :

« انى راغب فى الاستقالة عندما يرغب أصحاب الصحيفة . واذا كان على أن انقاد لميولى ورغباتى لاستقلت منذ زمن » .

لجأ اللورد لطريقة ماكرة ليتخلص من عقدة الذنب ..

قال :

« لا أريد انهاء علاقة سارة اثر مناقشات حادة وكان من العدل أن تبلغنى من قبل انك تريد الاستقالة » .

ويبعث « دوسون » باستقالة رسمية ولكنه يبقى فى منصبه حتى تم اختيار رئيس القسم الخارجى « ويكهام ستيد » رئيسا للتحرير وحتى يتسلم منصبه .

وبعد ذلك يبعث « دوسون » للصحف بنص استقالته ويطلب من الصحف عدم التعليق عليها .

وعندما يتم هذا كله يبدا الرجلان فى مناقشة التسوية المالية .

***

وتمر السنوات .

ويموت « نورثكليف » .

وتتغير ملكية التايمس .

وبعد ٤ سنوات من ترك المنصب يعود « دوسون » لرئاسة التحرير عام ١٩٢٣ فيكتب لصاحب الجـــريدة شروطه قائلا :

« من حقى كرئيس للتحرير أن أرفض نشر الاعلانات التى لا أراها مناسبة .

وان اختار الصحفيين كما أريد » .

ويوافق المالك الجديد اللورد « استور » .

ويبقى « دوسون » فى منصبه ١٨ سنة و ٩ شهور حتى عام ١٩٤١ اى أنه أمضى فترتين رئيسا للتحـرير مجموعهما ٢٥ سنة أو أكثر قليلا .

وخلال تلك المدة يحافظ على التقاليد الصحفية كما يرأها والامبراطورية البريطانية كما يتمناها ويكون قلمه عاملا أساسيا فى اعتزال ادوار الثامن أو دوق وندسور العرش عام ١٩٣٦ ليتزوج السيدة المطلقة ــ مرتين ــ التى أحبها .

ويموت « دوسون » بعد اســــتقالته الثانية ب ٣ سنوات .

***

والسؤال الآن ..

هل سيعود هارولد ايفانز بعد شهور أو سنين .

والجواب : لا اظن .

فان « التايمس » بتقاليدها القديمة لن تعود !

جريدة .. للبيع!

اول واكثر الصحف انتشارا فى الولايات المتحدة كلها اذ توزع يوميا ٥ر١ مليون نسخة .

وفى أيام الاحاد يرتفع الرقم الى مليونى نسخة .

ومجموع ايرادها السنوى يصل الى ٣٥٠ مليون دولار من الاعلانات والتوزيع فهى الصحيفة الثالثة من حيث الايراد .

ومبناها ثمنه ـ الآن ـ نحو ٢٠٠ مليون دولار .

وعدد العاملين فيها ٣٨٠٠ بينهم ١٥٠٠ صحفى .

وقد نالت هذه الصحيفة ٥ جوائز بولتزر وهى أرفع الجوائز الصحفية الامريكية كما نالت عدة جوائز اخرى بوصفها متفوقة فى الاخبار والصور والكاريكاتير المسلسل .

هذه ـ باختصار ـ الارقام التى تعبر عن صحيفة « ديلى نيوز » التى تصدر فى مدينة نيويورك .

ورغم هذه الحقائق فانهم يفكرون فى بيعها منذ ٤ سنوات وعرضت رسميا للبيع منذ ١٨ ديسمبر عام ١٩٨١ .

وقد تقــــدم البعض لشراء المبنى الذى أقيــم عام ١٩٣٠ ..

ولكن الصحيفة نفسها لم تجد مشتريا حتى الآن .. لان بالصحيفة ١١ نقابة للعمال ترفض الاستغناء عن أحد العاملين بينما يجب فصل ٤٠ فى المائة منهم حتى يمكن الموازنة بين الايرادات والمصروفات فان الصحيفة خسرت فى العام الماضى ١٢٫٦ مليون دولار .

وينتظر أن تبلغ الخسارة هذا العام بين ٢٥ و ٥٠ مليونا .

ونقابات العمال تعارض الاستغناء عن أحد من العمال لان هناك اتفاقا بين ناشرى الـ ٣ صحف اليومية فى نيويورك يقضي بأن الاستغناء عن عامل فى احدى الصحف يتبعه ــ تلقائيا ــ الاستغناء عن عامل مماثل فى كل من الصحيفتين الاخريين .

وقد دفعت الصحيفة ٦ ملايين دولار تعويضا لنقابات العمال مقابل الاستغناء عن ٢٣٥ من الـ ٤٠٠٠ موظف وعامل الذين يشتغلون بالصحيفة .

ومن ناحية أخرى فأن تجديد المطــابع يحتاج الى ٦٠ مليونا .. وقد رفضت الشركة مالكة الجريدة الموافقة على انفاق هذا المبلغ .

واغلاق الصحيفة ليس عملية سهلة فان مكافآت ترك الخدمة للعاملين بين ٤٠ و ٦٠ مليون دولار . والشركة مالكة الصحيفة ملزمة بدفع جزء من هذه المكافآت قبل الاغلاق .

ومن هنا أصبحت مشكلة الصحيفة معقــدة للغــاية

والحل الوحيد العثور على مشتر يملك المال .. ويملك القدرة على التفاوض ، أو ارغام ، العمال على الاستغناء عن ٤٠ ٪ منهم .

والدول العربية تتكلم كل يوم عن أجهزة الاعلام الغربية ، وعدم وقوفها وراء الحق العربي بينما اكبر الصحف الصباحية توزيعا في أمريكا تطلب مشتريا ..

وفي أغسطس ١٩٨١ أغلقت صحيفة «واشنطن ستار» المسائية دون أن تجد مشترين .

***

ولقد حاولت « ديلى نيوز » أن تتغلب على مشاكلها الاقتصادية منذ أكثر من عام .

اصدرت طبعة مسائية عرفت باسم « هذه الليلة » وكانت تريد أن توزع ٣٠٠ الف كل يوم ، ولكن خلال عام انخفض التوزيع الى ٨٠ الف نسخة .

وخسرت الصحيفة خلال عام حوالي ٢٠ مليون دولار فاضطرت الى اغلاق الطبعة المسائية والاستغناء عن ٦٣٠ صحفيا .

الآن لا تستطيع دار النشر الاستمرار في الخسارة بسبب صدور جريدة « ديلى نيوز » الصباحية التى كانوا يطلقون عليها « صخرة جبل طارق » باعتبار انها قوية لا تموت !

ويقع المركز الرئيسى لدار النشر في مدينة شيكاغو ، وهي الدار رقم ٤ في مجموع ما توزعه من صحف وايراداتها تبلغ ٣٣٥ مليون دولار سنويا .

وقد اشترى هذه الدار فريقا للعبة « البيسى بول » بمبلغ ٢١ مليون دولار .

أما رئيس مجلس ادارة هذه الدار فمرتبه السنوى ٤٠٠ آلاف دولار .. واذا أحيل الى المعاش يتقاضي ١٥٠ الف دولار سنويا مضافا اليها ٧٥ الفا للقيام بوظيفة مستشار .

واذا مات تتقاضى زوجته ٥٠ ألف دولار سنويا حتى آخر عمرها !

***

ويوم صدرت « ديلى نيوز » صباح السبت ٢٦ يونيو ١٩١٩ كانت تصدر فى نيويورك ٨ صحف صباحية و ١٠ صحف مسائية .

وبعد ٤٢ عاما انخفض عدد هذه الصحف الى ٤ صباحية و ٣ مسائية .

الآن تصدر فى نيويورك « نيويورك تايمس » صباحية و « نيويورك بوست » مسائية وهناك صحيفة « وول ستريت جورنال » التى تصدر من نيويورك وتطبع أيضا فى عدة مدن أمريكية فى نفس الوقت .. وهذه الجريدة تهتم بالاقتصاد فهى صحيفة لرجال المال والاعمال تحصل بسهولة على الاعلانات .

أما جريدة « بوست » المسائية فقد خسرت أيضا ١٢ مليون دولار فى العام الماضى .

ولا تبقى سوى صحيفة « نيويورك تايمس » التى تتمتع بمركز مالى قوى ولذلك ينتظر أن تستمر وحدها فى نيويورك .

ومحنة الصحافة الامريكية ، وهي محنة الصحافة في العالم الغـــربى كله ، تتركز في انتشار التليفزيون واجتذابه للمعلنين كما ان القراء تركوا المدن المزدحمــة وانطلقوا يعيشون في الضواحي .

ونتيجة لذلك انتقلت المحلات التجارية الى الضواحي أيضا ، وبذلك أصبحت الصحف الـكبرى عاجزة عن الوصول الى القراء .. والى المعلنين أيضا .

***

وفي أمريكا يجرون احصاءات على قراء الصحف .

وقد ثبت من الاستفتاء والاحصاء ان ٣٦ ٪ من قراء جريدة « ديلي نيوز » يملكون البيوت التي يعيشون فيها و ١٧٪ منهم يحصلون على دخل ســنوى يزيد على ١٥ الف دولار و ١٦ ٪ من هــؤلاء القـــراء حاصلون على شهادات جامعية .

ورغم هذا كله فان هؤلاء القراء عاجزون عن انقاذ هذه الجريدة .

***

ولقد صدرت « ديلي نيوز » فيظروف غريبة .

كان ناشرا صحيفة « شيكاغو تريبيون » يحاربان في اوروبا أثناء الحرب العالمية الاولى فشاهدا أعداد جريدة « ديلي ميرور » التي صدرت في لندن عام ١٩٠٣ في نصف حجم الصحف اليومية أى في حجـم مجلة آخر ساعة .

ورأى الناشران تقليد هذه الصحيفة فأصدرا « ديلي نيـوز » في نيويورك ولـكنهما خسرا في السنة الاولى ١٫٠٣٢٫٠٠٠ جنيه .

واجتمع مجلس الادارة ليبحث نتائج التجربة الجديدة .. وقرر أعضاء المجلس اغلاق الصحيفة ثم قاما بأخذ الاصوات على القرار .

ولولا صوت واحد لاغلقت الصحيفة فعلا ..

وبعد ٥ سنوات كانت أول الصحف توزيعـــا فى الولايات المتحدة .. ولا تزال أكبرها توزيعا حتى الآن .

***

تفرغ أحد الناشرين ـ جوزيف باترسون ـ « للديلى نيوز » وانتقل من شـــيكاغو ليعيش مع جريدته فى نيويورك .

لم يكن يصدر أمرا لمحرر على الاطلاق ..

كان من عادته أن يقول لاى صحفى :

ـ ما رأيك فى كذا ؟

وبعض الصحفيين كانوا يفهمون أن هـذا أمر وعليهم الطاعة .. والبعض لا يفهم ولا يعرف .

قال للناقد السينمائى :

ـ الافلام المعروضة فى دور السينما جيدة .. الا تعتقد ذلك ؟

قال الناقد :

ـ أبدا .. انها سيئة للغاية واحب أن أذكر القراء بمدى سوء هذه الافلام .. كل يوم .

ولم يدرك النـــاقد معنى كلمتى « الا تعتقـــد » و « الا تظن » .

وفى اليوم التالى كان الناقد السينمائى ينقـل الى القسم الرياضى وهو لا يعرف شيئا عن الرياضة الا أن جسمه قوى فعرض على جاك دمبسى بطل العالم فى الملاكمة أن يلاعبه ٣ جولات .. فوافق دمبسى .

وذهب الناقد الى المباراة وصعد الحلبة ولكن مدرب بطل العالم خشي أن يكون الناقد ملاكما قويا فيهزم بطل العالم فى مباراة غير معلنـــة وتكون فضيحة ، فأنزل الصحفى من الحلبة بالقوة ..

وبهذه الطريقة أصبح الناقد السينمائى .. ناقـدا رياضيا « محترما » فى كل الاوساط الرياضية !

ولم يكن باترسون يستدعى محررا الى مكتبه ... ابدا .

كان يذهب لاى صحفي ليبلغه ما يريد .. ولم يكن يزار او يصرخ فى صحفى أبدا ..

ذهب يزور شقيقته مســـاء – وهى أيضا صاحبة صحيفة – فوجدها تصرخ فى التليفون .

وأدرك أن المتحدث مدير التحرير ..

قال لها :

– لم تفعلين ذلك ؟

أجابت :

– أريده أن يعرف انه على خطأ .. الا تفعل ذلك .

قال :

– ابدا .. كان عليك الانتظار الى الصباح التالى ليكون اكثر آسفا على الخطأ ..

اى انه كان سيطرده .

ولم يكن باترسون يهتم بملابسه أبدا .

منعه يوما حارس الباب من الدخول فقال له :

– أنا باترسون .

أجابه الحارس ساخرا :

– قل ذلك لحارس آخر .

فاضطر صاحب الجريدة الى الوقـوف بالباب حتى يجيء محرر ليتعرف عليه فيسمح له بالدخول .

وعرضت صحيفة « نيويورك تايمس » المنافسة على احد كبار محررى « ديلى نيوز » عملا أفضل ومرتبا أكبر فاعتذر الصحفى وأبلغ رئيسه ، فى العمل ، مطالبـا بعلاوة .

عرف باترسون فقال :

ـ اطردوا الصحفى .

قيل له :

ـ وهل هذا جزاؤه .. أن يكون وفيا لك فيطرد ؟!

أجاب باترسون :

ـ ان وفاءه الاول ينبغى أن يكون لنفسه .. ومن ليس وفيا لنفسه لن يكون صادقا مع صحيفته ..

واضطر الصحفى الى العمل بالصحيفة المنافسة !

***

أيد باترسون انتخـاب فرانكلين روزفلت محافظ نيويورك رئيسا لامريكا عام ١٩٣٢ .

وبعد فوزه قالت الصحيفة أنها ستؤيده على طـول الخط عاما كاملا .. وستؤيده فترة أطول اذا استدعت الظروف ذلك .

وقالت ان هذه ليست تضحية سريعة .

وقالت ان مهام رئيس التحرير ان يقول الحق لـكل انسان ابتداء من الرئيس الى أصغر مواطن ، وأن حق تقديم النصيحة يعتبر حقا مقدسا لرؤساء التحرير .

واختلف الرجلان بعد عام واحد فان باترسون كان يؤمن بسياسة العزلة ، ويرى أن تبتعد الولايات المتحدة عن الشئون والحروب الخارجية .

وعندما اراد روزفلت الترشيح مرة أخرى للرئاسة اشادت الصحيفة بالرؤساء الامريكيين ، الذين أخذوا مكانهم فى التاريخ ، لانهم رفضوا أن يبقوا رؤساء فترة طويلة .

وقالت لن نجدد الوعد لانتخاب روزفلت .

ومع ذلك أيدته فى اعادة الانتخاب عام ١٩٣٦ .

وظلت العلاقة وثيقة بين الناشر وروزفلت حتى ان الرئيس الامريكى بعث بالقلم الذى وقع به قانون تدعيم البحرية الامريكية هدية الى الناشر الذى كان يطالب بتدعيم هذه البحرية .

ودعت الصحيفة قراءها للتبرع بانشاء حمام سباحة فى البيت الابيض باعتبار ان هذه هى الرياضة الوحيدة التى يستطيع أن يمارسها روزفلت المصاب بشلل الاطفال .

وعندما غزا هتلر بولندا فى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ وقامت الحرب العالمية الثانية أيدت الصحيفة الاستعداد العسكرى لامريكا ولكنها طالبت بعدم دخول الحرب .

ويوم أعلن روزفلت قانون الاعارة والتأجير لمساعدة بريطانيا قالت الصحيفة : « اننا نعطى بريطانيا شيكا على بياض. وسياخذنا للحرب دون استشارة الكونجرس. ويجب أن يطلق على هذا القانون .. القانون الذى يجعل روزفلت ديكتاتورا بدلا من قانون الاعارة والتأجير » .

وعندما أمر روزفلت البحرية الامريكية باطلاق النار على السفن الالمانية بعد هجوم غواصة ألمانية على سفينة أمريكية قالت « روزفلت محا الكونجرس وسيمحو حرية الصحافة » .

ومع ذلك أيدت الصحيفة روزفلت عند اعادة انتخابه للمرة الثالثة عام ١٩٤٠ ثم قالت بعد ذلك ان « الرئيس الامريكى خدعنا عندما صوتنا له للمرة الثالثة » .

وأراد روزفلت تجديد انتخابه للمرة الرابعة فقالت الصحيفة لا تجديد ـ هذه المرة ـ لقيصر .

واختلف باترسون مع روزفلت الى الابد .

نشرت الصحيفة ان السفن الحربية الامريكية تنقل موادا بمقتضى قانون الاعارة والتأجير الى بريطانيا ، فقال أحد أعضاء الكونجرس :

ـ هذا كذب متعمد .

فرد باترسون بمقال :

« انت كاذب يا عضو الكونجرس هولاند » .

وكان هذا هو المقال الوحيد الذى وقعه باسمه ناشر الصحيفة طول حياته .

وقال المقال :

« نحن نعرف من أوحى لك بهذه الاكذوبة .. « من فوق » !

وكان باترسون هو الذى يحدد موضوع افتتاحيات الصحيفة .. ولكن لا يكتبها ..

يعقد اجتماعات فى الحادية عشرة صباحا لمن يكتبونها ويحدد لهم موضوعاتها لمدة أسبوع متقدما .. فقيل أن

يد الكاتب هي التي تكتب ولـكن العقـل عقل صاحب الصحيفة .

وقد حدث وقت الصـــداقة مع روزفلت ان رغب الرئيس الامريكي في نشر صفحة مجانية اعلانا عن مشروع جديد لروزفلت فقال باترسون :

ـ لا .. الصحيفة تعيش على الاعلانات ، ولا يمكن منحها مجانا لانسان حتى ولو كان روزفلت .

***

دفعت الصحيفة ٤٠ ألف دولار للاعلان عنها ، قبل صدورها .

ويعتبر هذا المبلغ ضخما عام ١٩١٩ .

وباع العدد الاول ١١٥ر٨٨٠ نسخة .

وبعد شهر هبط الى ٢٧ر١٢٠ نسخة .

وبعد شهرين انخفض الى ٢٦ر٦٣٥ نسخة .

فكان باترسون يقف في الســـادسة صباحا أمام أكشاك باعة الصحف ، وعند محطات الاوتوبيس ليرى من الـذى يشترى « ديلى نيوز » وكيف يلبس ، ونوع السجاير التي يدخنها .. وأية صحيفة يطالعها ، وهل يقرأ الافتتاحيات أم لا ؟

كما يتابع من يشترى الصحف المنافسة .

ويركب عربات الاتوبيس لهذا الغرض .

ولكن باترسون لم ييأس بدأ يبحث عن سر الفشل ويعالجه .. ويطلب الى كل قارىء أن يوافيـه بأسـماء ٥ قراء ليبعث اليهم بالصحيفة مجـــانا لفترة ليعتادوا قراءتها .

رای ان الصحف الاخرى لا تهتم بالصور فاهتم بها .. وتابع نشر صورتين يوميا للجرائم والمجرمين .

عندما أعدمت أول سيدة فى سجن « سنج سنج » على الكرسى الكهربائى أخفى أحد المصورين عدسة خارج حذائه . وفتشه الحراس قبل الدخول ولكنهم لم يفطنوا الى مكان الكاميرا فالتقط الصورة .

وقد وجهوا الى الصحيفة اتهاما « بقلة ذوق » واهدار حرية الموت والاعتداء على الحرية الشخصية فى لحظة الموت ولكن ذلك ساعد الجريدة على زيادة الانتشار .

وطلبت الصحيفة الى القراء أن يساهموا معهـــا فى التقاط الصور الاخبارية وكانت تدفع ثمنـــا للصورة الواحدة بين دولار واحد و ١٥٠٠ دولار .

واشترت الصحيفة طائرة خاصة ، ثم عدة طائرات ، لنقل المحررين بسرعة الى مواقع الاحداث لتصويرها .

وطلبوا من القراء الاتصال بالصحيفة لابلاغها بالاحداث لتصويرها فور وقوعها وكانوا يدفعـون مكافآت للقراء الذين يفعلون ذلك حتى ولو كانت الصحيفة تعلم بالاخبار وذلك بقصد تشجيع القراء ماليا ونفسيا ، عندما يطالعون جريدتهم فى الصباح التالى ، ويعـرفون أنهـم الذين أبلغوها بالانباء .

اتصل بهم يوما قارىء يقول أن جنديا أوقف المرور فى أهم شوارع نيويورك لتعبره قطة تحمل قطيطا .. فأسرع المصور ليجد ان القطة قد أنهت مهمتها فنقل بنفســـه القطيط الى رصيف آخر فأسرعت الام وراء رضيعها تنقله . وأوقف الجنـــدى المرور مرة أخرى والتقطت الصورة !

وسمعوا بتحول أول رجل الى فتاة فى الدانيمارك فطاروا اليه يلتقطون الصور والمذكرات وآراء الاطباء .

وعرفوا ان ولى عهد انجلترا ــ دون وندسور ــ سيطير الى كندا فى زيارة فأوفدوا اليها أجمل محررة .

رآها ولى العهد فدعاها للرقص .. وفتنت الفتاة بولى العهـــد ولم تتذكر صحيفتها فأرسلت فى ساعة متأخرة من الليل برقية الى الصحيفة تقول :

ــ معذرة .. نسيت نفسى فقد دعانى الامير للرقص.

والتقطت الصحيفة هذه البرقية وحولتها الى قصة نشرتها في الطبعة الاخيرة مما أحزن الفتاة التى كانت ترى أن رقصها أمر خاص لا يعنى القراء أو الصحيفة !

وبعد عام ارتفع التوزيع فأصبحت الصحيفة رقم ٦ فى نيويورك من ١٨ صحيفة تصدر فى المدينة .

وتتابع اغلاق الصحف .

بعد عامين سقطت أول صـــحيفة منافسة وذلك عام ٢١ .

وبعد سنتين سقطت صحيفة أخرى .

وبعد ٥ ســنوات اختفت صحيفة ثالثة وأصبحت « ديلى نيوز » أول الصحف انتشارا فى نيويورك وفى الولايات المتحدة كلها .

وبعد ٢٢ عاما قضى على الصحيفة الرابعة .

وهكذا ...

***

وأصدرت ملحقا يوميا خاصا عن أحد أحياء نيويورك .. الفقيرة .

وقبل صدوره أرسلت باحثة ترى ماذا يأكل الناس ، وكيف ينفقون ، فوجدت أن معظم السكان ولدوا فى دول أخرى ثم هاجروا الى أمريكا .

وعندما يتعلمون اللغة الانجليزية فان أول ما يفعلونه هو شراء الصحف ليظهروا كمواطنين أمريكيين .

وفى هذا الحى الفقير ٤٠ بنكا .

وانتهت الباحثة الى نتيجة هامة ، وهى أن سكان الحى عاديون ، ولكنهم يشترون وينفقون أكثر من سكان اى حى آخر فى المدينة ، فهم يكسبون كثيرا ولكن مصروفاتهم الضرورية أقل لانهم يقيمون فى عشش .

وقالت الباحثة :

« الاطفال فى هذا الحى ينمون بسرعة .

يريدون أحذية وأدوات وملابس سباحة .

وهم يذهبون للمدارس والجامعات ويتعلمون الكتابة على الآلة الكاتبة .

وهم يشترون سجاير مثل غيرهم .. ويشترون كل شىء » .

وقالت الباحثة :

« الاعلانات التى توجه لهؤلاء السكان مفيدة لاصحاب المحلات التجارية » .

ونشرت الجريدة نتيجة هذا البحث فى مجلة « حبر المطابع » التى يطالعها رجال الشركات وأصحاب المحلات التجارية .

وخفضت الصحيفة سعر الاعلانات فى هذا الملحق الذى لا يوزع الا فى هذا الحى .

.. وكانت النتيجة تدفق الاعلانات على الجريدة لانها

أقنعت أصحاب الاموال بأنهم لا يقدمون للصحيفة منحة بل يحصلون مقابل أموالهم على فائدة .. ضخمة .

واهتمت الصحيفة بالرسـوم الكاريكاتورية .. والمسلسلات التى تقدم بالكاريكاتير ..

وعندما كان الرسام يموت ، يعهـدون الى آخر باستكمال المسلسلة والحلقات لان الشخصية التى تنشر أهم عند القراء من الرسام نفسه .. فقد لا يعرف القراء العاديون .. اسمه .

قدموا مرة شخصية رجل يعيش رغم الرصاص ورغم حبسه أحيانا فى ثلاجة فأعجب به القراء .

وفى أحد الايام قيل ان الرجل رزق بطفل .. فتدفقت عليه هدايا القراء الذين ظنوا انه شخصية حقيقية .

ومرض يوما فجاءته أدوية . ووقع فى ورطة قضائية فتطوع محامون للدفاع عنه !!

ووجهت الرسوم المسلسلة للدعاية للطيران والخدمة العامة ولم نفعل نحن ذلك ـ فى مصر ـ بالنسبة لتنظيم النسل سواء فى رسوم الكاريكاتير أو القصص التى يكتبها الادباء الكبار .

***

واهتموا برسائل القراء وأطلقوا عليهـا « صوت القراء » أو « صوت الشعب » .

وكانوا يدفعـون عن كل رسالة تنشر من دولار الى عشرة دولارات .

نشروا الاقوال المأثورة للقراء ، واللحظات الحرجة التى واجهتهم ، وما يحتـاجون اليه ، واغرب مدير عملت معه ، والصديق المثالى ، وكيف تمت الخطـوبة ..

وساعدوا القراء على اختيار أسماء لاطفالهم .. وافضل سبل الرجيم !

وتلقوا في أسبوع مئات الكلاب ردا على رسالة قارىء قال انه فى حاجة الى حيوان أليف يؤنس وحدته .

***

ومن اليوم الاول اهتموا بالمسابقات .

أعلنوا عن مسابقة لاختيـــار ملكة جمال جوائزها ١٣٫٥٠٠ دولار منها عشرة آلاف دولار للفائزة الاولى .

وقدموا مسابقة لرسوم يختار القارىء عنوانها ...

وقدموا مسابقات للانزلاق على الجليد ، وأخرى عن هواة الملاكمة أسفرت عن اختيار روكى مارشيانو وفلويد باترسون وجولويس وغيرهم ممن أصبحوا أبطـــالا للعالم .

ونشروا مســـابقات في السباحة للسيدات ؛ وفى الجولف للرجال ، وأجمل طفل ، وأجمل ممثلة ، وأحسن ممثل ..

وخلال ٢٠ عاما قدموا ١١٤ مسابقة .

كما أقاموا حفلات للغناء والرقص فى الحدائق العامة خصص دخلها للجمعيات والاعمال الخيرية .

***

اهتمت الصحيفة بتقديم الخدمات للقراء .

!فتتحت في الدور الارضى قســما للســفر وآخرا للفنادق وثالثا للمصابف وآخرا للتجنيد .. الخ .

وكل هذه الاقسام تقدم كتيبات للقراء مجـانا ، أو بأسعار اسمية ، وتنشر عن هذا كله فى الصحيفة .

واهتمت بالاخبار المحلية لانها ترى أن القصة المحلية التى تقع فى مدينة نيويورك تجذب القراء ، أكثر من القصة التى تقع فى أية مدينة امريكية أخرى ، أو أى مكان من العالم .

***

ولم تتردد فى القيام بكل الحيل ، وكل المحاولات ، للحصول على القصص الانسانية .

فى عام ٣٢ عرفوا ان الممثلة السينمائية العالمية جريتا جاربو قررت العودة الى بلادها بعد أن رفضت تجديد عقدها مع شركة « مترو جولدوير ماير » فكلفوا صحفية بأن تستقل نفس الباخرة كسائحة ، وعلموها طريقة لارسال البرقيات بنوع من الشفرة حتى لا يفطن بحارة السفينة أو الركاب ، أو جريتا جاربو الى وجود الصحفية فى الباخرة .

ارسلت الصحفية برقية لصحيفتها فى اليوم الاول .

وفى اليوم الثانى قال لها عامل اللاسلكى :

ــ كنت أعمل فى البحرية السويدية وقد فهمت انك صحفية وعرفت كيف أحل الشفرة .

قالت الصحفية متوسلة :

ــ أرجوك لا تذع سرى .

ولكن جريتا جاربو سمعت الاذاعات ، وادركت ان صحفيا ، أو صحفية ، معها فى نفس الباخرة فاعتزلت فى قمرتها طوال الرحلة بينما البحارة والـ ٣٣ راكبا يحاولون عبثا مساعدة الصحفية !

وارسلت مصورا وراء أنجريد برجمان وهى تصور فيلمها الاول مع المخرج الايطالى روبرت روسيلينى .

وزعم المصور أنه يريد العمل بشركة للاعلانات ، وقد اختار هذا الفيلم لاظهار قدرته .

وصدقته انجريد برجمان فتحدثت معه لتذكر بداية غرامها بالمخرج الايطالى .

***

وتميزت الصحيفة بالجرأة .

جرت محاولة لاغتيال الرئيس الامريكى امام قصر الضيافة « بلير هاوس » فكتبت تقول :

« جرت ٥ محاولات لاغتيال الرؤساء الامريكيين ..
وقد تدخل القدر لصالح الرؤساء الاعضاء فى الحزب الجمهورى فقتل ثلاثة منهم وفشلت المحاولتان لاغتيال رئيسين من الحزب الديمقراطى » .

وكانت الصحيفة تشير بذلك الى أن مؤامرات الاغتيال نشأت بين الديمقراطيين .. او كأنها تتمنى موت الرؤساء الاعضاء فى الحزب الديمقراطى .. اسوة بالجمهوريين .

وهى الصحيفة التى أبرزت اسماء محرريها .

كانت أخبار الجرائم توقع باسم « محقق » .

واخبار الاقتصاد توقع باسم « تاجر » .

ولكنها نشرت أسماء المحررين وان اكتفت ـ فى البداية ـ بلقب الصحفى فقط .

ثم نشرت الاسم كاملا بعد ذلك .

وعندما قتل مجرم اسمه « ابن سام » ٤٤ فتاة فى نيويورك وقبض عليه اقتحم اثنان من مندوبى الصحيفة

شقته ـ المغلقة بأمر النيابة ـ للحصـــول على صور ومعلومات .

واشتروا رســائل صديقته السابقة حتى قيل ان الصحيفة أصبحت جزءا من الخبر لا مجرد متـــابعة ومراقبة له ، وأنها عبثت بحقوق المتهم الذى لم تثبت ادانته بعد .

ولكن توزيع الصحيفة ارتفع ٣٥٠ ألف نسخة فى تلك الايام .

***

ويقال ان « ديلى نيوز » هى السبب فى تحول مدينة نيويورك من مدينة للصحف المســائية الى الصحف الصباحية . فقد اهتمت الجريدة بالمرأة فى طهى الطعام، والاتيكيت ، والتجميل ، ورعاية الاطفال ، والموضـة ، والديكور ، والصحة العامة ، فكانت المرأة تقرأ الصحيفة قبل خروجها لعملها ولذلك لا تحتاج لصحيفة مسائية .

ولكن الحقيقة ان التليفزيون ببرامجه المسلية ونشراته الاخبارية المسائية هو السبب الاساسى .

***

وانشأت الصحيفة فوق مبناها قسما للارصاد الجوية ولـكنها رفضت أن تنشر تنبؤات هـذا القسم وقدمت تنبؤات هيئة الارصاد الجوية الحكومية .

ولما سئلت الصحيفة عن السبب قالت ان النـــاس يعتمدون على هذه التنبؤات فى السفر وشحن البضائع، واقلاع السفن والزراعة وغيرها .

ويستطيع النـــاس مقاضاة صحيفة على نبوءاتهـا

الخاطئة ، ولا يستطيعون مقاضاة الحكومة ، اذا اخطأت هيئة الارصاد الرسمية !

***

مات باترسون عام ١٩٤٦ .

نعته الصحيفة في كلمات قصيرة جدا في افتتاحيتها قالت :

« مات جوزيف باترسون رئيس تحرير هذه الصحيفة والرجل الذي أنشأها في ٢٦ يونيو عام ١٩١٩ . وستجدون قصة وفاته في صفحة الاخبار .

وسيبذل الذين تركهم ، أقصى جهودهم ، ليجعلوا صفحة الافتتاحيات ، والصحيفة ، كما أرادها أن تكون .. وهو ما كان يبغيه في الحياة » .

***

بدأ البحث عن خليفته ليشرف على « ديلي نيوز » . وكان الورثة ثلاثة .

الابن : وهو ضابط سابق في الجيش يعمل محررا صغيرا في الصحيفة .

والارملة : وهي تعمل أيضا محررة لشئون المرأة ، وتتولى اختيار القصص المسلسلة للصحيفة .

والابنة : وهي أقرب لابيها تشاركه هواية الطيران والصيد وتقدم عرضا للكتب في صحيفة أبيها حتى أصدرت ، مع زوجها ، صحيفة أخرى .

ولكن الابنة اختلفت مع أبيها بشأن سياسة الصحيفة .

ولكن الاب جعل البت في شئون الصحيفة من

اختصاص مجلس الادارة الـذى يضم أسرته وآخرين أيضا .

أما الثروة وقدرها ٩٫٥ مليون دولار فقد وزعها على اسرته وسكرتيرته أيضا .

وكانت مهمة السكرتيرة ان تكتب خطابا يوميا لوالدة باترسون يوقعه دون أن يطالعه .

وفى هذا الخطاب يعبر لأمه عن حبه الشديد لها !

ومشكلة الصحيفة التى يصدرها فرد أنها تصبح من صنعه وحده .. هو موجهها وفيها يضع جهده وعقله وقلبه .. وبعد وفاة مؤسس الصحيفة يحـار رئيس التحرير الجديد عندما يواجه مشكلة ..

فى كل لحظة يسأل نفسه :

ـ لو كان صاحب الجريدة حيا ما الذى يفعله فى هذه الحالة .

ومعظم الصحف التى أسسها أفراد ماتت بعد وفاتهم لان الصحفى يحب أن تكون الصحيفة تمثالا له .. وقليل من الصحفيين يتركون صحيفة فيها أجهزة منتظمة تعمل تلقائيا وليست فى حاجة دائما ، ومتجددة ، الى رأيه .

ولقد أنشأت محطـة للتليفزيون مثل صحف امريكا الاخرى التى رأت أن تملك التليفزيون لانهـا لا تستطع منافسته .

وعاشت الصحيفة ٣٦ عاما بعد وفاة صاحبها ، ولكنها لم تستطع مواجهة مجتمع متغير ومن هنا واجهت المصير الذى لقيته صحف نيويورك الاخرى .. أن تجد مشتريا . أو تموت !

العمال يصدرون صحيفة

رات ادارة الصحيفة ان أحد مراسليها غير كفء ، وغير منتج أيضا ، فقررت الاستغناء عنه وأبلغته بذلك .

علم الصحفيون بذلك فاحتجوا وطالبوا ببقاء الصحفى فرفضت الادارة أول الامر ، ولكن الصحفيين هددوا بالاضراب ومنع اصدار الصحيفة .

اضطرت الادارة للخضوع ولكنها رأت ألا تتراجع علنا حتى لا تفقد هيبتها فعرضت حلا وسطا وهو أن تقدم للمحرر المفصول تعويضا قدره ٤٠٠٠ جنيه مقابل أن يعلن أنه طرد من عمله .

أخذ الصحفى هذا المبلغ ثم خرج لزملائه يقول :

ـ لقد سمح لى بتقديم استقالة ..

أى أنه استقال .. ولم يطرد !

اجتمع الصحفيون وقرروا التضامن مع زميلهم وقالوا :

ـ لن نسمع باستقالة هذا الصحفى .

وهددوا بالاضراب .

وجدت ادارة الصحيفة نفسها فى موقف حرج فأعطت للصحفيين مهلة حتى السابعة والنصف مساء للعودة للعمل .. فلما لم يعودوا أصدرت الادارة قرارا بفصلهم جميعا .

غادر الصحفيون مقر الجريدة وانتقلوا الى « البار » المجاور مقتنعين ان الادارة ستخضع لهم فى نهاية المطاف .

ولكن ١٢ من المعاونين عادوا لمقر الصحيفة وساعدوا على صدورها فأطلق عليهم الصحفيون « الدستة القذرة » نسبة الى الفيلم الشهير الذى يحمل ذلك الاسم .

وفى اليوم التالى حلت المشكلة باعادة الصحفيين الى العمل عدا زميلهم المفصول .

كان ذلك فى ١٨ مارس عام ١٩٧١ فى مقر صحيفة « سكوتيش ديلى نيوز » التى تصدر فى مدينة جلاسجو فى سكوتلندا شمال انجلترا .

وهى صحيفة أصدرها فى مايو عام ١٩٢٩ اللورد بيفر بروك الذى كان يفخر بأصله الكندى .

والغريب فى الامر ان اللورد تومسون الكندى ـ الذى أصبح بعد ذلك مالكا لصحيفة التايمس ـ بدأ امبراطوريته الصحفية فى اسكوتلندا أيضا عندما اشترى صحيفة « سكوتسمان » التى تصدر فى مدينة أدنبرة .

***

لم تكن هذه هى الازمة الاولى أو الاخيرة فى تاريخ صحيفة « سكوتيش ديلى اكسبريس » .

مساء يوم ٢٧ سبتمبر من نفس العام ـ ١٩٧١ ـ قدم رسام الكاريكاتير لوحته اليومية المعتادة .

في الرسم يظهر الزعيم السوفييتي بريجنيف يرتدى ملابس الرهبان وهو ينزل من طائرة تشيكوسلوفاكية يقود موكبا من الشحنات العسكرية ، دبابات وعربات مدرعة واسلحة .. فى مطار مدينة « بلفاست » عاصمة ايرلندا الشمالية .

وكتب على الطائرة أنها تابعة للخطوط الجوية الايرلندية .

واوحت اللوحة بأن الجيش الجمهورى الايرلندى يعمل لمصلحة الشيوعيين وهم الذين يوجهونه .

وجاءت اللوحة فى وقت غير مناسب ، فقد انفجرت، فى ذلك الوقت ، المظاهرات فى مدينة جلاسجو تؤيد الجمهوريين الايرلنديين ، وجرى صدام فى الشوارع بين رجال الشرطة والمتظاهرين . واستطاع أحد المصورين ان يلتقط ، وينشر ، صورة لاحد المتظاهرين وهو يمزق ، بموس حلاقة ، ملابس شرطى .

وكان هناك خوف من أن تنتقل عدوى الاضطرابات من ايرلندا الى اسكوتلندا . وكان موقف الصحيفة ضد المتظاهرين وضد الايرلنديين فتلقت خلال الاسبوع الاخير ٦٩ مكالمة تهدد بنسف الصحيفة ووضع القنابل فى مبناها .

وجد رئيس نقابة الصحفيين الفرعية ، أحد العاملين بالجريدة ، ان الرسم سيثير مشاعر الناس وقد يؤدى الى هجوم على الصحيفة فاقترح ان ينشر مع الرسم

كلمة من الجريدة او من العاملين فيها ، تقول ان لوحة الكاريكاتير لا تعبر عن رأى الصحيفة .

رفض رئيس التحرير ..

وقدمت الادارة من لندن اقتراحا آخر وهو نشر تلك الكلمة فى اليوم التالى . ولكن نقابة الصحفيين الفرعية رفضت ذلك .

وهددت بمنع صدور الصحيفة .

واجتمع الصحفيون وقاموا بالتصويت على قـــرار بالاضراب فأيده ٢٩ وامتنع أحدهم عن التصويت .

وابلغ القرار لادارة الصحيفة فى جلاسجو ومركزها الرئيسى فى لندن بأنه لابد من نشر بيان مع الكاريكاتير من الصحفيين العاملين يقولون أنهم غير مسـئولين عن النشر .

لم تذعن ادارة الصحيفة للتهديد فمنع الصحفيون صدور هذا العدد .

وفى اليوم التالى اجتمع الصــحفيون فى مدينة جلاسجو فأبدوا أسفهم لموقف زملائهم المضربين . وقالوا انهم لا يقرون ابدا أن يعطى الصحفيون سلطة الرقابة على ما تنشره الصحيفة وأن يسلبوا هذه السلطة من مالك الصحيفة او رئيس تحريرها .

وصدر القرار الجديد بأغلبية ١١٩ ضد ١٧ .

ولكن الصحافة البريطانية كلهـا خافت على مستقبل الديمقراطية من ديـكتاتورية بعض الصـحفيين واطلقت عليهم أسم « مافيا منتصف الليل » أو « عصابات منتصف الليل » اشارة الى أنهم الذين يعملون فى الصحف بعد

منتصف الليل عندما يعود كبار المسئولين الى بيوتهم ولا تبقى الا هذه .. العصابات !

ونسى الذين وجهوا الاتهام ان الصحفيين أنفسهم الذين أضربوا .. والصحفيون أنفسهم الذين انتقدوا هذا الاضراب وأسفوا لوقوعه .

***

ومرة أخرى ، لم تكن هذه هى الازمة الاخيرة .

خلال عام أضرب عمال الصحيفة ٥٦ مرة أى بمعدل مرة أو أكثر ، كل أسبوع .

وفى ٤٠ مرة هبط توزيع الصحيفة نتيجة تأخير أو توقف الطبع .

وخسرت الصحيفة مليون جنيه خلال عام واحد .. وبعد أن كان توزيعها ٦٦٠ ألفا نسخة يوميا أصبح ٥٧٠ ألفا .

وتأثرت صحف اللورد « بيفر بروك » فى جميع أنحاء بريطانيا لاسباب كثيرة .. فقد ارتفعت نفقات اصدار الصحف خلال ٤ سنوات من ٤٩ مليون جنيه الى ٧٥ مليونا .

وهبط ثمن السهم فى هذه الصحف من ١٣٣ قرشا الى ٣٧ قرشا فحسب .

وتوقفت البنوك عن اقراض « بيفر بروك » واصبح مستقبل كل صحفه مهددا بالخطر .

ولم يكن بيفر بروك وحده يعانى .

ان صناعة الصحف فى انجلترا تأثرت خلال الـ ١٥ عاما السابقة فان التليفزيون جعل عدد القراء يهبط ،

كما انخفضت ايرادات الصحف من الاعلانات التى تحولت عن الورق الى الشاشة الصغيرة .

وفى تلك الفترة ماتت فى انجلترا ٣ صحف يومية هى « نيوز كرونيكل » و « ديلى هيرالد » و « ديلى سكتش ».

ولم يكن امام « بيفر بروك » الا اتخاذ اجراءات عنيفة للتوفير فعرض على كثيرين مكافآت مقابل الاستقالة . وأخيرا قرر يوم ١٨ مارس ١٩٧٤ اغلاق صحيفته المسائية فى جلاسجو .. ولكنه كان حريصا .. باع اسم هذه الصحيفة قبل اغلاقها لمنافسه بمبلغ ٢٫٧٥٠٫٠٠٠ جنيها !

وقرر نقل صحيفته الصباحية « سكوتيش ديلى اكسبريس » الى مدينة مانشستر لتصدر منها .

وأعلن ان القرار ينفذ بعد ١٤ يوما .

وكان معنى ذلك أن يتعطل ١٨٠٠ عامل .

رأى العمال ان ينشروا فى آخر عدد من الصحيفة بيانا يقولون فيه :

« لا نريد أن نخيب أمل القراء . لن يكون هذا هو العدد الاخير من هذه الصحيفة . التى كانت كبيرة يوما ما . ستصدر صحيفة أخرى تعكس فكر القراء . وقد تم الاتصال بالحكومة والاتحادات العمالية ورجال الصناعة للحصول على تأييدهم .

ورد الفعل يعتبر مشجعا » .

رفضت الصحيفة نشر البيان ولكن العمال أصروا فوافقت الادارة ولكنها لم تطبع سوى ٣٠٠٠ نسخة فقط !

وهكذا صدر العدد الاخير من صحيفة « سكوتش ديلى اكسبريس » يوم ٢٨ مارس عام ١٩٧٤ .

ويوم صدوره أصيب الصحفيون بجنون ..

مصور صحفى مشى عاريا فى الصحيفة وفى الشـوارع .. يبكى ! وكثيرون شربوا حتى الثمالة لينسوا !

***

راى ٥٠٠ من العمال أن يشكلوا فيما بينهم شركة ، او جمعية تعاونية لاصدار صحيفة جديدة بدلا من تلك التى أغلقت .

وقدم كل عامل بين ٥٠٠ و ٦٠٠ جنيه مساهمة فى هذه العملية . وهذا المبلغ هو مكافأة نهاية الخدمة التى حصل عليها كل عامل .

وأصبح لديهم نحو ربع مليون جنيه لا يكفى لاصدار الصحيفة .

عرضوا الامـر على وزارة الصناعة فرفض مستشارو الوزارة منح أى قرض للعمال . ولـكن وزير الصناعة العمالى « تونى بن » عارض رأى مستشاريه ووافق على منح العمال قرضا قدره ٢٠٠ر٠٠٠ر١ جنيه .

ولكن الوزير اشترط أن يجمع العمال مبلغا مناسبا حتى يوافق على القرض .

وبدأ العمال يكتبون للاتحادات العمالية فى دور النشر والطباعة وكل الاتحادات العمالية بصفة عامة . ولكن الجميع اعتذروا وتخلوا عنهم . ولم يساهم فى الصحيفة الا اتحاد عمال السكك الحديدية بمبلغ ٥٠٠ جنيه .

وقالت الاتحادات : أموالنـا لاغراض معينة ليس من

بينها تشكيل شركات . وأعلن البعض انهم لن يساهموا الا اذا ساهمت الحكومة .. بل ان بعض الردود كانت معادية .

وهكذا أدرك العمـــال ان زملاءهم تخلوا عنهم وان الطبقة العاملة ليست متضامنة فى المشروع الجديد .

ولجأوا الى « بيفر بروك » الذى لم يجـد مشتريا لمطابعه ومبانيه فأقرضهم وقـدم ضـمانات لتقرضهم البنوك .

ووافقت بعض البنوك على اقراضهم ما دامت الحكومة قد وعدت بمساعدتهم .

واضطر العمال الى طرح بعض أسهم الشركة الجديدة للجمهور مقابل ٢٥ جنيها للسهم الواحد .

وحدد العمـال يوم ٢٨ مارس عام ١٩٧٥ للاجتماع النهائى فأما ان تقدم الشركة ، أو الجمعية التعاونية ، أو يعلنوا هزيمتهم .

وكان اليوم .. الجمعة .. عطلة دينية .. والبنـوك لا تفتح الا يوم الثلاثاء التالى ومطلوب من العمال ٤٧٥ الف جنيه منها ..٢٠ ألف من مكافآت نهاية الخدمة بعد انسحاب عدد من العمال من المشروع و ١٦١ ألف جمعت من بيع الاسهم ومن جهات متعددة وبقى مبلغ ١١٤ الف جنيه .

وعندما بدأ الاجتماع لم تكن الموافقة النهـــائية على قرض وزارة الصناعة قد وصلت .. ولكنها جاءت برقيا خلال الاجتماع .

ومع ذلك ظل المشروع يعانى العجز وقدره ١١٤ الف جنيه .

وتدخل « ماكسويل » فى آخر لحظة .
و « ماكسويل » كان عضوا فى مجلس العموم خلال دورة برلمانية واحدة .
وفى أول خطـاب له فى المجلس أطال فتأخر خطاب هارولد ولسون رئيس الوزارة وبذلك لم تستطع الصحف المسائية نشره فغضب ولسون .
وسقط «ماكسويل» بعد ذلك مرتين فى الانتخابات .
وهو أساسا مهاجر من تشيكوسلوفاكيا غير اسـمه عدة مرات واصبح مليونيرا . ويريد صـحيفة تدافع عنه ، وعن سـمعته ، ومشروعاته ، ويريد أن يرتبط بالطبقة العاملة .
وفى اللحظة الاخيرة وامام كل العمال قدم «ماكسويل» شيكا بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه مساهمة فى الشركة .
ووعد بدفع الـ ١٤ ألف جنيه .
وسرا اشترط ان تصدر الصحيفة عدة طبعات طول اليوم ولا تكتفى بأن تـكون صباحية وأن يـكون ناشرا للصحيفة وشريكا فى ادارتها .
ووافق العمال ، ولم يكن أمامهم الا أن يوافقـوا أو يهزموا ، ولكنهم بعد ١٠ أيام عدلوا عن اعطاء سلطة النشر لماكسويل !!!
أخذ الجميع يهتفون :
« أصبحت لنا صحيفة .. أصبحت لنا صحيفة » .
وظهر « ماكسويل » فى التليفزيون يكذب قائلا :
ـ لم أفرض شروطا على العمال !

***

حدد يوم ٥ مايو ١٩٧٥ لصدور العدد الاول وقد

اطلقوا على صحيفتهم اسما جديدا هو « سكوتيش ديلى نيوز » .

وخلال تلك الفترة أجرى العمال تجارب على المطابع التى ظلت معطلة ١٤ شهرا ليكتشفوا نقصا كبيرا فيها .

وقيل لهم ان الصحيفة لا يمكن أن تصدر بحجم صغير - أى مثل مجلة آخر ساعة - بل تصدر بحجم الصحف العادية لان تحويل المطابع الى الحجم الصغير يتطلب ١١٦ ألف جنيه .. وشهورا طويلة من الاعداد .

وبدأ العمال يجرون تجارب على الصحيفة الجديدة بعد أن اختاروا لها رئيسا للتحرير - مرتبه ١٥٠ جنيها كل اسبوع - ومحررين راتبهم ٦٥ جنيها اسبوعيا .

وكان الحماس يملأ قلوب الجميع باعتبار ان الصحيفة تمثل صرخة احتجاج عملية وفعالة ضد مجتمع لا يرى - فى بطالة العمال - رذيلة ، كما ان العاملين جميعا يرون أن اصدار صحيفة عملية تستحق المجازفة .

وصدر العدد الاول ..

ضغطت على زر المطبعة السيدة التى اشترت اول سهم فى الصحيفة .

قال رئيس التحرير وهو يقدم جريدته للقراء :

« ستكون صحيفة براقة وليست تافهة .

مسئولة لا مزهوة .

تقدم آخر الاخبار المحلية والقومية والعمالية بأسلوب جميل ، عنيف ، ولكن بلا اثارة .

صحيفة عندها حاسة التقدير والتنسيق .

صحيفة تهتم بالرياضة وبألعاب الاقليات ولكنها

لا تقتنع أبدا بأن أصبع قدم متورم للاعب كرة يستحق اهتمام وعطف الامة !

ستنظر للرياضة بحسم وباحترام للموهوب والبطل. ولن تنسى أبدا أن الرياضة تسلية وهى ليست أهم مافى الحياة .

صحيفة سياسية تعكس ، قدر الامكان مشاعر الناس فى اسكوتلندا .

فلسفتنا الى يسار الوسط .

وستكون منبرا مفتوحا للنقاش فى السياسات والآراء المعارضة .

ولن نجعل الملل يتسلل الى القراء بجدل عقيم ..

ان هواء الحرية المتجدد سينبعث من كل صفحات الجريدة . وسنقدم اهتمامات كل الاعمار من أطفال المدارس الى المحالين للمعاش . ولن يخجل انسان من عرض هذه الصحيفة على أسرته ، ولن يخفيها عنهم .

أما الشباب الذين يعتمد عليهم مستقبل هذا البلد فستوجه له عناية خاصة .

وهدفنا ان يجد كل قارىء هذه الجريدة مسلية ويستمر فى شرائها لانه يحبها ويثق فيها ، فهى صحيفة للشعب .. يحدث فيها نفسه .. أو يتحدث الى نفسه » .

***

أما العنوان الرئيسى فى الصحيفة ـ المانشيت ـ فهو « عظيم أن تعود الى الحياة » .

وهو يروى قصة انسانية مثيرة عن فتاة أصيبت فى حادث تصادم . وقيل انها ماتت . ولكن بعد وصولها

الى المستشفى فى مدينة جلاسجو عادت الى الحيـــاة وأصبحت عارضة للأزياء .

واحتفظوا بالفتاة طول الليل فى مبنى الصحيفة حتى لا تحصل الصحف المنافسة على القصة أو تصور الفتاة.

وقالت الصحيفة « هذا ينطبق علينا ايضا ، فنحن عدنا للحياة » .

وفى كل الصفحات كانت هنـاك اشـارة الى وقوف العمال على أقدامهم مرة أخرى .

وأخذت الصحيفة فى عددها تهنىء نفسها وتنظر الى الوراء فى غضب عن معركة الـ ١٤ شهر التى خاضها العمال حتى استطاعوا أن يصدروا صحيفتهم .

ومن اليوم الاول هاجمت ملـكة انجلترا وامبراطور اليابان الذى كان يزمع زيارة لندن . وعارضت دخول بريطانيا السوق الاوربية المشتركة .

وفى اليوم التـــالى هاجموا رئيس صناعة الصلب وطالبوا باستقالته .

وهاجموا الشركات لان عمال البترول فى بحر الشمال يتعرضون للموت كما ان الحكومة لا تقدم للعمال المعلومات التى تضمن لهم الامن أو تحذرهم من المخاطر .

وفى الايام التالية ايدوا كل العمـال المضربين فى كل الشركات . فان الصحيفة ، كمـا أعلنت ، كانت الى يسار الوسط ولم تكن شيوعية بحال من الاحوال .

***

كان سـعر الصحيفة ٦ قروش بينما ثمن الصحف المنافسة ٥ قروش فحسب .

باع العدد الاول ٢٦٠ الف نسخة ونفذت كل اعداده .

ووصل التوزيع فى الاسبوع الاول الى ٣٣٠ ألفا .

ولكن المشكلة كانت فى الاعلانات .

كان مقررا أن تمثل الاعلانات ٤٧ ٪ من مساحة الصحيفة .

وحدد سعر الصفحة ٧٠٠ جنيه .

ولكنها صدرت بعد أن وزعت الشركات ميزانياتها الاعلانية على الصحف ، كما أن الصيف هو فصل الكساد الاعلانى .

ومن ناحية أخرى فان الشركات الكبرى رفضت أن تعلن فى صحيفة تتجه الى يسار الوسط !

وقال مدير الاعلانات للعمال :

ـ الصحيفة تصدر للحصول على قراء .. وعلى معلنين أيضا . الصحيفة تباع للقراء وتباع أيضا للمعلنين .

وقالت هذه الشركات :

« نحن شديدو الحساسية للاضرابات فاذا أيدتموها ستموتون منذ البداية » .

وقالت الشركات :

ـ اننا نجتمع مع مديرى اعلانات الصحف الاخرى فى نفس النادى .. ونحن واياهم نتنفس الهواء الاجتماعى ذاته .. اما انتم .. !

ولكن العمال كانوا يرون انه عندما يحدث تعارض بين المبدأ والعلاقات التجارية فان المبدأ ينتصر !

***

قبل صدور الصحيفة سئل ١٨٠ الف قارىء :

ـ هل تتعهد بشراء الصحيفة ٣ شهور متصلة .
فقال ١٥٠ ألف قارئ ..
ـ نعم .

ولكن التوزيع بدأ ينخفض حتى وصل الى ٢٠٠ ألف نسخة فى الاسبوع التـــالى فان الصحيفة لم تستطع اختراق سوق الشـــباب .. رغم انها كانت تصـــدر ٥ طبعات كل يوم .

ورئيس التحـــرير لم يكن حازما بدرجة كافية .. كانت الصحيفة مجـــرد أقسام كل منها يمثل فكرا مختلفا . وكان مطلوبا من رئيس التحرير أن يضع بصماته فى كل سطر ، أو فى كل عامود ، أو فى كل صفحة .. ولكن افتقاره للحسم أضيف اليه انه لم يكن صاحب رؤية بعيدة .

ولم تستطع الصحيفة أن تلتزم بخطهـــا السياسى فى الاخبار بل التزمت بسياستها فى التعليقات والمقـــالات فحسب .

وكانت لجنة العمل التى تشرف على الصحيفة مؤلفة من ١٦ عاملا .. تجتمع ٥ مرات فى اليوم الواحد ، وقراراتها تتغير وتتبدل عقب كل اجتماع .

وتتدخل اللجنة فى تحديد سعر « الساندوتشات » فى الكانتين ، وهل تقدم دعما له أم لا .. وتتدخل أيضا فى كل شئ .

ولم يثق العمال الا بمن يرتدى ملابس العمـــال فان تاريخ العداء بين الادارة والعمال كان مريرا فى صحيفة اللورد بيفر بروك .

وكان العمال يفخرون بأنهم يملكون صحيفة وانهم يستطيعون ادارتها وانهم يكتبون ما يريدون بالاسلوب الذى يرونه لائقا ، لا كما يرى مالك أية صحيفة ، وأيضا يقررون ماينشر حسب تفكيرهم لا كما يود الجمهور .

وقيل للعمال :

ـ أنتم تقررون السياسة العامة ولا تقررون طريقة ادارة العمل .

ولكنهم لم يحددوا ابدا الفرق بين السياسة والادارة.

وقال لهم مدير الاعلانات :

ـ اذا أردتم الحصول على اعلانات من الشركات اكذبوا .. لا تذكروا أرقام التوزيع الحقيقية . كل مدير صحيفة يحسن طبخ أرقام الاعلانات كما يريد .

هذه اكاذيب بيضاء .. أو اكاذيب سوداء .. او اى نوع من الاكاذيب .. قولوها لتنجحوا .

ولكن العمال لم يكونوا مدربين على التجارة . ولم يتحركوا بدافع سياسى أو تجارى بل لخلق نموذج يحتذى فى الاشراف على وسائل الانتاج هدفهم توفير فرص العمل لهم أولا وأخيرا !

***

نتيجة نقص الاعلانات وهبوط التوزيع أصبحت الجريدة تخسر نحو ٣٠ الف جنيه كل أسبوع ولم يبق لديها الا نصف مليون جنيه نقدا بعد أن انفقت الباقى على الورق والسيارات والتليفونات والاجور والمحامين والرعاية .. الخ .

وقيل ان السبب فى هبوط التوزيع ان حجم الصحيفة

لا يشجع القراء على شرائهـــا وهم يستقلون المواصلات صباحا ولذلك تباع الصحف المنافســـــة ذات الحجم الصغير .. وانخفض التوزيع بالفعل الى ٧٠ ألف نسخة .. فانها كانت تفقد ١٠ آلاف قارىء كل يوم .

وفى ظل هذه الظروف أنذرهم « ماكسويل » بأنه يجب أن يعود للاشراف على التوزيع والاعلان . ووعدهم بتقديم أموال تساعدهم على الاستمرار فترة أطول لان ما لديهم لم يكن يكفيهم الا لفترة قصيرة .

وافق العمال ولكن ماكسويل لم يقدم لهم سوى ٢٥ الف جنيه واشترط أن يطرد كل المديرين الذين عارضوا اشرافه فاستقالوا .

وعلى الفور قرر « ماكسويل » تخفيض سعر الصحيفة الى ٥ قروش ليزيد التوزيع ، فى الوقت الذى رفعت فيه الصحف المنافسة سعرها ٦ قروش .

واستطاع ماكسويل أن يجعل حجم الصحيفة صغيرا على نفس المطابع خلال ساعات ولم يتكلف ذلك شيئا على الاطلاق ولكن العمال .. كانوا يجهلون !

وارتفع توزيع الصحيفة بين ١٥٠ و ١٨٠ ألف نسخة كل يوم .

***

ولم يصبر بيفر بروك على العمال . أنذرهم وطالبهم بسداد القروض بعد أن رأى ان مصير الصحيفة هــو الفشل كما توقعت احــدى جامعــات اسكوتلندا منــذ البداية .

ولم تخف الصحيفة هذا الانذار بل انها نشرته تحت

عنوان ضخم يقول :

« بيفر بروك يقـوم بغـارة على أموالنا .. وهـذه فضيحة » .

ولكن النشر جاء بعكس ما هو مطلوب .

رفض كل التجار اقراض الصحيفة . ورفض أصحاب السيارات ومحطات البنزين والتاكسيات وكل الموردين شيكات الصحيفة وأصروا على سداد الفواتير .

ونشرت صحيفة « الصانداى اكسبريس » الاسبوعية مقالا اتهمت فيه « ماكسويل » بأنه ضرب أحلام العمال .

وبدأ الكل يطالبون بأموالهم ..

وكان الاستمرار مستحيلا .

عقد العمال اجتماعا عاما يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٥ أعلن فيه أنه تقرر تعيين « مصفى » للجريدة .

وتعاقب العمال يخطبون فطالبوا شعب اسكوتلندا ونقابات العمال بحل المشكلة دون جدوى .

ومر أحدهم « بطبق » يجمع فيه المال فجمع ٥٠٠ جنيه للصحيفة .. وذهبوا الى « ماكسويل » فأعطاهم ١٠٠ جنيه .

وخطبت محررة المرأة فقالت :

– لن نرغم على الخروج من المعركة وسط قـوى الصحافة الرأسمالية ولدينا العزيمة . صحيفتنا ستستمر . أبرقوا للحكومة لتمد مهلة سداد القرض .

قولوا للجميع :

« أنقذوا جريدة سكوتيش ديلى نيوز » .

ووافقت الحكومة تحت الضغوط الى مد المهلة اسبوعا واحدا .

وفي ٦ نوفمبر أعلن رئيس العمال أنه مضطر لاغلاق الشركة .

وماتت الصحيفة التى كانت رمز احتجاج ضد « بيفر بروك » .. ولكنه كان احتجاجا تكلف ثمنا غاليا .

والجدير بالذكر أنها كانت تبيع عند اغلاقها ١٥٠ ألف نسخة وأنها كانت الصحيفة رقم ٣ فى اسكوتلندا وتسبق صحيفتين أخريين فى جلاسجو وصحيفتين فى اسكوتلندا ..

***

كان تعليق مدير صحف بيفر بروك :

ـ العمال استطاعوا اصدار صحيفتهم بـ ٥٠٠ عامل فقط بينما كنا نصدر نفس الصحيفة بـ ١٨٠٠ عامل وهذا يدل على أننا تحملنا البطالة المقنعة .. زمنا طويلا .

وكان الهدف من التعليق القاء اللوم على العمال فى فشلهم مرتين :

الاولى فى اصدار صحيفة يملكها راسمالى .

والثانى : اصدار صحيفة يملكها العمال انفسهم .

وكان خطؤهم أنهم لم يدربوا على الادارة .

وعادوا بعد ٦ شهور يقفون فى الطابور يبتغون تأمين البطالة .. من الحكومة !

صحيفة .. للجيب

أصدرت صحيفة « وول ستريت جورنال » الامريكية طبعة يومية لها في أوربا وبذلك تكون أول صحيفة امريكية تصدر من نيويورك تطبع وتوزع في ٣ قارات في وقت واحد : أمريكا وأوربا وآسيا .

وهذه الصحيفة هي أغلى الصحف الامريكية ، ثمنها ــ ٣٥ سنتا ــ أى ٢٥ قرشا تقريبا ــ فى ٥٦ صفحة .

تصدر ٥ أيام فى كل أسبوع اذ تعطل مع اغلاق الاسواق المالية لانها صحيفة اقتصادية فى المقام الاول .. فان اسمها يدل على ذلك لان « وول ستريت » هو الشارع الذى تقع فيه سوق الاوراق المالية فى نيويورك .

وهى الصحيفة الوحيدة التى توزع فى كل انحاء الولايات المتحدة فى وقت واحد .

انها تصدر فى نيويورك .. ومع ذلك اصدرت عام ١٩٢٩ طبعة فى سان فرانسسكو .. والآن توجد لها ١٣ مطبعة متفرقة فى الولايات المتحدة الامريكية المختلفة .

انها ترسل من نيويورك صورة لكل صفحة عن طريق

القمر الصناعي الذى يرتفع ٢٢٫٣٠٠ قدم فوق الكرة الارضية فتتلقاها محطات استقبال أرضية فى مناطق الطباعة المختلفة ؛ لتطبع وتوزع فى وقت واحد .

وتتم هذه العملية فى دقائق .. أما التكاليف فلا تتجاوز ٧ ٪ من تكاليف انشاء مطبعة فى كل منطقة وأجور عمالها .

ان عدد العاملين فى محطة الاستقبال ١٥ متفرغين واثنين لبعض الوقت ويدخل ضمن هؤلاء « جنايني » وسكرتيرة المدير .

ومعروف ان الصحف الامريكية كلها محلية .. أى لكل ولاية صحفها ، وبذلك تكون « وول ستريت جورنال » هى الصحيفة القومية الوحيدة فى الولايات المتحدة .

ومن ناحية أخرى فهى أكبر الصحف الامريكية انتشارا اذ يصل توزيعها الى مليونى نسخة كل يوم .

وفى عام ١٩٧٦ أخذت الجريدة تطبع فى نفس الوقت فى « هونج كونج » باسم طبعة « آسيا من وول ستريت جورنال » لتوزع فى الشرق الاقصى .

أما الطبعة الاوربية فتجمع موادها فى هولندا .. وتطبع فى بروكسل ، وتوزع فى كل عواصم أوربا والشرق الاوسط .

وتعطى اهتماما خاصا لانباء هذه الدول .

وقراء هذه الصحيفة تتروح اعمارهم بين ٣٥ و ٥٥ سنة ، والمشتركون فيها يبلغ دخلهم فى المتوسط ٥٢ الف دولار سنويا . فهم الذين يملكون القدرة على الشراء .. ولذلك تتدفق الاعلانات على هذه الصحيفة وسعر الاعلان فيها أعلى من باقى الصحف الامريكية لاسباب

كثيرة اهمها ان الصـــحيفة توزع فى كل الولايات .. ولذلك فان الصحيفة والشركة التى تصدرها تربحـان نحو ٤٠ مليون دولار سنويا .

وتبلغ قيمة أسهم شركة « داو جونز » فى السوق ٩٠٠ مليون دولار وهذا هو رأسمال الشركة فى الوقت الحاضر .

***

بدأت فكرة هذه الصحيفة عام ١٨٨٠ .

اثنان من الصحفيين تركا عملهمـا وذهبا الى مدينة نيويورك .. الاول اسمه « شارلز داو » كان يغطى أسعار شركات المناجم يكتبها على أكمام قميصه ويسرع بها الى المكتب الذى يعمل به ويوزع الاسعار على الزبائن .

والثانى « ادوار جونز » الذى انضم الى زميله .

ثم استقال الاثنان ليؤلفا شركة عرفت باسمهما وهى شركة « داو جونز » التى أنشئت فى بدروم بلا نوافذ قرب بورصة نيويورك .

وصدر العدد الاول من « وول ستريت جورنال » فى ٨ يوليو ١٨٨٩ فى ٤ صفحات منها أسعار الاسهم وأخبار اقتصادية ورياضية .

وحمل العدد الاول مبـــاراة الملاكمة الشهيرة التى خاضها « سوليفان » للاحتفاظ بلقبه بعد ٧٥ جولة فى مباراة واحدة .. ففى تلك الايام كانت المبـاريات .. طويلة .. طويلة .

وفى نهاية القرن باع الصحفيان الشركة والصحيفة الى « كلارنس بارون » .

والى هذا الرجل يرجع الفضل الى تطـور الصحيفة وشهرتها .

كان صحفيا يملى الاخبار على جيش من السكرتارية في وقت واحد .

... يملى أخباره ومقالاته عندما يستيقظ صباحا ثم من الحمام .. وهو يحلق ذقنه .. بل كان يملى مقالاته وهو يلعب البوكر .

وكان صديقا للملكة « ماري » ملكة رومانيا .

***

رأى « بارون » ان مهمة الصـحفى أن يفسر للقراء كل عمليات الاستثمار سواء تمت على موائد القمار فى لاس فيجاس ، أو فى آبار البترول فى البحرين .

ورأى أن واجبه تقديم أسعار الذهب في زيورخ ، والماشية في الارجنتين ، وأسعار الاراضي والمزارع في أمريكا ، وتقلبات أسعار سوق الاوراق المالية ومضارباتها .. وما وراء هذا كله .

ورأى ان صحيفة اقتصـــادية لا ينبغى أن تتجاهل تفاعل المال والسياسة .. ولابد من أنبـــاء الجرائم ؛ والحروب ، والسـينما ، والمسرح ، والـكتب ولـكن الاقتصاد يسبق هذا كله .

وكانت الاخبـــار المالية مهملة في الصحف وتنشر بطريقة غبية فقدمها بطريقة افضل .

***

ووجد أن مهمة محرر الصحيفة أن يربط الاحداث الدولية المتباعدة ويبين تأثيرها على سوق المال .

ان ما يجرى في بورصة باريس قد تـكون له علاقة

بجريمة قتل غامضة فى شارع ضيق باستانبول ، وبناد للقمار ، أو بصحفى يساوى ببيونس ايرس .

وهـذا كله قد يؤثر فى سـوق الاوراق المـالية فى نيويورك .

ومهمة المحرر أن يتنبأ بالتغييرات .. ارتفـاعا ، أو هبوطا ، فى أسعار المواد الخام حتى يقدم خدمة للقارىء .

***

قبل قيام الحرب العالمية الاولى بدأ سباق التسلح بين الدول الكبرى فى أوربا .

وتأثر الاقتصاد الامريكى نتيجة الاقبال على المعادن ، التى يصنع منها السلاح ، فارتفعت الاسـعار وزاد الرواج .

ورأى « بارون » أن يسافر الى أوربا لمراقبة الاحوال، على الطبيعة .

فى فينا وجد رجال البنوك يستمتعون بالربيـع ... والصحفيين بالمقاهى يحتسون القهوة التركية ، ويتبادلون الاشاعات عن بلاط الامبراطور « فرانز جوزيف » .

وفى باريس وجد الناس منتشين بالسعادة .

ووجد أن تجار السلاح قد زادوا معروضاتهم فبدأ الطلب يقل ..

وفى كل مكان لم يحس بخطر الحـرب فـكتب فى صحيفته ينصح المساهمين فى شركات المعـادن ببيع أسهمهم وشراء أسـهم شركات البترول فى المكسيك وسومطرة وخليج الاطلسى .

وقال « بارون » أن أسعار أسهم المعادن ستنخفض حتما ..

وصح ما توقعه ..

بدأ سباق التسلح يخف .

وأخذت الاسعار تتهاوى ..

وفى الاسـبوع الاخير من يوليـو عام ١٩١٤ اغلقت بورصات فيينا ، وبروكسل ، وبودابست لمنع المزيد من الانهيار ..

وقبل نهاية الشهر كانت بورصات أوربا قد أغلقت .

وفي ٢١ يوليو تلقت بورصة نيويورك نبأ عاجلا بأن بورصة لندن أغلقت بينما ظلت مفتوحة حتى خلال حرب نابليون .

واصيب سوق الاوراق المـالية فى نيويورك بالرعب فأخذت الاسعار فى الانهيار السريع المفاجىء .

وحاول الخبراء وقف تدهور أسـعار أسهم شركـة الصلب الامريكية حتى لا تؤثر على باقي الشركات .. ولكن بغير نتيجة ، فان أوامر البيع كانت تتساقط على السماسرة كالمطر ..

وأغلقت البورصة فى موعـدها العـــادى وبدأت الاجتماعات بين المسئولين لبحث الموقف .

قال السماسرة ان المساهمين الاوربيين فى الشركات الامريكية يملكون أسهما قيمتها ٢ر٥ بليون دولار وقـد طلبوا بيعها .. واذا تم ذلك فان الانهيار الاقتصـادى الكامل لامريكا .. محتوم .

وعلى ذلك تقرر اغلاق بورصة نيويورك لاول مرة منذ عام ١٨٧٣ .

بقيت البورصة مغلقة ٩ شهور .. اى حتى أبريل عام ١٩١٥ ، فقــد قامت الحرب وأصبحت الولايات المتحدة اكبر مورد سلاح للحلفــاء .. وبذلك ارتفعت الاسعار .

***

ان هذه الصحيفة تدور حول مركز واحد : المال ..

وكل الفضائح الســياسية وغيرها تبدا وتنتهى ـ عادة ـ بالمال .

ولم يتردد « بارون » فى القاء الضوء على الفضائح المالية مهما كان الثمن .. وأيا ما تكون شخصية المتهم .. ومهما كلفه ذلك من جهد ومتاعب .. ومشاكل .

***

ولد شارلز « بونزى » فى ايطاليــا .. وهاجر الى أمريكا وعمره ١٧ سنة اشتغل بكل الاعمال .. قــام بغسل الصحون .. ورقى جرسونا ، ثم عمل كاتبــا وأخيرا ، وبسبب خياله الخصب أصبح مليونيرا ..

قال لاصدقائه :

ـ اكتشفت وسيلة للاستثمار تجعلكم اغنياء.. درست نظام أذونات البريد فى أمريكا وأوربا . وأستطيع ان اضمن لكم ربحا يصل الى ٥٠ ٪ على أموالكم خلال ٤٥ يوما .

صدقه بعض الاصدقاء فاستأجر مكتبا ـ من حجرة واحدة ـ فى مدينة بوسطن يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٩ .

وفى اليوم الاول جمع ٢٥٠ دولارا من الزبائن ، الذين يريدون الثراء دون القيام بعمل .

وبعد ستة اسابيع ، رد لهم أموالهم مضافا اليها ١٢٥ دولار هى الارباح التى وعدهم بها .

انتشر النبأ وبدأ الناس يطرقون باب « بونزى » .. كلهم يحلمون بالثراء ، ليشتروا قصورا فى ايطاليا أو اليونان أو .. فان معظم الحالمين من المهاجرين ..

وكان « بونزى » يقدم للزبائن القهوة والحلوى .

وتدفق الناس حتى كونوا صفوفا طويلة .. وكان يجمع المدخرات مؤمنا بأنه سيضاعفها خلال ستة شهور .

وفى ربيع عام ١٩٢٠ كان « بونزى » قد جمع ربع مليون دولار كل يوم .. وملأت الاموال ادراج المكتب و ١٢ سلة مهملات وبلغ ارتفاعها سقف الحجرة .

واضطر لتعيين ١٦ كاتبا لتلقى الاموال . وفتح ٥ مكاتب فى ولايات أمريكا لقبول الاستثمارات .

وفى أقل من ٨ شهور ، جمع ١٠ ملايين دولار . وأصبح اسمه مشهورا فى أمريكا كلها . واشترى عقارات ضخمة فى بوسطن ، وشركة السمسرة التى عمل فيها ساعيا ، وسار من عمالقة سوق الاوراق المالية وصديقا لرجال السياسة .

وعندما يغادر السيارة أمام مكتبه الجديد يحيط به الايطاليون والايرلنديون واليهود يتوسلون اليه قائلين :

ـ خذ أموالنا .

وفى صيف ١٩٢٠ قرر « كلارنس بارون » صاحب جريدة « وول ستريت جورنال » القيام بتحريات لاثبات أن « بونزى » لص وأفاق ومزور .

والنصاب عادة يهرب من مندوبى الصحف ولكن

« بونزى » استقبل محررى « الجورنال » واشار الى حقائب مليئة بالمال وقال :

ـ هذه هى الارباح سأوزعها على أصحابها .

ولكن الصحيفة أخذت تبذر الشكوك حول «بونزى» وكتبت تقول أنه من المستحيل تحقيق أرباح بهذا الحجم من أذونات بريد ثمن كل منها ٦ سنتات .

وجد « بونزى » أنه ينبغى أن يرد فاقام دعوى ضد الصحيفة مطالبا بتعويض ٥ ملايين دولار من تهمة القذف ضده ..

أوفد « بارون » أحد مندوبى الصحيفة الى باريس ـ مقر اتحاد البريد الدولى ـ لمعرفة عدد أذونات البريد التى أصدرها الاتحاد خلال عام .

وجد الصحفى ان هذه الاذونات لا تتجاوز قيمتها مليون دولار خلال عام .. وبالتالى لا يستطيع « بونزى » أن يحقق من هذا المبلغ الارباح الضخمة التى يدعيها ..

قال « بونزى » ردا على الحملة الصحفية : « لا اجمع ارباحى من هذه الاذونات .. انها ستار فقط ..

.. ولا أريد أن يعرف الناس كيف أصل الى هذه المكاسب كلها .

وما دام الزبائن يحصلون على ارباحهم خلال ٤٥ يوما فليس لاحد أن يحاسبنى » .

خاف الناس على أموالهم فاتجهوا الى مكاتب « بونزى » لاسترداد أموالهم فأعادها اليهم كاملة .

ولم يتوقف « بارون » وصحيفة « الجورنال » عن الهجوم على « بونزى » .

وبعثت الصحيفة بعض المراسلين الى مونتريال ومعهم

صور « بارون » يعرضونها على أولئك الذين عمل معهم في كندا قبل انتقاله الى أمريكا .

.. تعرف أحد رجال الشرطة على « بونزى » وقال انه كان يعمل فى بنك . وقد حكم عليه ٣ سنوات بتهمة التزوير ..

وجدت الحكومة الامريكية أنها لا تقدر على الاستمرار في الوقوف موقف المتفرج ازاء رجل يبدو من تصرفاته انه أفاق .

وخلال يومين من نشر قصـــة مونتريال ، قبض على « بونزى » ، وأودع السجن ، فتجمهر الناس وهاجموا السجن معتقدين ان الحـــاكم سيرد اليهم أموالهم .. وارادوا قتل « بونزى » لولا حماية الشرطة له .

وقد تبين انه خدع ٤٠ ألف مساهم استولى منهم على ١٥ مليون دولار ولم يجدوا معه عند القبض عليه سوى مليوني دولار .

ولم يستطع « بونزى » ان يحدد مدى الاموال التى سرقها لانه لم يكن يحتفظ بدفاتر بل كان يرد الاموال والارباح الى بعض المستثمرين القدامى بأموال المخدوعين الجدد ...

اضطر « بونزى » الى الاعتراف بجـــريمته فقضى بسجنه ٥ سنوات .

وكان يستطيع الهرب والافلات من السجن لانه لم يفكر فى الحصول على الجنسية الامريكية .

***

عاش « بارون » حتى بلغ الثالثة والسبعين ..

بقي أياما فى غيبوبة أثناء مرضه الاخير .. ولما أفاق منها التفت الى سكرتيرته قائلا بصوت هامس :

ـ ماهى آخر الاخبار على آلة التيكرز الآن .

.. ثم مات .

وكان ذلك عام ١٩٢٨ .

وقد تزوج من أرملة أم لابنتين فورثتا وزوجاهمـــا الصحيفة وشركة « داو جونز » التى تتولى نشر أسعار الاسهم فى بورصة نيويورك حتى الآن .

وعندما أقبلت الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣١ انخفض عدد المشتركين فى آلات التيكرز ، التى توزع اســعار الاسهم ، فاضطرت الشركة الى توزيع نـكت وفكاهات على هذه الآلات .

أما الصحيفة فوجدت أن مستقبل الاوراق المالية غير مضمون فاهتمت بتوسيع نطاق عملها وزيادة جاذبيتها للقراء فتحولت الى جريدة اقتصادية واجتماعية أيضا .

ولم يتدخل الورثة بل تركـوا الصـــحيفة والشركة الخبراء المختصين يديرونها .

يوم هاجمت اليابان ميناء « بيرل هاربور » عام ١٩٤١ وأغرقت الاسطول الامريكى نشرت « الجورنال » فى الصباح التالى مقالا فى الصفحة الاولى قالت فيه :

« الحرب مع اليابان تعنى ثورة صناعية فى الولايات المتحدة » .

واكتفت الصحيفة بكتابة أخبار الغزو اليابانى للفيلبين وسقوط « سنغافورة » فى فقرات صغيرة فى الصفحة الاولى .

ولم تبرز أنباء القتال فى كل الجبهات بمـا فى ذلك غزو الحلفـاء لاوربا . أنها رأت أن توجه اهتمامهـا ،

واخبارها ، وتعليقاتها ، وافتتاحياتها للجبهة الداخلية .. ونقص المواد والرقابة على الاسعار والتوزيع بالبطاقات والقوى العاملة وكل ما يفيد القراء .

وجدت الصحيفة ان واجبها الاساسى خلال الحرب الا تعامل قراءها كمديرى شركات ورجال أعمال واموال بل عاملتهم على انهم مستهلكون ولذلك ابرزت ما يهمهم واسرهم .

وفى الاسبوع الاول للحرب لفت الرقيب نظر رئيس التحرير الى انه نشر صورة ضخمة لتل من اطارات السيارات القديمة .

وقال الرقيب ان هذه دعوى للتخريب .

كما لفت الرقيب نظر رئيس التحرير أيضا الى مقال نشر يتضمن معلومات هامة قد تفيد العدو .

قال رئيس التحرير :

ـ ولكن كل المعلومات جاءت من دائرة المعارف البريطانية .

قال الرقيب الذى لا يراجع الصحيفة قبل النشر :

ـ المسئولون الالمان قد لا يقرأون دائرة المعارف ولكنهم يطالعون الصحف .

ولقد قامت اليابان بارسال بالونات تحمل القنابل الى الشاطىء الغربى لامريكا مستغلة فى ذلك التيارات الهوائية .

وسقطت بعض القنابل على أهداف ثانوية ولكن الصحيفة ، وغيرها ، امتنعت عن النشر ، فلم تعرف

اليابان مدى نجاح أو فشل التجربة فتوقفت عنها .

وخلال الحرب فرضت الصحف الامريكية على نفسها رقابة اختيارية . واستطاعت « الجورنال » أن تحصل على سبق عالمى وهو انتاج أول قنبلة ذرية فى أمريكا ، وفى العالم كله .

ولكن الصحيفة ـ بسبب الرقابة الاختيارية ـ امتنعت عن نشر النبأ .

وقد امتنعت السلطات الامريكية من تجنيد مديرى تحرير الصحف حرصا على استمرارها على العكس مما فعلته بريطانيا ـ ولكن هذه السلطات جندت المحررين ، فاضطرت الصحيفة الى أن تطلب من معاهد الصحافة اسماء الخريجات الاوائل واستعانت بهن خلال الحرب .

وسياسة الصحيفة تتركز فى الحرية الاقتصادية او الاقتصاد الحر .

وكانت « وول ستريت جورنال » أول صحيفة فى امريكا تعارض اشتراك الولايات المتحدة فى حرب فيتنام ، وذلك عام ١٩٦٨ عندما كان ذلك الاتجاه غير مقبول من الامريكيين .

وتؤمن الصحيفة بأن قراءها ليسوا متبحرين فى علوم المال ولذلك تكتب ببساطة وبلا تعقيد ولا تنشر اصطلاحات فنية الا اذا شرحتها فى كل عدد .

وهى تختار المحررين الشبان عقب تخرجهم من الجامعة مباشرة ، قبل الاشتغال بالصحافة ، أو العمل بسوق المال .

انها تحرص فقط على أن يكون الصحفى الشاب ممن

يحسنون الكتابة ، أما الخبرة فيكتسبها من خلال عمله ..

فالصحيفة ترى ان « النصاب » يبدأ من القاع ، ويتعلم ، ولذلك فان الصحفى أيضا يستطيع أن يتعلم من الصحيفة ومن السوق .

وهى تقول للمحررين الجدد :

« احرصوا على أن تكون الجريدة جذابة للمائة الف قارىء الذين لم يشتروا الصحيفة ، أو لم ينتظموا فى قراءتها حتى الآن .

والسبيل لذلك أخبار بلا أخطاء ، وموضوعية كاملة ، وعدم تحريف الأنباء » .

وفى كل صباح يتناول رؤساء الاقسام القهوة فى مكتب رئيس التحرير . ويبدأون عملهم بنقد العدد الصادر ذلك الصباح . ويضعون أفكار الموضوعات والاخبار التى ينبغى على الجريدة متابعتها والاهتمام بها .

ومعظم الانباء التى تنشر فى الصفحة الاولى فى اليوم التالى ، هى عادة نتاج هذا الاجتماع الصباحى .

***

وقد عهد الى محرر واحد بكتابة كل أخبار الصفحة الاولى سنوات طوال .

قيل له :

ـ يجب أن تكون هذه الصفحة متميزة أو فريدة بين الصحف . ويجب أن يجدها القراء مسلية . مفيدة . يسهل فهمها .

وعليك ان تقدم لهم أخبارا لا يجدونها فى أى مكان آخر .

وقد تفوق هذا الصحفى واسمه وليم كيربى ـ واصبح بعد ذلك رئيسا لمجلس الادارة ١٢ سنة .

وقد بدأ حياته مندوبا .. أو مخبرا صحفيا تنبأ بالازمة الاقتصادية العالمية ـ التى وقعت فى الثلاثينات ـ فترك لأمه شيكا موقعا عليه برصيده الصغير فى البنك .. وقال لها :

ـ عندما اطلب اليك سحب الرصيد فقومى بذلك فورا ..

وفى أحد الايام اتصل بها تليفونيا وقال لها :

ـ اذهبى الى البنك واسحبى الرصيد .

قالت الام :

ـ كله ؟

أجاب بالايجاب ..

واستمر فى عمله ثم عاد الى البيت فى المساء وسأله أمه :

ـ أين الدولارات ؟

قالت الأم :

ـ فى مرآة المصعد وجـدت انه لابد من ذهابى الى الكوافير . وبقيت هناك حتى فات الوقت وأغلقت البنوك .. لا تغضب سأذهب غدا .

قال بحسرة :

ـ فات الوقت .. لقد أغلق البنك الى الابد .

وبعد ست سـنوات تمت تصفية البنك واسـترد رصيده .

وقد التزم « كيربي » خلال الـ ١٢ عاما التى أمضاها رئيسا لمجلس الادارة بأن يخطر الصحيفة بمكان وجوده خلال الاجازة القصيرة التى يحصل عليهـا حتى يمكن الاتصال به فى أى وقت .

ومنطقة فى ذلك يقول بأنه ما دام القرار النهائى له ، وهو أعلى سلطة ، فيجب أن يكون تحت تصرف الصحيفة فى أى وقت ليصدر ذلك القرار .. عند الحاجة اليه .

وشعار الصحيفة التى تطبقه دواما هو :

« لا يوجد وقت مناسب للقيام بأى عمل .. ولذلك علينا انتهاز الفرص » .

***

فى مايو عام ١٩٥٤ نجح مندوب الصحيفة فى مدينة « ديترويت » مركز صناعة السيارات ، فى الحصول على صور موديلات عـدد من سيارات الشيفروليه التى ستنتجها شركة « جنرال موتورز » عام ١٩٥٥ قبل ازاحة الستار عنها رسميا .

تلقت الصحيفة هذه الصور ونشرتهـا فى صـفحتها الاولى مع وصف كامل لها .

و « جنرال موتورز » احدى الشركات العشر الكبرى فى أمريكا .. وغضبها يعنى زئير عـدد من الشركـات التى تنتج لها ، قطعا ، أجزاء من السيارات .. أو قطع الغيار .

وفوجئت الصحيفة بقرار من « جنرال موتورز » بالغاء

جميع اعلاناتها ، وتبع ذلك قــرار مماثل من الشركات الاخرى المتعاونة ، أو المتضامنة ، معها .

وهكذا فقدت الصحيفة في يوم واحد مبلغ ربع مليون دولار سنويا . وهو رقم كبير بمقاييس تلك الايام كمـا حجبت الشركة الاخبار عن الصحيفة .

ولم تستطع الجريدة المالية والاقتصادية ان تتجنب نشر أنباء صناعات السيارات ، وأخبار الشركة فاتفقت مع وكالة أنباء « اسوشيتد برس » على موافاتها بـكل شيء .

وفي نفس الوقت حرصت على كتمان نبأ الخلاف ، او المعركة السرية بين الصـــــحافة والشركة ، أو بين استغلال الاعلانات وحصيلتها للضغط على الصحف .

ولـكن النبأ تسرب للصحف الاخرى التي نشرته في منتصف يونيو .

ووجد مؤيدون للشركة ، ومناصرون للصـــــحافة . وأثيرت حرية الصحافة التي وجدت لها أنصـــارا .. وخصوما ولكن من رجال الصناعة !

وعندما أحست الصحيفة انها ربحت معركة الرأى العام ، وخسرت أموال الاعلانات ، فكرت في عقد مؤتمر صلح ، أو مؤتمر سلام ، فدعا كيربي رئيس الشركة التي تصدر الصحيفة ، رئيس « جنرال موتوز » الى اجتماع في مدينة ديترويت يوم ٧ يوليو .

في هذا الاجتماع قالت الصحيفة بلسان ممثلها :

ــ نريد أن نكون أصـــدقاء للشركة .. وفي نفس الوقت ، نكره أن نخسر أموال الاعلانات .

ولـكننا لن نسمح لاحد بأن يملى علينـا ما ننشره ، وما لا ننشره .

قال كيربى :

ـ لو خضعنا لكم فان اثنين من كبار محررى الصحيفة يستقيلان احتجاجا على نفوذ المعلنين على الصحيفة .. وتعويض الاعلانات ممكن ولا يمكن ايجاد بديل لصحفى كبير .

وشرحت جنرال موتورز موقفها قالت :

ـ لا نريد أن نحد من حرية الصحافة ولكننا نحرص على حماية تصميماتنا .

وانتهى الامر الى اتفاق على تبادل الخطـــابات بين الطرفين لشرح وجهة نظرهما للجمهور .

وظلت صيغة الخطابات محل جدل بينهما خمسة أيام كاملة ثم نشرتها الصحيفة يوم ١٣ يوليو ... واستأنفت الشركة مد الصحيفة بالاعلانات .. ولـكن التوتر بين الطرفين ظل قائما حتى شهر سبتمبر عندما أقيمت مأدبة غداء فى نيويورك جمعت كبـــار المحررين ومديرى الشركة .

وانتهى « الحـــــادث » الى صيانة سرية موديلات السيارات .. ولكن الشركة ربحت كثيرا من الضجة اذ أصبح موديل الشـــيفروليه فى تلك السنة موضع اهتمام الجمهور كمـــا زاد توزيع الصحيفة الاقتصادية المتخصصة التى لا يقرؤها ، عادة ، سوى رجال المال .. والاعمال .

***

المثل الشائع يقول :

« الكلب لا يعض أذن أخيه » .

والمقصود بذلك أن أصحاب المهنة الواحدة لا يهاجم بعضهم بعضا .

ولكن الصحفيين ـ فى كل مكان ـ يتبادلون الهجوم .. ويعيشون على ذلك .

ولم تشذ « وول ستريت جورنال » عن هذه القاعدة، بل أنها تتمادى وتهاجم أصحاب الصحف أنفسهم .. وبعنف .. وفى الصفحة الاولى .

فى ١١ أغسطس عام ١٩٧٢ بدأت « وول ستريت جورنال » سلسلة مقالات ضد « شاندلر » صاحب جريدة « لوس انجلوس تايمز » وهى من أكبر الصحف الامريكية .

و « شاندلر » له صديق يدعى « بارك » .

درس الاثنان معا فى الجامعة وعندما تخرجا أصبح بارك مضحك الصحفى الكبير ..

وقد أسس « بارك » شركة للتنقيب عن البترول فى عام ٦٤ .

وطلب « بارك » من زميله ناشر جريدة « لوس انجلوس تايمز » أن يساعده فى البحث عن مستثمرين يساهمون فى الشركة .

ولان الناشر «شاندلر» له أصدقاء كبار فقد استطاع أن يجد هؤلاء المساهمين ، وبذلك جمع « بارك » ٣٠ مليون دولار من أموال المساهمين ورأى « شاندلر » أن يرد الجميل لصديقه الذى ساعده فى عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ فأعطاه ١٠٩ آلاف دولار نقدا كما قدم له ـ مجانا ـ أسهما قيمتها نحو ٣٠٠ ألف دولار .

وعرفت لجنة حكومية في سبتمبر عام ١٩٧١ أن الشركة خدعت المساهمين . وأنها لم تكتشف كميات

ضخمة من البترول .. فبدأت ـ اللجنة ـ التحقيق .

وأدرك المساهمون أنهم خدعوا فاجتمع مجلس الادارة وقرر طرد « بارك » من الشركة .. وأقام دعوى مدنية ضده يتهمه فيها بالتزوير والنصب .. الخ .

ولم تكتب الصحيفة (لوس انجلوس تايمز) كلمة عما يجرى فى هذه الشركة ، مع أن صاحب الجريدة يعرف كل الحقائق .

وعندما بدأ أحـد محررى « الجـورنال » فى يوليو ١٩٧٢ تحريات عن شركة « بارك » عرف « شاندلر » ان الصـحيفة تزمع نشر فضيحته قـام ـ سرا ـ برد ما أخذ من مبالغ وأسهم .

قالت « الجورنال » :

« ان معارف أغنياء لناشر من امريكا فقدوا الملايين وأن « شاندلر » فتح الابواب فى الدراسة للحصول على دعم مالى » .

وكتبت « الجورنال » كل ما تعرف .

ولم تسـتطع الصحف الامريـكية الاخرى أن تبقى صامتة وهل تجد أمامها فضيحة كبرى .

التقطت القصة « نيويورك تايمز » .. وكل «الكلاب» الصحفية .

واضطر « شـــاندلر » لان يذكر فضيحته .. فى صحيفته .. ولكن من وجهة نظره .. ودفاعا عنه .

واستمرت اللجنة الحكومية تحقق فى الامر ، حتى اضطر شاندلر الى الاستقالة من كل مجـالس ادارات البنوك .. واحتفظ برئاسة مجلس ادارة صحيفته .

ونجح « شـــــاندلر » عن طريق نفـوذه فى حفظ التحقيقات بالنسبة اليه .. ولكن ما نشرته «الجورنال» حطم ـ مؤقتا والى حد ما ـ سمعته .

***

ونال أحد محررى الصحيفة جائزة بوليتزر ـ أعلى الجوائز الصحفية الامريكية ـ عن مقالين ضـد قرينة الرئيس الامريكى السابق « ليندون جونسون » .

وقد نشر المقالان و « ليندون جونسون » يجلس على كرسى الرئاسة فى البيت الابيض .

قال الصحفى ان قرينة « جونسون » ظلت تحتفظ بامتياز احدى محطات الاذاعة بعد تولى زوجها منصب لرئاسة .

وقيمة هذه المحطة ١٧٫٥٠٠ دولار ، ولكن لجنـــة المواصلات الاتحــــادية جاملت المحطة التى تملكها حرم الرئيس فأصبحت المحطة امبراطورية اذاعة كاملة .

***

وفى عام ١٩٦٧ نال اثنـــان من محررى الصحيفة جائزة « بوليتزر » أيضا .

نشر الصحفيان عدة مقالات أزاحا فيها الستار عن الصلة بين عصابات المافيا فى أمريكا وأصحاب كازينات القمار فى جزر الباهاما .

قال الصحفيان ان حكومة جزر الباهاما تتألف من رجال بيض يحكمون شعبا أسود .. وهؤلاء البيض لهم

روابط قوية مع عصابات المافيا عن طريق أحـد رجال المال فى « وول ستريت » .

وذكرت الصحيفة اسم المالى الامريكى الكبير ..

وكان نشر تلك الفضيحة مقدما ، أو مبررا للانقلاب ، الذى وقع فى جزر الباهاما وأدى الى انهاء حكم البيض وتولى السود الحكم .

وبذلك أصبحت « وول ستريت جورنال » اول صحيفة أجنبية تمهد لانقلاب فى غير بلدها !

***

وأمضى محرر فى « الجورنال » خمس سنوات يطالع الملفات ويجمع المعلومات حتى استطاع الوصول الى الطريقه التى حصلت بها الشركات الامريكية على امتياز التنقيب عن البترول فى ليبيا والدور الذى لعبته « شركة الين » الامريكية فى هذا المجال .. وما صاحب ذلك من انحراف وتزوير ورشوة .

***

ونجح محرر آخر فى كشف التلاعب فى صـندوق اتحاد عمال المنـاجم الامريـكيين مما أدى الى تغيير كل قيادات الاتحاد .

طاف المحرر بوزارة العمل الامريكية وكل شركة تساهم فى الاتحاد .

ووجد الصحفى ان كل شركة تدفع ٤٠ سنتا عن كل طن من الفحم .

ومن الولايات عرف الصحفى انتاج كل شركة .

وبهذه الطريقة حدد المحرر الرقم الذى تساهم به

الشركات فى الاتحاد .. أى ايرادات الاتحاد وتبين له ان الارقام التى يعلنها تقل عن ايراداته الحقيقية .

***

وقد اشترت الصحيفة صحفا أخرى لانها وجدت أن ٩٤ ٪ من أرباحها تأتى من مصدر واحد وهو جريدة « وول ستريت جورنال » مما يعرضها فى أى وقت لهزة أو كارثة نتيجة المنافسة أو لعوامل اقتصادية طارئة .

***

وتصدر الصحيفة مجلة اسبوعية اقتصادية اسمها « بارون » .

وفى عام ١٩٧٩ أنشأت محطة تليفزيون فى احدى الولايات .. للمشتركين فقط .

وتعمل هذه المحطة ٢٤ ساعة كل يوم تقدم خلالها الاخبار السياسية والمالية والرياضية أيضا .. كما تقدم الاعلانات التجارية .

وعدد المشتركين ٢٤ الفا .

ويستطيع أن يتصل بالمحطة عن طريق الضغط على أزرار خاصة فيعرف معلومات معينة يريدها مثل أسعار الاسهم التى يمتلكها .

ولكن المحطة تقدم للمشتركين أيضا أخبارا عن الافلام المحلية والاوكازيونات فى المحلات التجارية ودليلا للمطاعم .

وتقدم المحطة ـ ٣ مرات يوميا ـ رسائل خاصة

للمشتركين مدة كل منها ١٥ ثانية تهنئهم فيها بأعياد ميلادهم وبعض الخدمات الخاصة .

***

وفى ابريل عام ١٩٨٢ قامت بأغرب حملاتها .

كتب مدير التحرير « لورانس أودونيل » مهاجما اللجنة التى تمنح جائزة « بوليتزر » .

قال انه أحد أعضاء هيئة التحكيم فى اختيار الجوائز لافضل التحقيقات الصحفية المحلية فى الولايات المتحدة .

وقد قررت اللجنة بالاجماع منح الجائزة لصحفى اسمه « كين ويلز » يعمل فى صحيفة « ميامى هيرالد » لانه كتب سلسلة من المقالات عن الجفاف فى جنوب فلوريدا .

ولكن اللجنة العامة لبوليتزر رفضت هذا الاقتراح واختارت محررا آخر فى صحيفة (كانساس سيتى تايمز) غطى أنباء انهيار فندق « حيات » فى المدينة .

وقال مدير تحرير « الجورنال » أن هذا القرار اصابنى بالجنون .

ولكن رئيس تحرير جريدة « ميامى هيرالد » غضب وقال ان جريدة « وول ستريت جورنال » عرضت على « كين ويلز » العمل فيها وهذا هو سر تزكيته للجائزة .

وقال رئيس التحرير :

« لا يجب أن تكون لجنة التحكيم لجنة لتجنيد الصحفيين .. ان هذا عمل لا اخلاقى » .

ولكن مدير تحرير « وول ستريت جورنال » رد على ذلك قائلا :

« سأعرض العمل على كل موهوب » .

***

وآخر ما قامت به الصحيفة عام ١٩٨٢ حملتها ضد التدخين بين الشباب بطريقة غير مباشرة .

نشرت تحقيقا صحفيا بين ١٥ وكالة توظيف، وتشغيل العاملين ، لمعرفة مدى كراهية مديرى الشركات للمدخنين .

قال التحقيق ان المديرين طلبوا من هذه الوكالات ألا يرشحوا للعمل أحدا من المدخنين .

واذا بعثت الوكالة بمدخنين يدعون أنهم لا يدخنون فان الشركات ترفض أن تدفع للوكالات أجرا على عملها .

وبهذه الطريقة تحاول الصحيفة ، تشجيع الشباب على الامتناع عن التدخين للحصول على وظيفة وعلى عمل .

***

وهذه الصحيفة هى ضمير رجال الاعمال فى أمريكا ، وهذا أحد عوامل نجاحها .

عندما كانت اضرابات العمال تجتاح الشركات الامريكية كانت الصحيفة تكتب عن الشركات الناجحة التى لم يضرب عمالها ، وتقدمها للقراء ، وتبين الدوافع التى حدت بالعمال للانتظام فى العمل لتتبع الشركات الاخرى « دواء » النجاح .

وقد وضعت قاعدة هامة لاسعار الاعلانات .

فالمعلن يحصل على سعر أعلى اذا نشر اعلانه فى كل الطبعات ..

ويحصل على سعر أقل اذا نشر الاعلان فى طبعات محدودة .

وفعلت شركة « داو جونز » ذلك أيضا فهى تلزم الصحف الكبرى بدفع اشتراكات أكبر للحصول على أسعار الاسهم فى البورصة .

***

وأصبح يطلق عليها الآن : معجزة الصحافة فى القرن العشرين وأكثر الصحف ربحا وأقواها نفوذا واحتراما فى أمريكا .

***

وسر نجاح ورواج هذه الصحيفة يرجع الى انها تعتبر مثل جهاز الرادار لجيوب الامريكيين فهى تحذرهم من كارثة اقتصادية .. وتحرص على استقرار عملتهم .. الدولار .. وتحاول أن تبين لهم كيف يربحون .

وهى الجريدة الوحيدة فى العالم التى لا تنشر أبدا كلمة لا ..

فهى لا تقول لقرائها « لا تشتر » أو « لا تبيع » أو (لا تعمل) لانها تخشى ان يخطىء عامل جمع الكلمات فينسى كلمة « لا » وبذلك يكتب اشتر .. أو بع وبهذه الطريقة يخسر القارىء الوفا أو عشرات الالوف أو الملايين نتيجة خطأ مطبعى .

ولا تكتب الجريدة أبدا كلمة (غير مذنب) عند صدور حكم قضائى فقد تسقط أيضا كلمة (غير) وبذلك يصبح البرىء مذنبا .

انها تقول للقراء المتهم برىء .

وتقول للقراء امتنع عن الشراء .. او امتنع عن البيع .. خوفا على مصالح القراء .

***

قال رئيس مجلس ادارة الصحيفة انه فى غمرة النشوة بالنجاح قال يوما لزوجته وهما يتنزهان :

ـ أنا أفضل صحفى فى أمريكا .

قالت الزوجة وهى تتنهد :

ـ قاتل الله الفرور !

أجابها وهو يبتسم :

ـ اذا لم أقتنع بذلك فهل يمكن أن يقتنع به غيرى !!

ملك الشيكولاتة
يقتل صحيفة!

الساعة الرابعة بعد الظهر ..

كان صحفي يجلس على آلته الكاتبة يعزف بأصابعه على حروفها آخر قصة .. وآخر مقال .. وآخر خبر .

وأجراس التليفونات تدق ..

ـ محرر يتكلم من فيينا .. انه في طريقه الى موسكو ، ولكنه توقف في النمسا ليلتقط قصة تصلح للصحيفة .

ومحررة تتكلم من باريس .. حديثها عن المرأة .. عن الغد ..

ومحرر يتكلم من بعيد .. انها أول أجازة له منذ اشتغل بالصحافة وهو يريد أن يخرج لسانه .. لزملائه ليقول أنه سعيد بالاجازة .

وفي داخل المبنى يروح ويجيء شاب صغير .. هذا يومه الاول في الصحافة . وهو كبير الامل في المستقبل .. وكبير الثقة بنفسه ، وبالجريدة التي يعمل فيها .. وبالحياة .

آلات التيكر ـ التي تنقل أخبار وكالات الانباء من كل مكان من العالم ـ تدق في كل لحظة لتحمل الاخبار

السعيدة والحزينة معا فى تتابع .. كالحياة .. بل هى الحياة ذاتها ..

وهذا صحفى عجوز سيترك العمل بعد أسبوع .

أمضى فى الجريدة صباه وشبابه .. بدأ من أول السلم وهو ينظر الى كل مكتب .. الى الجدران .. يستودعها شبابه .. وحياته .. انه حزين لانه سيغادر هذا المبنى .. أن الشقاء يزحف الى قلبه . لا يرى حياة له الا فى العمل الذى أخذ كل وقته وكل حيويته .. وكل قلبه .. ماذا سيفعل بعد أسبوع .. انه يريد للأيام السبعة أن تتمهل بل تتوقف .

ان الصحيفة فى هذا الوقت ليست خلية نحل فحسب .. انها ضجيج .. سباق مع الزمن ومع الاحداث .

وتدق أجراس التليفون لجميع المحررين فى وقت واحد .

هناك اجتماع فى مكتب رئيس التحرير .. الآن .

ــ ومن يحضر هذا الاجتماع ؟

ــ الكل ..

ويزحف الصحفيون الى مكتب رئيس التحرير ..

يجلس وسط حجرته يعلو وجهه الجمود .. اختفت ابتسامة الترحيب المعتادة .. وجهه يخفى كل انفعال .. بعض الصحفيين يجد مكانا يجلس فيه . والبعض لا يجد مكانا للوقوف ، ورئيس التحرير لا يعتذر كعادته .. أمامه أوراق يطالعها أو يعيد قراءتها .. وتنتقل عدوى الصمت من رئيس التحرير الى الجميع .

شهدت هذه الحجرة اجتماعات كثيرة سابقة .. اجتمع الصحفيون فى هذا المكان لمناقشة مستقبل بلادهم

.. ومستقبل العالم .. اعلان الحرب .. موت الملك .. انقسام فى الحزب الذى تؤيده الجريدة .. أزمة سياسية ولكنهم كانوا فى كل اجتماع يتكلمون ويناقشون .. كانت اجتماعات صاخبة مملوءة بالحياة والتفاؤل مهما كانت المناسبة حزينة . ولكن صوت رئيس التحرير يقطع الذكريات ليعلن :

« ابتداء من الغد ستتوقف صحيفتنا «النيوزكرونبكل» عن الصدور .

لن تصدر صحيفتنا غدا .. انها ستندمج فى جريدة « الديلى ميل » .

لم يتكلم أحد ..

كان رد الفعل فى العيون والقلوب .

الصمت الذى ساد منذ دقائق تحول الى أسى .. الى مرارة .. يأس وغضب تحول الى هزيمة ..

واستمر رئيس التحرير يتكلم .. على وتيرة وحيدة .

نجح فى اخفاء انفعاله .. انه يستكمل أبغض رسالة يمكن أن يكلف بها رئيس تحرير فى يوم من الايام .

قال :

« الصحيفة تخسر باستمرار .. اعلاناتهـا قلت . وتوزيعها أصبح نحو مليون وربع مليون نسخة . وهذا رقم ضعيف لان صحف لندن توزع أربعة أو خمسة ملايين نسخة كل يوم .

ثمن بيع الصحيفة سيذهب لتعويض المحررين .

وصاحب راس المال لن يأخذ قرشا واحدا .. كل الثمن للمحررين .. ولكن ماذا سيفعل الثمن وقدره نحو مليونى جنيه للمحررين .

كل صحفى سيحصل على مكافأة عن مدة خدمته تعادل مرتب أسبوع عن كل سنة من سنوات الخدمة .

ويشهق المحررون .. جرت العادة على أن تكون مكافأة ترك الخدمة فى شارع الصحافة مرتب شهر عن كل عام من أعوام العمل .. ولكن ماذا يفعل الصحفيون . ولا يوجد فى الجريدة نظام للتأمين أو نظام للمعاشات ؟

وانتهى كلام رئيس التحرير .. وأعطيت الصحيفة شهادة وفاة .. مات المريض دون أن ينطق بكلمة .. بحرف .

غادر الجميع الحجرة دون أن يسمعوا كلمة شكر واحدة على سنوات طويلة أمضوها فى العمل كرجال خطؤهم الوحيد .. الاخلاص .

وعاد الجميع الى أعمالهم ولكن الصورة تغيرت تماما ..

الآلات الكاتبة صمتت .. ماكينات « التيكر » لا تعزف حتى اللحن الحزين .. كل شىء صامت الا دقات القلوب .. ودقات الساعة .

الصحفى الذى سافر الى موسكو لن يصل الى موسكو أبدا .. والمحرر العسكرى الذى يكتب تحقيقا عن سر كثرة وفيات قائدى سيارات الجيش البريطانى فى ألمانيا لن يتكلم عن وفاة جندى فى ألمانيا وأمامه جنازة فى شارع الصحافة .. جنازة لن يشيعها أحد ، فالصحيفة لن تصدر فى اليوم التالى لتكتب نعيها .. والصحفى الذى تخصص فى نعى العظماء والكبراء لن يكتب أبدا نعى آماله .. ونعى صحيفته .

انها محنة فى شارع الصحافة .. فان ثلاثة آلاف من الصحفيين والموظفين .. سيتعطلون ــ بل تعطلوا فعلا ــ فجأة .. فى يوم واحد .. والاعمال الصحفية لا تنبت على أشجار شارع الصحافة .. والتعويضات لن تخفف الحزن ولن تمسح الدموع .. ان الصحفى الذى وصف سقوط كريت وسنغافورة وسبح فى بحر يحترق لينقذ نفسه وقصته .. ولم يبك أبدا .. أدمعت عيناه فى تلك اللحظة .

والصحفى الذى كتب عن المجاعات والفيضانات فى أوقات السلم . والصحفى الذى رأى ما فعلته القنبلة الذرية فى هيروشيما ، دون أن ترطب عينه دمعة ، أغرورقت عيناه بتيار جارف من الدموع وهو يسمع مصرع صحيفته بعد ١١٤ عاما وتسعة شهور .

ماتت الصحيفة فى غير معركة .. ماتت دون أن تدخل حربا .. قبرت بغير انذار .

كان « يوم الاثنين الاسود » فى شارع « بوفرى » المتفرع من شارع الصحافة فى لندن .. هو يوم المذبحة .. يوم الكارثة لصحفيين عملوا أكثر من ربع قرن . وهم ــ كالصحفيين فى كل مكان ــ لا يحتفظون برصيد من الذهب فكل رصيدهم قلم وفكرة .

ان محررة صفحة المرأة لم تجد ما تفعله الا أن ترى كومة من رسائل القراء على مكتبها فتضع الرسائل فى حقيبتها لترد عليها بعد ذلك بالبريد فانها لم تجد عملا . ولم يخترها أحد لتعمل فى صحيفة « الديلى ميل » التى عينت لديها بعض الاسماء اللامعة فى « نيوز كرونيكل » حتى تحتفظ ، أو تجذب ، قراء هذه الاسماء ..

ان الرجال الذين أخفوا عواطفهم خلال سنوات طويلة من الحياة الصحفية عجزوا عن اخفاء انفعالاتهم ذلك اليوم ..

تحول البعض الى بوفيه الصحيفة الذى أصبح ـ فجأة ـ بغير عمال . فقام أحدهم بصنع العجة التى لم يأكلها أحد ، لان كل طعام كالجيفة النتنة فى حلوق الكتاب والمحرزين .

والذين تحولوا الى البار المجاور ليحتسوا القدح المعتاد من الجعة رأوا من نافذة البار مشهدا لم ينسوه .. الى اليمين صحيفة « الديلى ميل » التى اشترت ، وانتصرت ، وتموج بالحياة .. والى يسار النافذة مبنى آخر يغلفه الحزن .. مبنى قاتما .

ولم تمس شفاه الصحفيين قطرة واحدة من الجعة .

وجاء سكرتير التحرير المسائى مبكرا عن موعده ليلتقى بالمسئول عن الصحيفة فعرف انه لن تكون هناك صحيفة غدا أو بعد غد .. ولن تدور المطبعة ولن ينطق بائع بكلمة « النيوز كرونيكل » كل صباح .

ويجمع سكرتير التحرير أوراقه ويخرج من سلسلة مفاتيحه مفتاح مكتبه ويضعه فى قفل المكتب ثم تدور عيناه فى فراغ حول المبنى .. حول المكان كله .. وهو لا يبصر شيئا . يسرع بمغادرة المكان تحيط به ذراعان تساعدانه على الوصول الى الباب .

وينظر صحفى آخر الى المبنى الصامت .. من يصدق ان الآلات التيكر يمكن أن تتوقف .. من يصدق ان الموت يمكن أن يزحف الى جريدة توزع مليون وربع مليون نسخة كل يوم ولها قراء مخلصون .

وينتشر نبأ الوفـاة ويزحف مصورو التليفزيون الى دار الصـحيفة ليسجلوا الحـدث الضـخم « وفـاة النيوز كرونيكل » ولينقلوا كلمات الضحايا .

ويذاع النبأ .. فى الاذاعة والتليفزيون وتدق أجراس التليفونات من جديد .. هذه قارئة تقول :

ـ لماذا لم تعلنوا النبأ منذ زمن .. ما الذى منعكم من ان تقولوا أنكم فى حاجة الى مال ؟

وقارىء آخر يقول :

ـ ماذا أستطيع أن أفعل لكم ؟

وعشرات التليفونات ومئـات البرقيـات ، ولـكن هذا كله لا يجدى بالنسبة للصحفيين الذين اصبحوا بلا جريدة يكتبون لها .. أنهم أضحوا جيشا بلا سلاح .. جيش تقاتل مقدمته بينما المؤخرة أو القيادة استسلمت .. ان الجيش الذى انتصر فى كل معركة خاضها هزم فى المعركة الوحيدة التى كان يجب أن ينتصر فيها .. انها معركته هو .. معركتهم هم .

ولكن ..

ما الذى جعل من وفاة « النيوز كرونيكل » مأساة فى شارع الصحافة .. ومأساة عالمية ؟

السبب أنها جريدة مختلفـة عن معظم الصحف .. كانت جريدة حزب الاحرار فى لندن ولكن آراء محرريها تسبق وتتقدم آراء الحزب .

كانت جريدة كل خبر ، فيها ، وكل مقال ، له رسالة .. مهمة .. له هدف مقدس .

ولدت فى ٢١ يناير عام ١٨٤٦ وبعد ثلاثة أسابيع من صـــدورها تولى رئاسة تحريرها واحد من ألمع كتـــاب انجلترا هو شارلز ديكنز .. الذى كان يسرع بالصحيفه ـ عقب طبعها ـ الى زوجته لتكون أول قارئة لها .

وبعد صدور الصحيفة مباشرة دخلت أول معركة ..

حزب المحافظين يحكم انجلترا .. وأصدر المحافظون قانونا مشهورا اسمه « قانون القمح » وبمقتضاه فرضت ضريبة على استيراد القمح فحاربت « النيوزكرونيكل » قوانين القمح وأسقطتها بعد ثلاثة أيام وأسقطت معهـــا حكومة المحافظين .

وكانت هناك ضرائب على المعرفة . فالصحيفة ـ بعد صدورها ـ تختم أعدادها واحدا واحدا بمعرفة موظف مخصوص لتدفع الصحيفة ضريبة عن كل عدد فحاربت « النيوز كرونيكل » الضرائب على المعرفة .

وفى الوقت الذى كانت فيه صحف انجلترا تعـــارض « ابراهام لنكولن » وتعارض حركة تحرير العبيد فى أمريـكا كانت « النيوز كرونيكل » ـ وحـــدها تقف مع لنكولن ..

وارتفع توزيع هذه الصحيفة عام ١٨٧٠ من ٥٠ ألفا كل يوم الى ١٥٠ ألفا خلال أسبوع واحد لان الافكار التى تنادى بها صـــــــحيفة الاحرار تتحقق فى اليوم التالى ..

***

كانت الصحيفة من نوع لم تألفه بريطانيا .. صحيفة

رأى .. وصحيفة خبر .. وصحيفة تضع المبادىء قبل التجارة وقبل أرقام التوزيع .

عند العدوان الثلاثي على بورسعيد وقفت قبل اية صحيفة في انجلترا تهاجم ايدن وتحمل على العدوان ..

وأدى موقفها الى انخفاض توزيعها بمقدار السدس ولكنها لم تتراجع ، وتراجع ايدن .

وظلت الصحيفة محتفظة بمبادئها . ولكنها لم تستطع ان تنافس صحف لندن أو أن يصل توزيعها الى أربعة او خمسة ملايين فانخفضت اعلاناتها . وأصبح من الضروري اعتماد اموال ضخمة للنهوض بها .

ولكن صاحبها المليونير لورانس كادبوري صاحب اكبر مصانع الشيكولاتة في بريطانيا — وقد بيعت الصحيفة لابيه بعد انقسام حزب الاحرار في لندن وان احتفظت بسياستها المستقلة رغم ذلك — رأى كادبوري ألا يرصد الاعتمادات الكافية لانقاذ الصحيفة . وفكر في بيعها على أن يذهب الثمن كله لتعويض المحررين ، أو لمنحهم المكافآت عن مدة خدمتهم .

وخلال تسعة عشر شهرا أخذ « مليونير الشيكولاتة » يتفاوض سرا مع جريدة « الديلي ميل » لتشترى الصحيفة .

وبطبيعة الحال لم يهتم « مليونير الشيكولاتة » — بتحسين الصحيفة أو بتجديدها أو بتقدمها فقد شغلته صفقة بيع عن عملية الانقاذ ، وان حرص خلال هذه الشهور الطويلة على اخفاء النبأ عن المحررين وعن الصحافة كلها .

ولكن النبأ تسرب الى الصحف واخطأ بعضها فى معرفة اسم المشترى .

وبقيت مصـــانع الشيكولاتة بينما اغلقت صحيفة الاحرار !

ونشر فى الاسبوع الذى أغلقت فيه الصحيفة انهـا ستباع لجريدة الجارديان فاتصل أحد محرريها أى محرر « النيوز كرونيكل » « بمليونير الشيكولاتة » بعد منتصف الليل ليقول له :

ـ أمامى الطبعة الاولى من جريدة منافسة وهى تقول اننا سنباع للجارديان .

ورد المليونير :

ـ لقد أخطأوا مرة أخرى .

وكان الخطأ الوحيـد فى اسم المشترى لا فى صفقة البيع !

ولكن أحد محررى « النيوز كرونيكل » استطاع ان يعرف موعد بيع الجريدة واسم المشترى .. وكان هذا آخر سبق صحفى .. لقد استطاع ان ينتصر على مالك الصحيفة نفسه !

وقصة هذا السبق الصحفى غريبة .

عرف المحرر ان احدى المطابع الصغيرة طبعت منشورا أصدرته ادارة « الديلى ميل » ووجهته لمتعهدى توزيع الصحف فى انجلترا كلها وفيه تقول لهم :

« ابتداء من الغـد سلموا لمشتركى ـ النيوزكرونيكل ـ « الديلى ميل » بدلا منها لان « النيوز كرونكل » اندمجت فى « الديلى ميل » .

واستطاع المحرر ان يحصل على نسخة من هذا المنشور . وبقى مع رئيس قسم الاخبار أمام المطبعة حتى شاهد المنشورات تخرج فى ظروف مقفلة مساء الاحد لتوضع فى صناديق البريد فتصل الى أصحابها صباح الاثنين . وتنفذ ابتداء من الثلاثاء .

وذهب رئيس قسم الاخبار الى رئيس التحرير ليريه المنشور — وكان رئيس التحرير يعلم المأساة قبل ذلك بخمسة أيام — فطلب من الصحفى أن يتكتم الامر لان انتشار النبأ معناه انهيار الجريدة من تلقاء نفسها فى اليوم التالى ، وعدم اتمام صفقة البيع وبالتالى عدم اعطاء المحررين مكافآتهم .

وتكتم رئيس قسم الاخبار النبأ وبقى يعمل — وقلبه — تعتصره المأساة المقبلة — وعمل ، ليكون آخر عدد من الجريدة ، جديرا بها وبكفاحها ، ١١٤ عاما و ٩ شهور وكان صمت الصحفى وعمله أروع ما حوته قصة الصحيفة أو قصاصاتها .

وأقول قصاصات ، لان قصاصات أى صحيفة ، هى فى الواقع تنبؤات قد تؤيدها أحداث التاريخ وقد تكذبها وتنبؤات « الكرونيكل » كانت حقائق فى معظم الاحيان .

انها الجريدة التى كتبت عام ١٩٢٢ : « ضعوا عيونكم على هتلر » .

وهى التى طالبت تشمبرلين بألا يستسلم للنازية وأن يحاربها .

وهى أول صحيفة اهتمت بالراديو فخصصت محررا لاخباره .

وهى التى تكلمت عن سيارات الفولكس واجن ــ الضفدعة ــ قبل أن تنشر فى أوربا . وقالت ان محررها المسئول اختبر بنفسه هذه السيارة وتأكد من حسن صنعها وقوة احتمالها .

وعندما كانت صحف لندن تسرف فى توزيع الجوائز والهدايا على القراء ، بقيت الكرونيكل وحدها فى معزل عن سباق استرضاء القراء لانهـا تقدم للقارىء رسالة الحق . والقارىء مستعد أن يدفع الثمن لشراء هذه الرسالة .

ان كل جريدة عبارة عن الصحفيين الذين يعملون فيها ..

وكل صحفى فى « الكرونيكل » كان صاحب رسالة ومستعد للموت فى سبيلها .

أحد محرريها يموت فى طائرة الجنرال « ونجت » فى جنوب شرق آسيا فى الحرب العالمية الثانية .

ومحرر آخر تخترق جسده عجلات دبابة المانية .

... وثالث بقنبلة .

ورابع يتقدم جيوش الالمان .. كلما دخل الالمان بلدا سبقهم بالخروج منه ..

وفى بلجراد قال له أصدقاؤه :

ــ أسرع .. أمامك دقائق لتهرب معنا ..

أجاب :

ــ ولكن يجب ان ابعث قصتى الى الصحيفة أولا .

وبقى يملى النبأ ، حتى اعتقلته قوات العاصفة ،

فمات فى معسكر للاعتقال ولم تنشر الصحيفة رثاءه فى صفحة ، بل فى سطور قليلة لان الصحيفة كانت تصدر أثناء الحرب فى ٤ صفحات فحسب ولا مكان ، فى هذه الصفحات ، لرثاء المحررين !

وعكست قصاصات الصحيفة تاريخها كله بل ان الاحتفاظ بهذه القصاصات كان عملا رائعا لامين المكتبة .

كان فى المخبأ عندما أحس بقنبلة ـ أثناء الحرب الثانية ـ على مبنى الصحيفة فغادر المبنى . وصعد الى الدور الرابع ليشاهد النيران تلتهم الستائر وبعض الكتب . وتكاد تمتد الى الافلام والصور والقصاصات فأمسك بيديه الستائر المشتعلة والقاها من النافذة أيضا وتبعها ببعض الافلام فأنقذ باقى المكتبة وأحرق يديه !

كانت صحيفة من نوع غريب .. كل رجالها جنود حتى عمال التليفون .. محرر يتكلم من فيينا بالتليفون وحوله جنود المان يصوبون المسدسات على ظهره . ولكنه يملى الرسالة وعامل التليفون يلتقطها بلا تلعثم وبلا سؤال عما يتهدد المراسل من أخطار فقد كان المهم بالنسبة للكل .. الخبر وليس صاحب الخبر .. ومشكلته أو متاعبه .

***

هاجمت الصحيفة تشرشل فى وقت من الاوقات .

ولكن عندما اعتزل تشرشل رئاسة الوزارة فى انجلترا يوم ٥ ابريل ١٩٥٥ . كان عمال الطباعة مضربين فى لندن .. ورأى تشرشل ألا يودع الناس بخطاب فى الراديو . فأعد رئيس التحرير الصفحة الاولى من الصحيفة وكلها عن تشرشل . ولم يكن هناك عامل طباعة واحد فقام المحررون بجمع حروف الطباعة واعداد « بروفة »

للصفحة الاولى . وارسلوا النسخة الوحيدة لتشرشل في بيته . وكان العنوان الكبير للصفحة « المانشيت » هو :

« اختفى بلا خطـــــاب فى الاذاعة . ولم يظهر فى البرلمان . ولا توجد صحف تسجل الحادث »

وقيل ان تشرشل لم يتأثر فى ذلك اليوم الا من تلك اللقطة الانسانية التى أهدتها له الصحيفة فى يوم بلا صحف ، فكان القارىء الوحيد للصحيفة وللتحية التى وجهت اليه يوم اعتزاله رئاسة الوزارة .

***

ولكن هذا التاريخ الطويل كله لم يمنع اغلاق الصحيفة او قتلها فى الوقت الذى كان محرروها ينتظرون معجزة .. يترقبون مهلة ٢٤ ساعة فقط ، تدخل خلالها الصحيفة الى المطبعة لتظهر فى أكشاك الصحف يوما آخر ولـكن المعجزة لم تتحقق أبدا .

والجـدير بالذكـر أن التنبؤات الجوية فى آخر عـدد للصحيفة تقول « يوم عاصف » ..

وتنبؤات محرر سباق قالت « هذا يوم المصير » اى يوم فوز جواد اسمه « المصير » .

والحقيقة أنه كان يوم المصير للصحيفة ولمحرريهـا جميعا .

سئل ملك الشيكولاتة كادبورى :

ــ ألم يكن ممكنا رصد أموال من أسرة كادبورى لانقاذ الصحيفة ؟

قال الرجل الذى تجاوز الثالثة والسبعين :

ـ كان لى ولدان أحدهما مات فى يوليو عام ١٩٥٠ فى مولان بفرنسا وهو يقـــــود سيارة سباق والآخر لا يزال على قيد الحياة .

كنت أعد الاول ليتولى ادارة الصحيفة والثانى ليدير مصنع الشيكولاتة ومات الاول فماذا أفعل ؟

... لقد قضى موت الابن على صحيفة وعلى مئات من الصحفيين !

والغريب انه كان من الممكن انقاذ « النيوز كرونيكل » لو ان صحف لندن رفعت أسعارها لتستطيع « النيوز كرونيل » أن تغطى خسائرها . ولكن صحف لندن لم ترفع أسعارها الا بعد مصرع « الكرونيكل » .

ومن الغريب أيضا أنه يوم ماتت « الكرونيكل » قالت بعض صحف لندن ان الديمقراطية فى بريطانيا ماتت يوم قتلت « الكرونيكل » .

ولـكن صحيفة « الميرور » قالت بعـــــد يومين أن الديمقراطية لن تموت بموت أى صحيفة . ولكن سيكون أصعب على الديمقراطية أن تعيش بعد مقتل هذه الجريدة العظيمة !

وبعد ..

كنت أحب هذه الجريدة كانت دائما معنا فى كل معاركنا .. وكانت حبى الكبير فى لندن .

وذهبت أزور مبناها فى « بوفرى ستريت » فى لندن فى أول زيارة لى بعد مصرع هذه الجريدة فوجدت جريدة أخرى تشغل المبنى .

وذهبت أبحث عن أصدقائى من محرريها فوجدت صديقا قديما هو نورمان كلارك الذى كان يرأس القسم الخارجى وقد أصبح مساعدا لرئيس تحرير شركة « أ . ت . ن » وهى الشركة التى تعد أخبار التليفزيون للمحطة المستقلة .

قلت لنورمان كلارك :

ـ ما هى أخبار الكرونيكل ؟

قال وفى عينيه الدموع :

ـ لن أنسى أبدا يوم المذبحة أو يوم الاثنين الاسود .. الاثنين الحزين ١٧ أكتوبر ١٩٦٠ .. يوم حررت فيه شهادة وفاة الصحيفة .

قلت له :

ـ ولكن منصبك الآن أفضل .

قال :

ـ الصحفى يبقى على الدوام يحب المهنة التى عشقها .. ووهبها مستقبله وشبابه كله .

هل يقول الحقيقة .. وبلاده تحارب ؟

هاجمت السيدة « مرجريت تاتشر » رئيسة وزراء بريطانيا التليفزيون وبعض الصحف لانهم لم يقفوا مع الحكومة فى الحرب ضد الارجنتين بشأن «جزر فوكلاند» .. بل انتقدوا رئيسة الوزراء وقيادة الجيش .

وقالت رئيسة الوزراء فى مجلس العموم « ان هيئة الاذاعة والتليفزيون ــ ب . ب . سى ــ تخلت عن المحاربين وكثير من الناس مهتمون بأن قضية المقاتلين لم تعرض كما ينبغى .

وفى بعض الاحيان كانت بريطانيا والارجنتين تعاملان على قدم المساواة من بعض أجهزة الاعلام مما يسىء الى رجالنا ويثير فيهم آلاما كبرى » .

وتحدث بعض النواب المحافظين فقالوا « أن ما تفعله بعض أجهزة الاعلام يؤدى الى أن نفقد ثقة أصدقائنا » .

وفى الصباح التالى قالت افتتاحية صحيفة « الصان » التى يملكها المليونير الاسترالى روبرت ميردوك والذى يؤيد رئيسة الوزراء ــ تحت عنوان كبير :

« بيننا خونة » .

قال كاتب المقال :

« ان رئيسة الوزراء لم تتحدث عن الخيانة ولكننا نقولها :

ان حرية الرأى من تقاليدنا القديمة . ولكن هذه الحرية ترتبط بالمسئولية وما قاله بيتر سنو ــ المعلق التليفزيونى ــ عن معاركنا البحرية يعتبر خيانة .

اننا فى حرب . والمواطن البريطانى اما مع بلده ، أو هو عدوها .

ان رسام الكاريكاتير فى جريدة « الميرور » يضعف الروح المعنوية للناس ولو فعل ذلك فى « بوينس ايرس » لأعدمه الجنرالات قبل أن يلتمس العفو والمغفرة .

ان قراء صحيفة « الميرور » يشترون صحيفة لا تؤمن ببلدها . ولا تخدم شعبها .

وهكذا انفجرت علنا الازمة بين « مرجريت تاتشر » والصحافة والتليفزيون .. فان رئيسة الوزراء تريد التأييد لان البلاد تحارب بينما ترى الصحف انها يجب ان تقول الحقيقة وان تعارض الحكومة ، وتعارض فكرة الحرب ذاتها اذا رأت ذلك .

ولقد عارضت صحيفتان يوميتان ــ منذ البداية ــ الحرب ضد الارجنتين بسبب جزر فوكلاند .

الاولى : جريدة « الجارديان » ــ المستقلة اليسارية ــ التى قالت أنه لا داعى للحرب من أجل هذه الجزر البعيده .

ونشرت الصحف كاريكاتيرا عن بحار من سفينة غارقة

تعلق بحطام قطعة من الخشب وقال الرسام : « ارتفع ثمن السيارة أخيرا » .. أى أن سيادة بريطانيا على الجزيرة تكلف أرواحا وضحايا .

وقالت الجارديان : « لم يحدث الآن شيء الا غرق السفن والشباب والمعارضة البرلمانية للحرب تتزايد . وأخذ الرأى العام الاوربى يتحول ضد انجلترا ومفتاح الموقف فى يد الحكومة الامريكية التى تستطيع ، مع العالم ، منع الحماقة » .

أما جريدة « الديلى ميرور » المؤيدة لحزب العمال فقالت « الحرب التى ينبغى أن تدخلها السيدة تاتشر ليست ضد الارجنتين بل ضد البطالة لان عدد العاطلين أكثر من ثلاثة ملايين » .

وهاجمت الصحيفة اعلانات وزارة البحرية التى تطلب مجندين وقالت ان الاعلانات تدعو الشباب الى التطوع لمشاهدة العالم وتغريهم بأنهم سيحصلون على أجور عالية ونزهات بحرية وذكرت أمهات القتلى فى السفن البحرية البريطانية ـ التى أغرقتها صواريخ الارجنتين ان أبناءهن أردن المال والسفن لا الموت .

وانتقدت الصحيفة العسكريين الذين وضعوا السفن فى مرمى الصواريخ الارجنتينية وقالت « هناك أشياء أهم من عناوين الحرب المجيدة فى الصحف المؤيدة لرئيسة الوزراء » .

أما المعلق التليفزيونى « بيتر سنو » فقدم البلاغات العسكرية للطرفين المتحاربين مما أغضب رئيسة الوزراء فانتقدت موقف الصحف والتليفزيون فى مجلس العموم .

واضطر رئيس هيئة الاذاعة والتليفزيون لان يصرح بأن « هذه الحرب تختلف عن كل الحروب الماضية اذ يوجد للصحف البريطانية والاذاعة والتليفزيون مندوبون يعملون فى دولة العدو ـ الارجنتين ـ ولذلك نقدمهم . ونحن لا نريد أن نشترك فى حرب الكلمات . ولا نريد أن تكون الحقيقة هى الضحية الاولى فى هذه الحرب .

ومن حق الشعب فى ظل الديمقراطية أن يعرف كل شىء .

ان مسئوليتنا خطيرة وعندما ننقل اخبـــارا سيئة للناس فلماذا يكون الوسيط هو الملوم » .

وامتنعت صحيفة « الجارديان » عن نشر كلمة واحدة ضد بيان رئيسة الوزراء .

أما جريدة « الديلى ميرور » فطالبت بوقف اطـلاق النار وقالت « يجب أن يوزع مع كل عدد من صـــحيفة « صان » تحذير كذلك الذى يوضع فى علب السجاير يقول :

« قراءة هذه الصحيفة يمكن أن تضر بعقلك » .

استمرت الصحف البريطانية تكتب عن حرب فوكلاند .. بعضها يؤيد ، وبعضها يعارض .

وبقى الصحفيون خلف خطوط العدو ...

الصحفيون البريطـــانيون ـ بأعداد كبيرة ـ فى الارجنتين يجرون أحاديث مع المسئولين ويقدمون صورا وافلاما للارجنتين وهى تحارب بلادهم .

وتقبض الارجنتين على بعض الصحفيين الانجليز وتتهمهم بالحصول على الاسرار العسكرية .. اى أنهم يتجسسون .

وبقى اثنان من الصحفيين الارجنتينيين فى لندن يكتبون لصحف « بوينس ايريس » عاصمة « العدو » .

وظلت الاتهامات توجه للاذاعة والتليفزيون البريطانى . وكذلك لبعض الصحف لانهم يذيعون معلومات عسكرية تفيد الارجنتين .

بل ان الصحف لم تكتف بذلك كان محرروها العسكريون ينتقدون أخطاء بلادهم وخططها العسكرية .

وانتقد الجيش البريطانى — أيضا — ما تفعله الصحف والتليفزيون قائلين أن السبب فى هزيمة الولايات المتحدة فى حرب فيتنام يرجع الى الافلام التى يقدمها التليفزيون الامريكى كل ليلة عن فيتنام مما جعل الروح المعنوية لامريكا كلها .. تتدهور .

وكان رد الصحف والتليفزيون انهم فى مجتمع حر لابد أن تقدم فيه الحقائق مهما كانت مؤلمة .

ولم ينخفض توزيع هذه الصحف نتيجة الحملات المتبادلة . ولم يطرد المعلق التليفزيونى من عمله . ولم يعتقل أو يحاكم ، لان الدنيا تغيرت عما كانت عليه عندما وقفت الصحف البريطانية ضد حكوماتها المتعاقبة وهى تحارب .

وللصحف البريطانية تاريخ طويل فى معارضة الحكومة أثناء الحرب .

اشتعلت الحرب العالمية الاولى فى ٢٣ يوليو ١٩١٤ ، وأختير « كتشنر » المعتمـد البريطانى فى مصر وزيرا للحربية أثناء وجوده فى أجازة بانجلترا .

واجه الجيش البريطانى هزائم كثيرة أثناء اشتراكه فى القتال فى فرنسا نتيجة نقص السلاح فان بعض المواد الاولية اللازمة لذلك كانت تجىء من الولايات المتحدة .

والرحلة بين نيويورك ولندن كانت تستغرق ـ قبل الحرب العالمية الاولى ـ ٢٠ يوما فأصبحت تستغرق شهرين كما أن الشحنات من ليفربول الى لندن تصل فى ٥ أسابيع .

ولم تكن مصانع السـلاح مستعدة وكتشنر مقتر ولا يريد الانفاق على شراء السلاح . ولم تصدر بريطانيا الا فى ١٥ مارس عام ١٩١٥ القانون الذى يجيز للدولة الاستيلاء على المصانع الخاصة وتحويلها لانتاج السلاح .

وخلال فترة اقامته فى مصر والسودان أصبح كتشنر صامتا ، ديكتاتورا ، واكتسب طباع « أبو الهول » كما يقولون .

وفى ١٤ مايو ١٩١٥ نشرت صحيفة « التايمس » فى الصفحة الاولى مقالا تحت عنوان « الحاجة الى قذائف .. درس من فرنسا » .

وكانت قد بدأت معركة بين القوات البريطـانية والالمانية فأطلق الانجليز كميات ضـخمة من قـذائف المدافع على الخطوط الالمانية وظنوا أن القنـابل حطمت دفاع الالمان ولكن القنابل لم تحقق النتائج المطلوبة وبقيت

دفاعات الالمان قوية والقوات سليمة فى الخنادق .. ووجه الانجليز بمقاومة شرسة أدت الى قتل واصابة ١١٥٠٠ جندى وضابط بريطانى .

كان اللورد نورثكليف يملك صحيفتى « التايمس » و « الديلى ميل » أى فى يده نصف توزيع صحف لندن .

وفى ٢٠ مايو دخل اللورد مكتبه فى جريدة « الديلى ميل » وكتب افتتاحية عنوانها « فضيحة القنابل ، حماقة كتشنر » .

فى هذا المقال وجه الكاتب ـ لان المقال بغير توقيع ـ هجوما عنيفا لنقص القنابل .

وطالب المقال بخروج « كتشنر » من الوزارة .

وصف سكرتير « نورثكليف » صاحب الصحيفة بأنه كان شاحب اللون بعد كتابة المقال .

عرض « نورثكليف » مقاله على رئيس التحرير فقال له :

ـ ستسجن .

قال نورثكليف :

ـ لا يهمنى .

ـ سينخفض توزيع الصحيفة .

ـ هذا شىء يجب أن أفعله .

وعرض « نورثكليف » المقال على سكرتير التحرير فقال له :

ـ انك تحطم معبود الجماهير .. وستغضب الناس .
رد « نورثكليف » :
ـ هذا الرجل يخسر الحرب .

وحمل اللورد صورة من مقاله الى أمه فنصحته ببعض تعديلات فأجراها تليفونيا .

وصدرت الصحيفة فى اليوم التالى فأثار المقال ضجة عنيفة .

* منعت « الديلى ميل » من دخول أندية القوات المسلحة .

* وقام ٣٠٠٠ عضو فى بورصة لندن باحراق نسخ « الديلى ميل » وهتفوا بحياة « كتشنر » وسقوط « نورثكليف » .

* وفى بورصة « ليفربول » مزقت الصحيفة وارسلت القطع الممزقة الى اللورد .

* وفى بورصة الفحم تكرر ذلك .

وذهب الصحفيون الامريكيون الى « نورثكليف » يسألونه فقال :

ـ اعلم أنهم قد يصادرون ممتلكاتى . وقد يرسلوننى الى « البرج » الذى يعدم فيه السجناء ولكنى كتبت الحقيقة .. ان أبناءنا لا يجدون القنابل .

ومدحت صحيفة « وستمنستر جازيت » ما قام به رجال البورصة .

وقال بعض الوزراء « الامة تجد الصحف الجديرة بها ، والتى تستحقها !

ولكن مهما قامت الامبراطورية بأعمال سيئة فانها ليست الى الدرجة التي تستحق فيها نورثكليف » !

وكان توزيع الصحيفة ١٫٣٨٦٫٠٠٠ نسخة كل يوم فاذا بها خلال أيام تفقد ٢٣٨ ألف قارئ .

واضطر شقيق « نورثكليف » الى الاستقالة من المنصب الحكومى الذى يشغله .

ولم يستطع « اسكويث » رئيس الوزراء تعيين الشقيق الآخر للورد فى منصب وزارى .

ولكن بعد ٤ أيام — فى ٢٥ مايو — أعيد تشكيل الحكومة فأصبحت أئتلافية تضم وزراء من حزب المحافظين بعد ان كانت قاصرة على حزب الاحرار .

وأنشئت وزارة للذخيرة تولاها « لويد جورج » الذى اسندت اليه رئاسة الوزارة بعد ذلك .

وبقى « كتشنر » لانه كان معبود الجماهير حتى غرق فى سفينة فى ٦ يوليو عام ١٩١٦ .

والغريب فى الامر أن « نورثكليف » هو الذى كان يطالب بتعيين كتشنر وزيرا للحربية !

وقيل ان سر الحملة يرجع الى الالم الذى احس به نورثكليف عندما سمع بوفاة ابن شقيقه الشاب فى الحرب ، والى أنه ذهب الى « كتشنر » وطلب منه ان يختص صحفه بالاخبار فهدده بالسجن وأنهى المقابلة

وأيا ما يكون السبب فان « الديلى ميل » أصبحت جريدة الجنود !

***

تولى « ونستون تشرشل » رئاسة الوزارة وزعامة حزب المحافظين يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ اثناء الحرب

العالمية الثانية .. وهى وزارة ائتلافية تضم وزراء من حزبى المحافظين والعمال .

وكانت صحيفة « الديلى ميرور » وزميلتها الاسبوعية « صانداى بكتوريال » تطالبان بأن يتولى تشرشل رئاسة الوزارة ليستطيع أن يقود البلاد الى النصر .

وما ان تحقق ذلك حتى بدأت الصحيفتان تهاجمان تشرشل .

نشرت «البكتوريال» افتتاحية انتقدت فيها بقاء معظم الوزراء القدامى أعضاء الحكومة السابقة وقالت « لماذا احتفظ تشرشل بأفراد العصابة القديمة » .

وانتقدت « الميرور » وزير الاعلام « داف كوبر » الذى أرسل ابنه الى أمريكا بينما مهمة الوزير اقناع الناس بأن انجلترا آمنة !

وهاجمت « البكتوريال » استمرار الوزراء الشيوخ قائلة « كسب نابليون أعظم انتصاراته ضد الايطاليين وعمره ٢٥ سنة وكان الاسكندر الاكبر قائدا كبيرا فى سن الـ ١٦ ومات وعمره ٢٣ عاما . « ولف » فاز فى المعركة التى أدت الى الاستيلاء على كندا وعمره ٣٢ عاما ايضا . أما ولنجتون فقد انتصر فى معركة ووترلو ضد « نابليون » وهو فى السادسة والاربعين » .

وبعد ٥ شهور من تولى تشرشل الوزارة وقع الخلاف النهائى ، أو الفراق ، بينه وبين الدار التى كان يكتب فى صحفها ، وبالذات « البكتوريال » أثناء الحرب العالمية .

فى ٣ اكتوبر ١٩٤٠ أجرى تشرشل تعديلا فى وزارته

ولكن « البكتوريال » لم تعجب بهذا التعديل فكتبت تقول : « التعديل لعبة حزينة ، بقى وزراء فاشلون لانهم من حزب المحافظين . وتم تجـاهل آخرين لم يدخـلوا الحكومة لانهم ليسوا بارزين فى حزب المحافظين . ان توازن القوى قائم .

اقرأ يا مستر تشرشل كلماتك التى كتبتها بنفسك من قبل . انك تقول :

« فى الحرب كل شىء مختلف فلا مكان للتسويات .

الدولة لا تتحمل الانقسام والتردد والتمزق فى قيادتها التنفيذية » .

لقد استقر السلام فى مجلس الوزراء بصفة مؤقتة ولكن الثمن يدفعه الرجال الشجعان فى ساحة القتال .

يا مستر تشرشل لقد حذرت نفسك .

ويغضب تشرشل فيجمع مجلس الوزراء يوم ٧ أكتوبر عام ١٩٤٠ لمناقشة عدة مسائل بينها « المقالات الهدامة فى الصحف » .

ويقرر المجلس تأجيل نظر الموضوع لدراسته .

وفى ٨ أكتوبر وقف « تشرشل » فى مجلس العموم يهاجم الصحف « الشريرة » !

وفى اليوم التالى اجتمع مجلس الوزراء .

قال « هربرت موريسون » وزير الداخلية ان الاتصال باتحاد أصحاب الصحف يجب أن يـــكون بصفة ودية لا للتهديد .

رد « تشرشل » بأن المقالات تهديد خطير للبلاد وانه مصمم على ايقافها ويريد الحماية من وزارة الحرب .

قال « اتلى » الذى أصبح رئيسا للوزارة فيما بعد : يجب أن نفرق بين أمرين هل هذه محاولة هدامة أم هى صحافة غير مسئولة .

وقال « موريسون » : لابد من تجنب مناقشة مثل هذا الموضوع فى مجلس العموم والا حدث انقسام فى صفوف الاحزاب .

وتحدث « بيفر بروك » ـ الوزير الصحفى ـ ضد الصحيفتين فقال انهما يسيئان للصحف بصفة عامة وأن اتحاد أصحاب الصحف يتمنى اتخاذ اجراء ضدهما . ويستطيع الاتحاد الاضرار بهما ماليا ومضاعفة تكاليف اصدار الصحف مثل عدم توزيعها فى قطارات الصحافة.

وأخيرا اتفق على أن يقوم وزيران بالاتصال باتحاد الصحف .

اجتمع اللورد « بيفر بروك » بثلاثة من أصحاب الصحف وابلغهما أن الرقابة على الصحف ـ حتى الآن ـ اختيارية وأن الحكومة ستضطر الى فرض رقابة اجبارية .

وقال ان سلوك الصحيفتين هدام ولا تعترض الحكومة على النقد ، ولكنها تعترض على النقد غير المسئول .

وأبلغت « الميرور » بالامر واتفق على ان يقوم سيسل كنج رئيس مجلس الادارة وبارثليميو رئيس تحرير الميرور بمقابلة « كليمنت اتلى » .

تم الاجتماع يوم ١٢ أكتوبر .

قال اتلى أنه يعبر عن راى مجلس الوزراء كله فى ان ما تكتبه الصحيفتان يعرقل الجهود الحربية .

حاول رئيس التحرير المصالحة بينما أصر « سيسل كنج » على أن يطلب من اتلى تقديم أمثلة للمقالات الهدامة فقال اتلى أنه لا يتذكر .

قال « سيسل كنج » :

ــ نحن الذين أبعدنا « تشمبرلين » رئيس الوزراء السابق من الحكم . نحن لا البرلمان ولا الاحزاب اننا اتخذنا أعنف موقف ضده وأتينا « بتشرشل » الى الحكم .

قال اتلى : هذه مبالغة .

قال كنج : ان « تشرشل » لم يعترض عندما ضربنا تشمبرلين « بالشلوت » ولكنه يعترض عندما نحاول اصابة تشرشل نفسه .

واستمرت المقابلة ٢٥ دقيقة بغير نتيجة .

واجتمع مجلس الوزراء يوم ١٦ اكتوبر فقال « اتلى » ان الصحفيين وعدا بمزيد من الحرص في المستقبل .

وفي ٤ نوفمبر عرضت على مجلس الوزراء مذكرة من وزير الداخلية خاصة بمتابعة أسهم الصحيفتين ومن يملكهما فتبين انه لا يوجد فرد بالذات يملك حصة من الاسهم تمكنه من السيطرة على الصحيفتين .

وكان مجلس الوزراء قد طالب بتقصي الحقائق لعله يجد عنصرا معينا يؤثر في سياسة الصحيفة ..

ــ ونامت المشكلة .. شهرين .

ولكنها عادت الى الظهور في يناير ١٩٤١

كتب الصحفي « كاسناندرا » مقالا في « الديلى

ميرون » عن التعديل الوزارى الذى يزمع تشرشل اجراءه ..

« لماذا يرقى « باتلر » وكيل الخارجية ليصبح وزيرا للتعليم .

هل يصبح الرسام أفضل عندما يتحول الى سمكرى.

هل تتحسن حرفة « السمكرة » نتيجة لذلك .

واشار الى المناصب الستة التى تقلب فيها ايدن ثم قال :

« ان كل مواهب بريطانيا فى هذا الفريق الوزارى ان كلا منهم يترك وظيفة ، ولكن الوظائف لا تتركهم فى النهاية .

كل منهم قام بعمل الآخر . الكل يعرف الكل . وشعارهم « احفظ العمل فى الاسرة « حك » ظهرى وانا احك ظهرك » .

ولكن هذه اللعبة تنتهى الى نهاية واحدة وهى عزف الموسيقى الجنائزية .. موسيقى جنازتنا .. نحن » .

وجد « تشرشل » ان الحل الوحيد فى المصالحة .

بعث يوم ٢٥ يناير عام ١٩٤١ رسالة شخصية الى « سيسل كنج » قال فيها :

« آسف اذ أرى الصحف التي كانت لي بها علاقة صداقة ، وتلقيت منها تأييدا كبيرا فى الماضى تتابع مثل هذا الخط . وقد كتبت اليك فى ظل علاقتنا القديمة » .

رد الكاتب « كاساندرا » على تشرشل فى رسالة

شخصية « خلال السنوات الاربع الماضية كنت أعتبر نفسى من فريق « تشرشل » وأرى فى ذلك شرفا لى » .

واعتذر « كاساندرا » « لتشرشل » الذى استمر يكتب « لسيسل كنج » ..

قال تشرشل :

« هناك لؤم وخبث وكراهية فيما تكتبه الصحيفتان . هذه حكومة قومية .

ان الصحيفتين تهينان وزيرا بعد الآخر بدعوى صيانة المجهود الحربى .

وينبغى الاحتفاظ ببعض الكراهية للعدو .

ان اكبر مجموعة من القراء تمتلىء ـ نتيجة لذلك ـ بالمرارة وعندما تقع اية كارثة يتحول هؤلاء الى انهزاميين ويطالبون بالاستسلام للعدو .

انى أعلم ان ذلك ليس هدفك أو هدف كتاب الصحيفة .. ولكن هذه هى النتيجة حتى ولو كانت غايتك عكس ذلك تماما » .

وفى نفس الشهر ـ يناير ١٩٤١ ـ عطلت الحكومة صحيفة « الديلى وركر » الناطقة باسم الحزب الشيوعى البريطانى .

وهدأت الازمة مؤقتا ...

وفى مارس ١٩٤٢ وقع الزلزال ..

نشر « فيليب زيك » رسام الكاريكاتير لوحة فى جريدة « ديلى ميرور » تبين بحارا بريطانيا فى سفينة طوربيد غارقة وقد تعلق بالحطام .

وكتب تحت اللوحة « صدر بلاغ رسمى يقول : ارتفع سعر البترول بمقدار بنس واحد » .

وكان هدف « زيك » أن يقول للجمهور خففوا من استهلاك البترول لانه يكلف البحارة أرواحهم .

وبالفعل طلبت محطات البنزين صورة من هذه اللوحة لتقول للمستهلكين :

ـ لا تسرفوا فى استعمال البنزين .

وجد أعضاء المجلس ان المعنى الوحيد لما يقوله الرسام هو ان البحارة يموتون ليكسب الرأسماليون .

وفى اجتماع المجلس تناوب الوزراء الحديث عن اللوحة فقال الوزراء متتابعين « هذا رسم خبيث . قاس . محزن . مرعب » .

وفى ٢٠ مارس ١٩٤٢ استدعى رئيس تحرير الديلى ميرور وزميل له لمقابلة « هربرت موريسون » وزير الداخلية الذى أبلغهما ان مجلس الوزراء قرر بالاجماع توجيه انذار للصحيفة . ويعقب هذا الانذار عند أول مخالفة ـ تعطيل الصحيفة .

وقال موريسون :

ـ ان رئيس التحرير غير الوطنى ، وحده ، الذى يسمح بنشر مثل هذا الرسم .

وقال :

ـ لن نحذركم مرة أخرى . بل سنعمل بسرعة مدهشة .

وفى نفس اليوم كرر « موريسون » هذا التحذير فى اجتماع علنى لمجلس العموم .

ثارت ضجة بين الاعضاء .. مؤيدين ومعارضين ضد انذار الصحف أو تعطيلها .

وتوقف الامر عند هذا الحد .. فلم تنذر الصحيفة بعد ذلك ، ولم تعطل .

وتغير الموقف العسكري بعد شهور فقد انتصرت بريطانيا في معركة العلمين ولم يعد التوتر يسود قلب تشرشل وعقول الوزراء .

ولم يعرف أبدا السر في موقف الحكومة البريطانية ضد هذا الرسم الكاريكاتيرى .

قال البعض ان تشرشل يغضب من النقد .

وقال آخرون ان « تشرشل » كان يعلم في ذلك الحين بأن بريطانيا على أبواب الهزيمة فقد وقع الانذار للصحيفة في مارس ١٩٤١ ، وقبله بشهر وقع حادث ٤ فبراير في مصر ، عندما فرضت حكومة على الملك فاروق تلك الفترة كانت الأعصاب البريطانية الرسمية مشدودة ...

أما الرسام « فيليب زيك » فانه كان يهوديا ولا ينتظر منه أن يكون مساندا للألمان بينما هتلر يضطهد اليهود .

وثبت من الاوراق والمستندات الالمانية التى ضبطت بعد الحرب ان المانيا قررت اعتقال كل مديرى الديلى ميرور اذا دخل الإلمان لندن .

وفي عام ١٩٤٥ قام « زيك » برسم اللوحة التى اتخذها حزب العمال شعارا له والتى ساعدت على انتصار حزب العمال على المحافظين .

يومها قال « هربرت موريسون » معتذرا « لزيك » .
ـ ان أزمة الكاريكاتير كانت خطأ ..

والتقى « تشرشل » بأحد النواب قرب مجلس العموم وكان « زيك » يصاحب النائب الذى قدمه لرئيس وزراء بريطانيا السابق .

وعندما سمع تشرشل الاسم قال :

ـ مستر « زيك » .. اعتقد انى مدين لك باعتذار .. اعتبر انه قدم اليك !

***

أعلن « جمال عبد الناصر » تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وقرر ايدن ـ سرا ـ اعلان الحرب ضد مصر .

واخذت الصحف البريطانية تنشر انباء تحـــركات القوات البريطانية فى البحر المتوسط وقبرص فأصدرت وزارة الدفاع أمرا بمنع نشر هذه التحركات وكان ذلك هو القرار الوحيد الذى يحظر النشر فى الحرب التى اشتهرت بعد ذلك بحرب السويس عام ١٩٥٦ .

ولم تفرض رقابة على الصحف ، ســـواء اختيـارية او اجبارية ، فى آخر حرب اشتركت فيها بريطانيا قبل فوكلاند .

وفى « حرب الســويس » كانت أول الصحف التى وقفت ضد ايدن وحكومته هى « المانشستر جارديان » التى تصدر فى مدينة مانشستر .

بعد يومين من تأميم مصر للقناة نشرت « الجارديان » :
« ان سحب عرض تمويل السد العالى جعل من المحتوم

على « جمال عبد الناصر » أن يرد بتحد . ان الديكتاتور يحيا بسمعته .. وحتى يجب أن يضرب بطريقة استعراضية .

ومن السخف سحب المرشدين من القناة بل يجب أن نبحث كيف نقلل من اعتمادنا على القناة .

وبعد ٥ أيام من تأميم القناة كتب « وادسورث » رئيس تحرير « الجارديان » افتتاحية بغير توقيع قال فيها :

« لا مبرر لاستعمال القوة الا اذا أغلق « جمال عبد الناصر » القناة . في هذه الحالة فقط نتدخل .

ان عبد الناصر لم يلغ معاهدة ۱۸۸۸ التي تنص على حرية الملاحة في القناة وهذه المعاهدة ليس فيها نص عن ملكية القناة .

ومعاهدتا ۱۹۳٦ و ١٩٥٤ لم تغيرا هذا الموقف .

ان ما فعله « عبد الناصر » ليس مبررا للعمل العسكري الا اذا أغلق القناة واستولى على القواعد البريطانية هناك ، أو اعتدى على جيرانه .

واذا أرسلنا قواتنا الى السويس فان ذلك يدمر ما بقي يقال عن بريطانيا من أنها حامية القانون الدولي . وسيحطم الامم المتحدة . ويثير غضب ثلاثة أخماس العالم ضدنا » .

وظلت الصحيفة تكتب مؤيدة مبدأ « المفاوضات أولا » وتقول انه لا مبرر للعمل العنيف ضد مصر ما دامت القناة مفتوحة ، كما ان القوة لن تبقيها كذلك .

وظلت « الجارديان » وحدها تعارض استخدام القوة بينما باقي الصحف اما مؤيدة لذلك أو محايدة أو مترددة .

اجتمع المسئولون فى صحيفة « الديلى ميرور » لبحث سياسة الجريدة بعد تأميم القناة فكان « سيسل كنج » مؤيدا القوة والحرب أما كادليب ـ الذى خلف بعد ذلك كنج فى رئاسة مجلس الادارة ـ فقد أيد القوة اذا اقرتها الامم المتحدة والكومنولث والولايات المتحدة .

وانتصر رأى « كادليب » .

وفى ١٠ أغسطس بدأت « الديلى ميرور » تنضم للجارديان فقالت تحت عنوان « أزمة السويس .. سياسة عاقلة لبريطانيا » : « حماقة ان تقدم بريطانيا وحدها على الحرب ضد الرأى العام العالمى . ويجب على بريطانيا الالتزام بالعمل الجماعى الدولى » .

وفى ١٤ أغسطس اندفعت « الميرور » ضد الحرب .

قالت تحت عنوان « رسالة لايدن . لا حرب ضد مصر » :

« اذا سمح ايدن لنفسه بأن يندفع فى أعمال حمقاء نتيجة كلماته الشجاعة فانه سيجد نفسه فى موقف لا يحل الا باستقالته كرئيس للوزارة » .

وفى اليوم التالى كان وزير الدفاع البريطانى يجتمع برئيس القسم الخارجى الاستير هيذرنجتون فى صحيفة « الجارديان » ويبلغه أن بريطانيا لن تحارب .

وادرك « هيذر نجتون » أن الوزراء مستاءون من موقف الصحيفة ضد الحرب . وخاصة وأنها تعلن باستمرار أن « ايزنهاور » الرئيس الامريكى ووزير خارجيته « دالاس » لا يؤيدان بريطانيا .

واستمرت الصحيفتان « الميرور » و « الجارديان » تطالبان بعدم دخول الحرب .

قالت الميرور : « حرب ضد مصر معناها حرب ضد كل الدول العربية .. وهى عملية طويلة ومكلفة . ان العمل البوليسى فى السويس يتطلب الاستيلاء على مصر كلها وهذا يحتاج الى عدة فرق » .

وردت الجارديان على قعقعة السلاح ونشرت حديثا « لجيتسكيل » زعيم المعارضة يطالب فيه بعدم استخدام القوة .

قالت ان الذى تطالب بالحرب هى الصحف التي طالبت بالتسوية السلمية مع هتلر .

وقد اذاعت هيئة الاذاعة البريطانية هذا الحديث فطلب « ايدن » وضع قانون باشراف الحكومة على الـ « ب . ب . سى » .. ومنع تعليقات الافراد فى الاذاعة .

وضع مشروع القانون وادخلت تعديلات عليه . ولكن لم يصدر نتيجة تطور الاحداث .

وفى ١٠ سبتمبر كتب وادسورث آخر افتتاحية له فقد كان مريضا وعلى شفا الموت .

قال :

« لا عجيب أن الناس خارج بريطانيا يظنون ان الانجليز فقدوا عقولهم مادامت الصحف تطالب باستخدام القوة . نريد ان نتجنب حربا تنشأ بمبادرة منا .

هذه هى السياسة التى يجب أن تتبع بدلا من ان نطبق القانون الدولى بأيدينا » .

سيقال ان كل شيء نشأ عن اخطاء الصحف وان ايدن ضحية صحافة بلا قلب لم تحسن عمدا تفسير كلماته .

ولا يكفينا أن يتحقق الحرب او السلام بنـــاء على السياسة الشخصية لرئيس الوزراء » .

وفى ١١ سبتمبر نشرت « الميرور » عنوانا باللاتينية وهى أول مرة تفعل ذلك .

يقول العنوان : « اذا لم تكن هناك حصافة » .

وهو شعار أسرة ايدن فقد طالبت الصحيفة بالحصافة أى بالعقل لا الجنون .

ووضح من ذلك ان الصحيفتين تتنــافسان ضــد الحرب .

واستمرت « الجارديان » تنشر أخبار ازمة السويس فى الصفحة الاولى منذ ٢٦ يوليو عدا يوم واحد هو ٤ أكتوبر .

فى ٢٩ يوليـــو هاجمت القوات الاسرائيلية مصر فوجهت بريطانيا وفرنسا انذارا لمصر .

وفى ٣١ أكتوبر بدأت القوات البريطانية والفرنسية تضرب مطارات مصر .

وفى ٥ نوفمبر بدأ غزو بور سعيد .

كانت « الجــارديان » أول صحيفة تعارض الانذار البريطانى ..

وكان هيدرنجتون ـ ٣٦ سنة ـ قــد تولى رئاســة تحريرها فكتب افتتاحية من الف كلمــة قال فيها ان الانذار عمل أحمق لا مبرر له . انه يصب البترول على النار . ولا احد يعرف أي انفجار سيعقب ذلك . والأمل فى ان يطفىء هذا الانذار النار لا يتجاوز واحـــد على

عشرين وسيقود بريطانيا لحرب مباشرة مع مصر وربما العالم العربى كله .

ما حقنا فى الهجوم على بلد آخر .

الانذار ، اذا نفذ ، اى تتدخل بريطانيا وفرنسا لفصل القوات المتحاربة المصرية ـ الاسرائيلية ، يعتبر عدوانا واضحا ولا يوجد فى ميثاق الامم المتحدة ما يبرر التدخل العسكرى ، والتصرف السليم الوحيد هو سحب قوات اسرائيل عن طريق الامم المتحدة » .

ونشرت الصحيفة يوم ٢ نوفمبر رسالة من الفيلسوف الكبير « برتراند راسل » يقول فيها « جريمة بريطانيا وفرنسا فى مصر تجعلنى اشعر بالخجل من بلادى . وأملى الوحيد ان تتدخل الولايات المتحدة لوقف القتال وانقاذنا من النتائج السيئة التى ترتبت على جنون الحكومة » .

ترددت « الديلى ميرور » يوما بعد الانذار البريطانى ولكنها اندفعت مؤيدة لمصر يوم ٢ نوفمبر .

وترددت صحف اخرى يومية وهى « الديلى هيرالد » ـ جريدة العمال ـ « والنيوز كرونيكل » ـ صحيفة حزب الاحرار ـ فلم تعلقا الا يوم ٤ نوفمبر .

وترددت « الديلى تلجراف » المؤيدة لايدن يوما ثم يوما ثم اندفعت مؤيدة .

أما « الديلى ميل » فقد بقيت حائرة . .

ففى تلك الايام الحاسمة كانت صحافة بريطانيا فى مفترق الطرق خاصة وان بلادها تقاتل .

وعلى اية حال فان صحف بريطانيا عندما قامت الحرب انقسمت تماما . .

وقفت مع مصر ٤ صحف يومية و ٤ صحف أسبوعية هى « ببيول » الناطقة باسم حزب العمال « وبكتوريال » الصادرة عن الديلى ميرور .

أما أبرز الصحف الاسبوعية التى وقفت مع مصر يوم ٤ نوفمبر فهى « الاوبزرفر » ومجلة « الاكونومست » .. والاثنتان محافظتان .

أما الصحف اليومية المؤيدة للحكومة فهى ٦ ، و ٤ صحف أسبوعية . باختصـــار كانت الصحف المؤيدة للحكومة أكثر . ولكنها لم تكن متقدمة كثيرا على الصحف المؤيدة لمصر أو بعبارة أدق التى تعارض الحرب كوسيلة لحل الازمة .

هاجمت « الميرور » ايدن يوم ٢ نوفمبر .

وفى ٤ نوفمبر قالت « الميرور » : بينما تقذف بريطانيا مصر بالقنابل فان روسيا انتهزت الفرصة لقتل الحرية فى بودابست .

ان ممارسة الضغط الاخلاقى على روسيا قد ضاع عندما تحدى ايدن الامم المتحدة .

ان اطلاق صـــفارات الانذار فى مصر أطلق صفارات الامان لروسيا لتغزو المجر » .

فان روسيا هاجمت المجر . ونشرت « الجـــارديان » كاريكاتيرا لخروشوف وهو يقود دبابة بينما ايدن يستعد لقيادة قاذفة قنابل ويلوح لخروشوف بيده قائلا :

ــ وأنا أيضا !

***

توقف القتال .

كتبت « الميرور » يوم ٧ نوفمبر بعنوان « العودة الى

العقل » : « نحمد الله على انه لن يكون هناك مزيدا من القتلى . ان هذه الحرب أضاعت القيـــــادة الروحية لبريطانيا » .

وفى يوم ٢٠ نوفمبر كتب « جيمس موريس » مراسل الجارديان من قبرص لان الرقابة فى تل أبيب منعت ارسال برقياته .

قال « ان الطيارين الفرنسيين قادوا الطائرات الفرنسية وهاجموا القوات المصرية فى سيناء وضربوها بقنـــــابل النابالم » .

وفضحت الصحيفة التواطؤ بين فرنســـا وبريطانيـا واسرائيل واستمرت تفضحه .

وفى اليوم التالى ٢١ نوفمبر ايدت « الموند » الفرنسية أنباء التواطؤ وتبعتها « فرانس أوبزرفاتير » الفرنسية أيضا وكذلك التاريخ كله ..

خسرت صـــحيفة « الديلى ميرور » ٧٠ ألف قارىء نتيجة معارضتها ايدن فى حـرب الســويس . وخسرت الجارديان ٣٠ ألف قــارىء فى مدينة مانشستر التى تصدر فيها ولكنها كسبت ٤٧ الف قارىء معظمهم فى لندن .

وكان نجاح الصحيفة فى لندن مقدمة لانتقالهـــا من « مانشستر الى لندن وأصبح اسمها « الجارديان » بدلا من مانشستر جارديان » .

واثبت هيذرنجتون بهـذا الموقف انه يصـلح رئيسا للتحرير !

الصحافة .. وغرام الملوك

لندن عام ١٩٣٦ .

قبل أن يموت « جورج الخامس » ملك انجلترا التفت الى الواقفين حول فراش الموت .. وسألهم :

ـ كيف حال الامبراطـــورية .. يعنى الامبراطورية البريطانية ـ التى كانت أيامها تحتل ربع أراضى العالم وتحكم ربع سكانه ..

ثم راح الملك فى غيبوبة .

وبعد ساعات أذيع بلاغ رسمى جاء فيه ان روح الملك تمضى نحو النهاية .

وفى منتصف ليلة ٢٠ ينـاير ١٩٣٦ أعلنت الاذاعـة البريطانية أن « جورج الخامس » مات فى سلام .

ولكن الامبراطورية البريطانية لم تكن أيامها فى سلام .

***

احتفل فى قصر سان جيمس بتنصيب ولى العهد ملكا لانجلترا تحت اسم « ادوارد الثامن » .

وكان عمره يومها ٤١ عاما .

وهو أول ملك أعزب يجلس على عرش انجلترا منـذ ١٧٦ عاما .

حضرت سيدة مجهولة حفل تنصيب الملك الجديد .

وكان عدد كبير من المسئولين يجهلون اسمها .

ولكن أشقاء الملك الثلاثة كانوا يعرفون حقيقة السيدة « واليس وارفورد سيمبسون » .. ويعلمون عن يقين أن أخاهم الملك مولع القلب بتلك السيدة الامريكية .. وان هذا الحب أفزع الملك الراحل الذى خاف أن تتحطم الامبراطورية بسبب هذا الحب الفريب .. وما يعترضه من عقبات .. والظروف التى أحاطت به .. من كل جانب .

***

« واليس » ابنة موظف أمريكى صغير .

تزوجت لاول مرة سنة ١٩١٦ من ضابط بحرى اسمه « ايرل دينيفيلد سبنسر » .. وكان سكيرا وهى مفلسة . قاست واليس كثيرا من زوجهـا ثمانية أعوام وانتهى الزواج ، الى الطلاق !

وخلال سنوات الزواج .. وعلى وجه التحديد فى سنة ١٩٢٠ التقت « واليس » « بادوارد الثامن » أيام كان وليا للعهد فى حفلة راقصة أقيمت فوق ظهر سفينة حربية .. ولكنهما لم يتبادلا كلمة .

وعندما التقى الملك « بواليس » بعد ذلك قال لها :

ــ أذكر وجهك .. أين رأيتك قبل اليوم .

وعبثا حاول أن يتذكر فان معظم النساء اللائى قابلهن ولى العهد فى تلك الحفلة .. على ظهـر السفينة كن زوجات لكبار الضباط .

تركت « واليس » أمريكا بعد الطلاق .. وسافرت لانجلترا حيث التقت بزوجها الثانى وهو انجليزى اسمه

« ارنست سيمبسون » .. تعرفت به أثناء وجوده فى أمريكا .

ونشأت صداقة بين « واليس » وبعض الدبلوماسيين الامريكيين الذين قدموها بدورهم لبعض الانجليز .. وبينهم « ثلما فيرنيس » .. التى كانت صديقة شخصية لولى العهد .. واضطرت للسفر الى أمريكا فطلبت من صديقتها « واليس » أن تهتم — فى غيابها — بولى العهد !

***

جلس ادوارد الثامن على العرش .

وظل ستة شهور — هى فترة الحداد الرسمى على أبيه — يلتقى بأسرة « سيمبسون » فى حفلات خاصة .

وبعدها .. فى ٢٨ مارس ١٩٣٦ دعا سكرتيريه وزوجاتهم الى مأدبة عشاء .. ووجد السكرتيريون السيدة « واليس » تجلس على رأس المائدة .

وبعد شهرين دعا الملك رئيس وزرائه « ستانلى بولدوين » الى مأدبة عشاء .. ومرة أخرى كانت « واليس » تجلس على رأس المائدة .. ولاحظ رئيس الوزراء أن « سيمبسون » كان مدعوا وان صديقته السيدة رافراى كانت هناك .. وان الملك ظل طوال المأدبة يتحدث الى واليس بينما انفرد زوجها بالحديث مع مدام « رافراى » .. وقد تزوجها سيمبسون بعد ذلك !

ولم يقل « ستانلى بولدوين » رئيس الوزراء وزعيم حزب المحافظين شيئا عن « واليس » .. كل ما كتبه فى مذكراته يومها ان « واليس » سيدة لطيفة .

ولم يهتم رئيس الوزراء بما جرى أمامه فان زوج « واليس » كان معها .. وهو الذى يجب أن يهتم .. اذا أراد !

ولكن رئيس الوزراء ضاق بالامر عندما صدر بلاغ كبير الامناء فى اليوم التالى عن مأدبة العشاء . قال البلاغ ان رئيس الوزراء حضر المأدبة مع قرينته وان السيد « سيمبسون » حضر المأدبة مع قرينته .

وكان البلاغ هو أول بيان رسمى يكاد ينطق بأن بأن صاحب الجلالة يحب !

اندفع الملك فى حبه .

وكان اندفاعه هذه المرة علنيا وواضحا .

دعا « واليس » الى رحلة غرام فى البحر المتوسط .. فى يخته الخاص .

وفى سالزبورج تلتقط عدة صور للملك وصديقته نشرت احداها صحيفة « الديلى سكتش » البريطانية .. وتكون هى الصورة الأولى والاخيرة التى تنشرها صحافة لندن للعاشقين ..

ويعود الملك وصديقته الى لندن .. فتستقلبهما الصحافة فى فتور .

***

كانت صحف أمريكا أول من تكلم .. عن غرام صاحب الجلالة .

ان حب الملك الذى تجاوز الاربعين تحول ، فى صحافة امريكا ، الى فضيحة ، أو مجموعة فضائح .. أصبح مادة للاثارة ، للتوزيع ، للبيع .

أصبحت قصة « ادوارد وواليس » فى كل جريدة ،

وصورهما على غلاف كل مجلة .

* قالت صحيفة « نيويورك صانداى نيوز » : ان الاسرة المالكة البريطانية تعـــانى الغيظ وتكتمه ، لان « ادوارد الثامن » يحب سيدة أمريكية اسمها مسز « واليس سمبسـون » تزوجت مرتين وطلقت مرة !

* وقيل ان منزل مسز « سمبسون » أصبح من ممتلكات التاج البريطانى .. يطوف حوله رجال البوليس لمنع الناس من الاقتراب منه .

وحدث ان اعترض رجل على هذا المنع فقـــال له كونستابل البوليس :

ـ ابتعد والا صادفتك متاعب شديدة !

* وحتى الهـــدايا لم تسلم من التعليقـــات أو المبالغات ..

قيل ان الملك اهدى صديقته قلادة ثمنها ١٢٥ الف دولار ، وان هدايا أخرى فى الطريق ستسلم الى السيدة قيمتها نحو مليون دولار .

وأكثر من ذلك قيل ان الملك قبل مغادرة فيينا أهدى مسز « سمبسون » كميات كبيرة من الجوارب الحريرية والملابس الداخلية .. وكل النمسا تعرف ذلك !

* وزاد الجنـــون الامريكى فبدأت الصحف تنشر الاخبار مشفوعة بالصور .

مسز « سمبسون » ترافق الملك عنـد زيارته لفيينا لاستشارة طبيب أذن .

مسز « سمبسون » ترافق الملك فى القطار الى لندن .. مسز « سمبسون » ترافق الملك فى كل مناسبة .

* بدات العنــاوين تتجه الى الاثارة « المرأة التى تحسـدها الامبراطورية البريطانية » و « المرأة التى يتكلم عنها العالم كله » .

* أخذت الصحف تنشر يوميا تفاصيل دقيقة عن تاريخ حياة مسز « سمبسون » .

ووضعت فى قطارات السكك الحــــديدية اعلانات صارخة تدعو الاهالى لشراء هذه الصحيفة أو تلك المجلة لمعرفة القصة الحقيقية للحب الملكى !

* ولم يكتف الامريكيون بهذا كله ، بل ان الصحف اخذت تبعث بمراسليهـــــا الى كل انجليزى يقيم فى الولايات المتحدة أو يزورها زيارة عابرة ، رأيه فى قصة الحب .

اذا أراد الزائر ان يتخلص من الاجابة لحقته الاسئلة، فاذا امتنع عن الجـــواب نشر نبأ اجابته أو امتناعه أو امتعاضه على حد سواء .

* هذه هى مجلة « نيويورك وومان » أى « المرأة فى نيويورك » ترى ٣ احتمالات للموقف :

ان يطلب « ايرنست سمبسون » الطلاق من زوجته لانها خانت عهد الزواج المقدس .

أو ..

يظل « سمبسون » راضيا عن الوضع الحالى لانه يريد أن يستمر مستمتعا بعطف صاحب الجلالة « ادوارد الثامن » .

أو ..

يبقى « سمبسون » عاجزا لا يستطيع ان يفعل شيئا فالقانون فى بريطانيا يمنع القذف فى حق جلالة الملك ..

ولذلك فان قضية الطلاق لن ترفع ، وسيبقى الحال على ما هو عليه .

* ومجلة تايم تسميها « الملكة واليس » .

* تنشر صحف امريكا صورة الملك وصديقته ، معا ، بملابس الاستحمام .

تملأ الاعلانات عن المجلات التى تنشر صور الغرام الملكى كل عربات السكك الحديدية ودور السينما فى امريكا .

كل هذه الطبول التى تدق معلنة ان الملك يحب بينما السيدة « واليس ايرنست وارفيلد سمبسون » لا تزال زوجة شرعية رسمية للسيد « ارنست سمبسون » !!

اجتمع أثرومان رئيس تحرير جريدة « يوركاشير بوست » بزميله «جوفرى دوسون» رئيس تحرير جريدة « التايمس » وسأله :

– متى تبدأ صحف انجلترا الكتابة عن الملك وصديقته.

أجاب « دوسون » :

– سأقول لك فى الوقت المناسب .

وقال « ذوسون » فى مذكراته :

« كان رئيس الوزراء لا يدرى ماذا يفعل بالنسبة للصحافة ، فهى عالم مجهول بالنسبة له ، ولذلك لم يستطع ان يقدم لها اية نصيحة .. وكان حائرا ..

هل يشرح الوضع فى الصحف . وهل ستكون أداة فى يده أم يضع ثقته فى مجلس العموم ؟ وكان واضحا ان رئيس الوزراء يثق دواما فى مجلس العموم » .

ولكن أصحاب المكتبات البريطانية التى تستورد صحف أمريكا ومجلاتها عمدوا الى « حذف » كل ما تنشره هذه المجلات عن الملك وصديقته خوفا من محاكمتهم بتهمة القذف .

ولعل الخوف من الاتهام بالقذف فى حق الملك ، أو صديقته ، هو احد العوامل التى دفعت الصحف البريطانية الى عدم الخوض فى هذا الموضوع .. وان لم يكن العامل الوحيد .

اجتمع « ماكنزى كنج » رئيس وزراء كندا بكل من « ستانلى بولدوين » و « جوفرى دوسون » رئيس تحرير « التايمس » .

قالا له : أخبر الملك بما تنشره الصحف الامريكية

وعدهما « ماكنزى كنج » بأنه سيتكلم وسيكون عنيفا قاسيا مع الشاب الصغير .. يعنى صاحب الجلالة .

وانتظر « بولدوين » و « دوسون » — فى قلق — عودة رئيس وزراء كندا من المقابلة الملكية .

وعاد « ماكنزى كنج » .. وكأن شيئا لم يكن .

قال انه وجد صاحب الجلالة انسانا آخر .. حديثه حالم ، وكلماته خيالية ، ينطق حرفا ثم يسرح ..

وقال « ماكنزى » : لم استطع الا ان أقول له ان شعب كندا يحب صاحب الجلالة !

ولكن « جوفرى دوسون » رئيس تحرير « التايمس » ـ لم يستطع أن يتريث طويلا ..

تلقى فى ٢٥ اكتوبر ١٩٣٦ رسالة من قارىء مجهــول انجليزى يقيم فى ولاية نيوجرسى بأمريكا قال فيها :

ان تصرفات الملك نفسه تمزق وحــدة الامبراطورية . ويخالجنى شعور بأنه اذا استمر ادوارد الثامن جالسا على العرش ، فان الشعور سينمو فى البلاد بضرورة قيام الجمهورية .

ومن الصعب على رجل يقيم بعيدا عن مركز الحوادث أن يقترح علاجا ، ولكن لن يسعدنى شيئا أكثر من أن اسمع ان ادوارد الثامن قد اعتزل العرش ، وتركه لولى العهد قبل أن يتطور الامر ويصبح راجبا تغيير النظام نفسه بدلا من استبدال ملك بملك » !

ولم يتردد « جوفرى دوسون » .. بل حمل هــذه الرسالة وقصاصات الصحف الامريكية التى أرفقت بها الى « الكسندر هاردنج » السكرتير الخاص للملك ، كما حمل نسخة منها الى « ســـتانلى بولدوين » رئيس الوزراء . وبقيت الرسالة فى درج السكرتير وهو يخشى ان يطلع الملك عليها فيتألم ..

وفى يوم ١٣ نوفمبر غادرت الرسالة درج « هاردنج » لتستقر بين يدى الملك مع خطاب جرىء من سكرتيره قال له فيه :

« ان صمت الصحف البريطانية ازاء صداقتكم لواليس سمبسون لن يستمر ..

ان رئيس الحكومة وكبار الوزراء يجتمعون اليوم لبحث الاجراءات التى يتحتم اتخـــاذها لمواجهة الموقف الذى تزداد خطورته .

ولا شك ان جلالتكم تعلمون ان استقالة الحكومة ــ وهو أمر لا يمكن استبعاده ــ سيؤدى الى ايجاد شخص آخر قادر على تشكيل الوزارة والحصــــول على تأييد مجلس العموم . وعندى من الاسباب ما يجعلنى اعرف ان الشعور السائد بين اعضاء المجلس هو عدم تأييد أى رئيس حكومة جديد .

ولذلك فالحل البديل هو حل مجلس العموم واجراء انتخابات عامة جديدة ستدور كلها حول موضوع واحد هو « قلب جلالتكم وحب جلالتكم » !

واقترح السكرتير الخاص على صاحب الجلالة ان يأمر بترحيل السيدة « واليس » بعيدا .. بعيدا ..

ولم يرد الملك على خطاب سكرتيره .

ولم يستقل السكرتير بعد ان رفض الملك ان يبادله كلمة واحدة فى هذا الموضوع ــ نحو شهرين ــ حتى اعتزل العرش .

قال الملك ادوارد الثامن فى مذكراته التى نشرها بعد اعتزاله العرش تحت عنوان « قصة ملك » ..

حدد يوم ٢٧ اكتوبر لنظر قضية الطلاق .. وعلمت الصحف الامريكية بالنبأ فنشرته بالخط العريض ، بل وذهبت الى اكثر من هذا .. فقالت ان الملك سيتزوج « واليس سمبسون » بعد الحكم بطلاقها من زوجهـــــا القديم .

أما الصحف البريطانية فكانت لا تقرن اسم «واليس» باسمى كما كانت تفعل الصحف الامريكية ولم يكن هـذا عن جهل من الصحفيين الانجليز عن علاقتى بها .. فقد كانوا يعرفون كل شيء .. وانما لان الصحافة البريطانية رغبت فى الاحتفاظ بهيبة القصر الا تذيع .

ورأيت بعد أن أصبح الحكم بالطلاق على الابواب ان تظل الصحافة البريطانية محتفظة برزانتها ، وان تضبط أعصابها ، لتقف فى وجه الصحف الامريكية التى تنشر يوميا أنباء هذا الغرام الملكى .

وقررت أن أتصل بالصحفيين البريطانيين اتصـالا مباشرا ، ورأيت ان أطلب العون من اثنين من كبـار أصدقائى الصحفيين هنـا لورد بيفر بروك صـاحب « الديلى اكسبريس » و « الصـنداى اكسبريس » و « الايفننج ستاندارد » .. وسير « ادموند هارمثورث صاحب « الديلى ميل » و « الايفننج نيوز » .

اتصل الملك تليفونيا بمنزل الصحفى اللورد «بيفربروك» فى لندن فقيل له : اللورد فى أمريكا .

ــ وكاد الملك أن يجن فانه كان يعتمد على اثنين من المحافظين أولهما اللورد « بيفر بروك » وهو من أصل كندى ..

وتشرشل ــ وكان أيامها عضوا فى مجلس العموم ورفض « بولدوين » أن يعطيه منصبا وزاريا .

ووصل « بيفر بروك » الى نيويورك واستقبله مندوبو الصحف فى الميناء يسألونه عن علاقة الملك « بواليس » فأجاب بأنه لا يعرف شيئا وتهرب من الاسئلة .. وقال انه قادم فى اجازة لشئون اخرى ..

واتصل الملك تليفونيا ــ من لندن ــ بكل مكان يحتمل أن يزوره « بيفر بروك » فى « نيويورك » حتى وجده فى جريدة « الديلى نيوز » الامريكية ، وهى الجريدة التى تفننت فى ابراز اخبار « واليس » ، والتى قالت أن فى عروقها تجرى دماء الهنـــود الحمر الامريكيين ، والتى نشرت ان « واليس » ليست من عامة الناس لان أحـد أقاربها كان حاكما لولاية امريكية قبل ثلاثين عاما ..

قال رئيس مجلس ادارة جريدة « الديلى نيوز » للورد « بيفر بروك » .

ــ تليفون لك ..

قال بيفر بروك ..

ومن المتحدث ..

قال رئيس « الديلى نيوز » وهو يبتسم ..

ــ من صاحب الجلالة !

وسمع « بيفر بروك » الملك يتوسل اليه ويرجوه العودة فورا ..

والجدير بالذكر ان رئيس جريدة « الديلى نيوز » راعى التقاليد الصحفية فلم ينشر المكالمة أو يشر اليها ..

***

يوم عاد « ببفر بروك » الى لندن دعاه الملك للعشاء فى نفس اليوم ليسأله الرأى .. وكان جواب « بيفر بروك »:

ــ طاوعنى .. تراجع .. ان « بولدوين » سيبعث ببرقيات « مسممة » الى دول الدومنيون .. انت فى فخ ..

حاسب .. حاذر !

قال الملك فى مذكراته :

« جاء لورد بيفر بروك الى القصر فى ١٦ أكتوبر ..

شرحت له كل المشكلة بصراحة تامة ..

قلت له :

لا أفكر فى أن أطلب اليك أن تستغل نفوذك لوقف نشر أنباء مثيرة عن الطلاق .. كل ما أرجوه هو أن تحاول أن تحمى واليس من نشر أى شىء عنها داخل بريطانيا .

قال لى لورد « بيفر بروك » سأحاول أن أفعل ما تريد .

وبدون ابطاء بدأ « بيفر بروك » يقوم بعمله الخطير فى حى الصحافة .

والصحف البريطانية تثيرها كلمة الرقابة ولا يمكن أن تمتنع الصحف عن نشر نبأ من حق الشعب أن يعرفه .

ولكن « بيفر بروك » عقد ، بمساعدة «هارمثورث»، مع جميع رؤساء الصحف « اتفاق جنتلمان » ، مقتضاه ان يكتفوا بنشر أنباء قضية الطلاق دون ان يعمدوا الى التهويل .

واحترمت جميع الصحف البريطانية وعدها ، فنشرت النبأ كطلاق أى انسان عادى من انسانة عادية .

ذهب رئيس الوزراء للقاء الملك .. وقال :

ــ اخلاص الناس ينتهى عند نقطة واحدة عندما تلوح الفضائح فوق القصر .

كاد الملك يقفز من فوق كرسيه .. ولكنه استجمع شتات نفسه وقال :

ـ آمل أن تتكلم بصراحة .

قال رئيس الوزراء متسائلا :

ـ فى أى موضوع ؟

ـ نعم فى أى موضوع .

قال رئيس الوزراء العجوز للملك .. فجأة :

ـ هل تسمح لى بكأس من الويسكى والصودا وهل تتفضل جلالتك باحتساء كأس معى ..

اعتذر الملك لأنه لا يشرب الويسكى فى مثل هذه الساعة !

... كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحا بقليل .. ومن يحتسى الويسكى فى هذه الساعة المبكرة أما يكون مدمنا أو انه يحس بقلق بالغ .

ولم يكن رئيس الوزراء مدمنا ..

طلب الملك الويسكى لرئيس وزرائه الذى تجرع كأسه دفعة واحدة ثم قال للملك :

ـ هل أستطيع أن أتكلم بصراحة حتى ولو كان الموضوع خاصا بامرأة .

أومأ الملك براسه وهو يكاد ينفجر غيظا .

بدأ رئيس الوزراء يشرح للملك ما تقوله الصحف الامريكية عن طلاق « واليس سمبسون » وعلاقتها بالملك .

وقال ان أحكام الطلاق تنص ـ فى ذلك الوقت ـ على

أن يكون الحكم سارى المفعول بعد ستة شهور الا اذا تقدم معترض قانونى خلال تلك الفترة .. وهذه الشهور الستة ستكون حافلة بالاثارة والاشــــاعات والاقاويل ويخشي أن يصبح القصر الملكى محل الجدل والمناقشة والاشاعات الرخيصة .

واستمر رئيس الوزراء يعيد ويكرر ما قاله ثم همس للملك :

ـ هل من الضرورى أن يستمر نظر قضية الطلاق .

اختار الملك مصيره .

قال لرئيس الوزراء وقد ضاق بحديثه والحاحه :

ـ ليس من حق أى انسان أن يتدخل فى قضية خاصة بين اثنين من المواطنين .. يجب أن نحترم حرية الافراد والا نتدخل فى القضاء .

كاد رئيس الوزراء أن يجن فان السيدة « واليس سمبسون » أقامت قضية الطلاق فى مدينة صغيرة اسمها « ابسويتش » حتى تكون بعيـــدة عن لندن ومراسلى الصحف ، من ناحية ، ولأن قاضى الطلاق فى« ابسويتش» ، من ناحية أخرى ، كان يعمل قبل ذلك مستشارا قانونيا لاحدى قريبات صاحب الجلالة !

استمر الملك يتكلم ..

ـ الا ترى أنه من الخطأ أن نحاول التأثير فى السيدة « واليس سمبسون » لمجرد انها ـ بالصدفة ـ صديقة للملك .

اضطر رئيس الوزراء الى القـــول بأنه لا يطلب ردا سريعا وكل ما يرجوه ان يفكر الملك والسيدة « واليس سمبسون » فى الامر .

أصدر القاضي حكمه بالطـــلاق لان زوج الســـيدة « واليس » خان زوجته فى « أوتيل دى باريس » !

***

بعد الحكم أصبحت « واليس سمبسون » مثـــل الديناميت السياسى ..

فى اليوم التالى كانت الصحف الامريكية تكتب تحت عناوين مثيرة :

* « واليس » ستتزوج الملك .
* أمريكية فى بلاط صاحب الجلالة .

وتمادت احدى الصحف الامريكية فقالت :

« ان واليس رسمت التاج الملكى على ملاءة سريرها »!

خلال نوفمبر التقى الملك « بستانلى بولدوين » مرتين استدعاه فى المرة الاولى ليقول له انه يريد الزواج من السيدة « واليس » .

أجاب رئيس الوزراء بأن الناس لن يؤيدوا زواج الملك من سيدة تزوجت مرتين وطلقت مرتين .

وقال رئيس الوزراء :

ـ ان زوجة الملك تصبح ملكة .. وهذا هو الثمن الذى يجب أن يدفعه الملك فان اختياره لزوجته ليس أمرا خاصا به وحـــده بل أن صوت الشعب يجب أن يكون مسموعا .

فهم الملك على الفور أن رئيس الوزراء لا يعارض فى أن تبقى « واليس » صديقة أو عشيقة للملك .. أما أن تكون زوجته فهذا مستحيل !

ومن الغريب ان بولدوين فى مستهل حياته رغب في أن يكون من رجال الدين لولا أن أباه عارض ذلك بشدة وأصر على أن يكون ولده سياسيا محافظا مثله .

أشار الملك فى حديثه ، من بعيد ، الى أنه اما أن يتزوج او يرحل .

لم يعلق رئيس الوزراء كثيرا على الموضوع واكتفى بأنه سيعرض الامر على مجلس الوزراء .

أسرع الملك فى المساء الى أمه وشقيقته قائلا :

ــ أريد أن أتزوج حبيبتى .

ردت الأم :

ــ ان الطلاق مرة واحـــدة مصيبة اما الطلاق مرتين فكارثة .. وانت تريد أن تتزوج سيدة طلقت مرتين !!

***

دخلت الحرب بين الملك ورئيس وزرائه معركة جديدة .

أخذت الصحف الموالية « لبولدوين » تقـــذف الملك بقنابل الاعماق ..

انها لا تكتب عن الغرام الملكى أو عن طلبات الزواج العرفى أو غير العرفى التى يقدمها ادوارد الثامن لرئيس الوزراء .. ولكنها ــ أى الصحف ــ تحاول هز أعصاب الجالس على العرش وتوحى للناس ــ بالاشارة ــ انه لا يصلح لمنصبه .

وفى ٢٣ نوفمبر نشرت « الديلى ميل » مقالا بعنوان « تناقض » .. تحدثت عن نشاط الملك وقارنت بين عطفه على العمال العاطلين فى جنوب ويلز فى حين ان الحكومة لا تبدى اهتماما نحو هؤلاء العمال .

وكان هذا المقال دافعا لحملة شـــنتها التايمس على « ادوارد الثامن » فخلعته عن عرشه .

كتب « دوسون » فى اليوم التالى مقالا رد فيه على « الديلى ميل » وأشار الى أن عطف الملك على العاطلين يعتبر مخالفا للدستور ، لانه يوجد هوة بين الملك والوزارة .. فوزراء الملك هم مستشاروه . واذا استمر الخلاف فستنشأ أزمة دستورية خطيرة . ان الملك زار المنطقة لنفسه فقط وليقوم بتحقيق شخصى فحسب » .

وطلعت « التايمس » فى ٢٥ نوفمبر تحمـــل فى افتتاحيتها على الملك بشأن تعيين حاكم لاتحاد جنـــوب أفريقيا ، ومع ان المقال تضمن ترحيبا وتأييدا للحـــاكم الجـديد .. الا ان الصحيفة انتهزت الفرصة لتقـول « ان العرش وممثليه يجب أن يبقوا على الدوام فـوق الفضائح الشخصية وبعيدا عن سخرية الرأى العـــام ولومه واستهزائه » .

ويفهم صاحب الجلالة ..

... يضيق بالمقال ، ولكنه لا ينطق بحرف والا فضح نفسه .

وترد الصحف الناطقة باسم الملك والمدافعة عنه والمؤيدة لقصة حبه .. والراغبة فى زواجه من حبيبة قلبه .

جريدة « الديلى ميرور » تنشر أسبوعيا بابا جديدا عنوانه ـ « مليكنا هـذا الاســبوع » تقول انه تسجيل لاخبار الملك أسبوعيا .

وفى أول (باب) تكتب « الميرور » : « الحكومة لا تهتم بالمناطق المنكوبة بالبطالة .. الا ستين دقيقة ، فقد قطع

رئيس الوزراء عشاءه واجتمع بالملك ليبحث حالة الذين ليس لديهم عشاء على الاطلاق » .

ويفهم رئيس الوزراء .. ولكنه أيضا لا ينطق والا فضح المؤامرة الواسعة التى تحاك خيوطها ببراعة ضد الملك !

واذا كان أصحاب الصحف الكبرى قد فرضوا على انفسهم رقابة اختيارية فان الصحف الصغيرة لا تلتزم بذلك ..

... تكتب مجلة اسمها « الاسبوع » ان أمريكا مليئة بالاشاعات التى تقول ان صاحب الجلالة سيتزوج « واليس » .. وهذه الأشاعات كلها غير صحيحة .

ويعرف الملك ما تعنيه « الاسبوع » ويبعث رسولا خاصا الى صاحبها يعرض عليه أن ينشر القصة كلها ويعد الملك تسليم « الاسبوع » كل الاسرار ، وكل الوثائق ..

ويقرر صاحب المجلة اصدار عدد حافل يوزع باليد اذا صادر البوليس النسخ الموجودة مع الباعة .. ولكن الملك فى آخر لحظة يعدل عن قراره ويبعث للمجلة قائلا : « الموقف يتطور بسرعة .. والنشر غير مطلوب » !

كان الملك مترددا بين النشر والصمت .. كان يتصل فجأة بمجلة يسارية ناجحة هى « النيو ستيتسمان » يطلب اليها الوقوف معه من الناحية الدستورية ..وفجأة يقرر ان النشر سيثير غضب الوزارة وبالتالى تبدأ الحملة الصحفية فى بريطانيا ضد « واليس » ولذلك يعدل عن النشر .

واجتمع مجلس الوزراء يوم ٢٧ نوفمبر لبحث اقتراح

الملك بأن يتزوج مسز « سيمبسون » زواجا عرفيا مادام المجلس ووزراء الدومنيون يعارضون فى الزواج من سيدة مطلقة .

نشرت بعض الصحف ان المجلس سيبحث تطورات الموقف مع اسبانيا ، ولكن جريدة « المانشستر جارديان » اكدت فى اليوم التالى ان المجلس بحث مسائل داخلية لا خارجية .

ولم تنشر بالطبع ان المجلس رفض الموافقة على الزواج العرفى .

وتتفجر الازمة دفعة واحدة .

فجرها رجل لم يسمع فى حياته باسم « واليس » ولا يعرف شيئا عنها أو عن غرامها بالملك .

***

ثارت مناقشات حامية بين الكنائس حول حفل تتويج الملك المقرر اقامته فى مايو ١٩٣٧ .

بعض رجال الدين يطالبون بتغيير الحفل وجعله مناسبة دينية خالصة .

وفى شمال انجلترا وقف الدكتور بلانت اسقف « بدفورد » يقول فى اجتماع كنسى يوم أول ديسمبر سنة ١٩٣٦ :

« ان التتويج معناه عودة الدولة للدين .. ونحن الآن احوج للدين من أى وقت آخر .

ولا يوجد مسيحى مخلص يحس بالراحة وهو يرى مسلك بعض حكام أوربا وابتعادهم عن الدين .

والتتويج عملية دينية ومناسبة دينية ولا يوجد انسان يتلقى البركة فى هذه المناسبة .. الا اذا كان عامر

القلب بالدين .. والملك فى حاجة الى رعاية الله ورحمته ليؤدى واجبه .

انى أطلب « البركة » للملك وأرجو منكم أن تطلبوها معى لصاحب الجلالة فسيحتاج اليها بشدة .

وآمل أن يكون الملك واعيا لحاجته للرحمة الالهية وللعطف الالهى .. وان كنا نتمنى لو أنه أظهر بعض ما يدل على وعيه وارادته » !!!

ولم يكن الاسقف قد سمع باسم مسز « سيمبسون » أو عرف شيئا عن علاقتها بالملك ، بل كان يقصد – كما عرف فيما بعد – ان الملك لا يهتم بشئون الكنيسة . ولا يذهب اليها بانتظام كما اعتاد آباؤه واجداده !

نشر خطاب الاسقف فى صحف انجلترا .

ولم تعلق صحف لندن على ما جاء فيه ، ولكن « التايمس » كتبت افتتاحية طويلة ، تكلمت فيها عن الاستقبال الرائع الذى لقيه ولى العهد « دوق يورك » – الذى ولى العرش بعد ذلك تحت اسم جورج السادس – عند زيارته لاسكوتلندا !

واتصل اللورد « بيفر بروك » بالملك وقال له ان الصحف الاقليمية ، التى تقودها « اليوركشير بوست » – التى تنطق بوحى رئيس الوزراء – تنتهز فرصة نشر أقوال الاسقف فى صحف الصباح لتنشر أنباء رغبة الملك فى الزواج واصطدامه بالحكومة لهذا السبب .

ولم يستطع الملك أن يفعل شيئا ..

كان خطاب الاسقف بمثابة عود الكبريت الذى القى فوق برميل البارود المشحون .

استمع آرثرمان رئيس تحرير جريدة « يوركشاير بوست » الى الخطاب وظن ان الحكومة اختارت الدكتور « بلانت » لاثارة الازمة وارغام الملك ، بهذه الطريقة ، على التنازل عن العرش .

كلف رئيس التحرير - فى اليوم التالى - احد محرريه واسمه « شارلس تيلور » ليكتب مقالا عنوانه « الملك والشعب » .. جاء فيه :

« لابد ان للأسقف سببا قويا جعله يدلى بهذه الملاحظة حول الملك .. ان كثيرين يعرفون ان اشاعات كثيرة نشرت فى أمريكا عن الملك . نشرت هذه الاشاعات ، فى أول الامر ، صحف الاثارة ثم كتبتها صحف أخرى لها شأنها ، مما يدل على ان هناك أساسا صحيحا لما نشر .

هناك فرصة امام الملك ليظهر ادراكه للمسئولية الخطيرة التى حملها بعد أبيه .

يوم الخميس ٣ ديسمبر تفجرت حملة الدعاية عن غرام الملك فى انجلترا كلها .. لاول مرة .. صدرت الطبعتان الاولى والثانية من « الديلى ميرور » .. دون أن يذكر فيها اسم « سيمبسون » ثم جاء « هارى جى بارثليميو » رئيس التحرير الى مقر الجريدة مرتديا « البيجاما » ليتخذ قرارا خطيرا .. وهو نشر صورة صديقة الملك فى الطبعة الثالثة .. وكانت « الميرور » أول صحيفة تقرر المضى فى النشر بغير تلميح وانما بكل جرأة ..

وقالت « النيوز كرونيكل » من حق الملك أن يتزوج . ولكن البرلمان هو الذى يختار الملكة ، وليس امام الملك اذا اختار زوجة لا يرضى عنها الرأى العام .. الا ان يتزوجها بصفته دوقا ، ولن يكون ولدها فى هذه الحالة وليا للعهد .

ونشرت « الايفننج ستاندارد » ان القانون الانجليزى لا يعرف الزواج العرفى .. وأضافت الصحيفة : « ان صاحب الجلالة هو الذى يعلم اذا كان فى استطاعته أن يقف فى وجه بولدوين ووزراء التاج اعتمادا على تأييد الراى العام له » .

وقالت جريدة « ستار » : « يمكن التغلب على كل معارضة تقف فى طريق الزواج » .

ونشر « هارولد لاسكى » مقالا فى « الديلى هيرالد » تحت عنوان « التاج والوزارة » .. عرف فيه الملكية الدستورية فى انجلترا ، ونادى صراحة بأن الوزارة هى التى توجه الملك . وينبغى عليه أن يقبل نصحتها .. لانها مسئولة عن كل ما يفعله .. واذا عارض الملك الوزارة فاما أن يعتزل العرش أو يصبح دكتاتورا .

واقترحت « الصانداى اكسبريس » تغيير الوزارة لاصدار تشريع بالزواج العرفى ، ونادت « الصنداى ديسباتش » بأن العصابة القديمة من السياسيين خشيت وجود ملك قوى يسانده الشعب .. وسيعيش الحياة التى يحبها .

وهكذا انقسمت الصحف بين مؤيدة ومعارضة فى بحوث هادئة .. الا « التايمس » فانها استمرت تهاجم

الملك من البداية ولم تعدل عن رأيهـــا كما فعلت بعض الصحف الاخرى .

اتصل الملك برئيس الوزراء ، وقال له انه علم بأن « التايمس » سوف تنشر مقالا عنيفا تهاجم فيه مسز « سيمبسون » .. وامره بمنع النشر .

اجابه « بولدوين » بأن الصحافة حرة ، وليس لدى رئيس الوزراء سلطة أو رقابة على « التايمس » أو اية صحيفة أخرى ..

واتصل الملك برئيس الوزراء مرة اخرى وطلب اليه أن يطالع هو - أى بولدوين - مقال « التايمس » عنه ، للصداقة التى تجمع رئيس التحـرير برئيس الوزراء . ولكن بولدوين نام بعد أن تأخر وصول المقال اليه .. وعندما أتى به الرسول الى منزله لم يستطع أحد ايقاظه .

كتب « دوسون » بعنوان : « الملك والملكية » .. مشيرا الى شائعات الصحف الامريكية وقال فى جراة : « ان الزواج غير متكافىء مع العرش ، وان النظـــام الملكى أبقى من شخص الملك فقد حان الاوان ليذيع الملك بيانا .. والا تحطمت الملكية » .

وعارض الزواج ، ونادى : « العرش أو المرآة » .

وكانت هذه اول دعوة من نوعها يوجهها صحفى فى انجلترا .. الى ملك انجلترا .

وفى اليوم التالى قال « دوسون » ان مجلس العموم يؤيد الوزارة .

وكتب فى افتتـــاحية « التايمس » تحت عنوان « الملك والامبراطورية » : « ان الحكومة اضطرت للتدخل

بسبب الفضيحة التى انتشرت فى الخارج عن علاقة الملك بصديقته » .

ودافعت « الديلى ميرور » عن الملك ، وكتبت تقول : « ان ٢٥ مليونا بريدون أن يعرفوا شروط الملك » ،وقالت: « ان الصحف الامريكية سممت الرأى العام العالمى ضد الملك ، واتهمت الحكومة بأنها التى وضعت صاحب الجلالة فى هذا الموقف الحرج » .

ودافع « بيفربروك » و « هارمثورث » و « برنارد شو » عن « ادوارد الثامن » دون جدوى فان «التايمس» عارضت بقوة الزواج العرفى ، وقالت : « سيعدل الدستور ليبيح للملك الزواج من امراة لا تستحق أن تكون ملكة » .

***

بدات الاسهم تهبط فى بورصة انجلترا ..

وانخفضت مبيعات المحلات التجارية .. وكانت ، دواما ، تسجل رقما مرتفعا قبل أعياد الميلاد .

واصبحت الصحف لا تتكلم الأ عن غرام الملك وزواجه .

وكانت عناوينها الرئيسية قبل ذلك عن الحرب الاهلية الاسبانية واعادة التسلح وعصبة الامم وحرب الحبشة .

وفى أمريكا قالت الصحف أن انجلترا شغلت بغزو الملك لقلب « واليس » بينما انصار « هتلر » يغزون اسبانيا !

وجد بولدوين فى خطاب الاسقف هبة من السماء .

استدعى الملك رئيس وزرائه ليطلب منه حفظ الفضيحة فى أضيق نطاق ..

تم الموعد بطريقة سرية عن طريق عامل لاسلكى القصر وسكرتير رئيس الوزراء بدلا من الرسميات والاجراءات المتادة .

سأل الملك رئيس وزرائه عن رأى حكومات الدومنيون فى فكرة الزواج العرفى .

فأجاب رئيس الوزراء :

ـ لا أحد يقر فكرة هذا الزواج ولا حل الا ان تترك فكرة الزواج أو تعتزل العرش .

ورد الملك :

ـ لم أستبعد هذا الرد .

قال رئيس الوزراء :

ـ انك تخيب أمل الناس فيك .

قال الملك :

ـ ان « واليس » اجمل امراة فى العالم .

قال رئيس الوزراء :

ـ أرجو أن تراها كذلك دائما يا صاحب الجلالة ! .. ومهما حدث أتمنى لك السعادة .

روى « بولدوين » بعد ذلك ما حدث فى اجتماعه بالملك . قال :

ـ احسست بأن هذه السيدة تسيطر على الملك الذى ظل صاحب الجلالة يردد بمناسبة ..وبدون مناسبة .. .. انها أجمل امراة فى العالم !

ولم يقل بولدوين انه كان يصارع مسز « سيمبسون » لا الملك .. وأن الصراع بينه وبينها كان يدور حول أيهما يسيطر على الملك ؟

قرر الملك أن يعتزل العـــــرش فى هدوء ليتزوج « واليس » .

ولكن أصدقاءه نصحوه بأن يقاتل ويحارب ... قالوا له : خاطب الشعب أنه يحبك .

قرر الملك ان يذيع حديثـــا فى الراديو يروى فيه القصة من الالف للياء .. وان يكون هذا الحديث بمثابة استفتاء على « واليس » .

أوفد ادوارد الثامن أحد مستشاريه الى « ريث » مدير الاذاعـة ليقـول له ان الملك يريد اذاعة حـديث للشعب .

وكان مدير الاذاعة متدينا أكثر من بولدوين ، لا يذيع اغانى أو موسيقى راقصة يوم الاحد .. وكل الاحاديث فى ذلك اليوم دينية .. وهدد يوما أحد موظفيه بالفصل اذا جاء اسمه فى قضية طلاق .

.. وكان رد مدير الاذاعة على الملك هو :

ـ لا مانع من اذاعة الحديث بشرط موافقـــــــة « بولدوين » .. !!

عرض الملك فكرة الحديث الاذاعى على « بولدوين » فقال له :

ـ ان الملك لا يخاطب الشعب الا عن طريق وزرائه .. ويجب أن أعرض الامر على مجلس الوزراء .

.. اجتمع مجلس الوزراء ليقرر بالاجماع منع الملك من الحديث فى الراديو .. وأبلغ بولـدوين القرار .. للملك .. فكاد يجن بينما قال له رئيس الوزراء :

ـ أريد أن ترحل فى وقار بدلا من ان تترك الناس وراءك منقسمين !

كتب ادوارد الثامن فى مذكراته بعد ذلك يقول « وقف الناس حول القصر يحملون لافتـــــات تنادى بسقوط الاساقفة وتقول : حفظ الله الملك من مستر بولدوين ..

فكرت فى أن أخرج للشرفة وأخطب فى الجمـــوع القليلة التى تقف أمامى .. وكدت أخرج فعلا الى الشرفه لولا ان « واليس » أقنعتنى بالعدول » !!

وكان تشرشل قد أعد الحديث الذى سيلقيه الملك فى الاذاعة وكلماته تقول :

وجدت المرأة التى أحبها وأريد أن أتزوجها .. وهى لا تطلب أن تكون ملكة .. انها تكتفى بأى لقب مناسب !

واجتمع مجلس العموم ليبحث اقتراح عضو فى حزب العمال ، وهو نائب سبق له الطـــــلاق بتجديد الولاء للملك . ويطالب بعدم تهديد الملك أو استبداله بآخر الا بعد الرجوع للمجلس .

رفض بولدوين .. ووقف اللورد « اتلى » زعيـــم المعارضة يسأل رئيس الوزراء :

ـ هل هناك مشاكل دستورية تواجه الحكومة ؟

ويجيب بولدوين :

ـ ليس عندى أى بيان أقوله الآن .. لا توجد مشكلة فى الوقت الحاضر .. لا أستطيع ان أجيب .. سأتكلم فيما بعد .

ويقف تشرشل ليقول :

ـ هل يستطيع رئيس الوزراء أن يعطينى تأكيدا بأنه لن يتخذ اجراء لا يمكن العدول عنه الا بعد عرض الامــر على المجلس .

وترتفع الاصوات من كل مكان تهاجم تشرشل :
ـ اقعد .. اجلس .. انزل .. لا تتكلم .
ويجلس تشرشل صامتا على مضض !
بينما يتوجه بولدوين لدوق يورك شقيق الملك ليقول له :
ـ كن مستعدا لتجلس على العرش اذا تنازل صاحب الجلالة .. اخوك !
ويشهد تشرشل اجتماعا عاما مساء نفس اليوم يقول فيه :
ـ سننشد الليلة « حفظ الله الملك » .. وسأنشده معكم بقوة اكبر !
وتكتب الصحف المؤيدة للملك بأن امبراطور النمسا ـ فرانسيس جوزيف سيتزوج عرفيا من السيدة « شرات » .

وترد « التايمس » ان ملوك أوربا يتزوجون عرفيا لانهم ملزمون بالزواج من اسر معينة .. ولا يوجد هذا الالزام هنا .

وجه اتلى زعيم المعارضة سؤالا لرئيس الوزراء عما نشرته الصحف عن الزواج العرفى فيقول بولدوين :
ـ ان السيدة التى يتزوجها الملك تصبح بمقتضى هذا الزواج ملكة تتمتع بكل الحقوق والامتيازات التى يخولها لها مركزها .. ولنمنع ذلك لابد من قانون يقر هذه الحالة الخاصة اى الزواج العرفى ـ ولست مستعدا .. لا أنا ولا رؤساء وزارات الدومنيون ولا المعارضة ان نقدم للمجلس قانونا يسمح للملك بالزواج العرفى .

وتكتب أكبر محررة نسائية وهى الين ويلكنسون ـ وقد تولت الوزارة فيما بعد ـ مقالا فى جريدة « الديلى هيرالد » العمالية تقول فيه ان الزواج العرفى معناه ان تحمل هذه المرأة فى وحدتها شعورا واحساسا بأنهـــا لا تصلح ملكة !!

وتقول الصحفية ان الزواج العرفى ضد كرامة المرأة وضد الاشتراكية .

ويجتمع أصدقاء الملك « بواليس » .

قالوا لها :

ـ ارحلى .. ســـــافرى مؤقتا .. هذا هو الحل الوحيد .

وتسافر مع أحد مستشارى الملك الى فرنسا تحت اسم مستعار .. ولكن الناس يكتشفون شخصيتها .. وفى احدى مدن فرنسا يقول رجل فرنسى :

ـ الست .. هيه !!

وتتوقف « واليس » فى كل مدينة لتتصـــــل بالملك تليفونيا .. تنصحه بالصبر وتهمس بأنها تحبه .

ويسمع الجرســـونات ويذيعون ما سمعوه .. أو بعبارة أخرى يبيعون ما يتخيلون ان الملك قد قاله .. وتنشر الصحف وتبالغ ..

وفى غيابها ينهـــار الملك تماما . ويفقد قدرته على المقاومة . ويجتمع الصحفى اللورد بيفر بروك بتشرشل ويقول له :

ـ « الديك » لا يريد ان يحارب !

ويطلب الملك من « بولدوين » اصدار قانون خاص بأن

طلاق « واليس » أصبح نهائيا دون انتظار فترة الستة شهور التى ينص عليها القانون .. وذلك مع قانون آخر باعتزال الملك العرش برضاه وموافقته .

ويقول الملك انى بمجرد اعتزالى العرش سأصبح واحدا من الاسرة المالكة تسرى على قوانينهـــــا التى تقول بأن زواجى يجب أن يوافق عليه الملك .. ولا أريد الزام أخى بشيء .. وأخشى أن يتدخل أحد فيوقف سريان حكم الطلاق خلال الشهور الستة .

ويجمع بولدوين مجلس الوزراء ويقرر الجميع رفض اصدار القانون المطلوب .

ويصدم الملك .

***

من كان أبرقت مسز « سيمبسون » تقول أنها على استعداد للرحيل والانسحاب من هـــذا الموقف المؤلم وأصدرت بيانا نشرته جميع الصحف هذا نصه .

« حاولت خلال الاسابيع الماضية بكل ما أوتيت من قوة ، أن أبتعد عن كل شيء من شأنه أن يمس جلالة الملك ، أن يمس عرشه بأذى .. أنى لا أزال كما أنا لم يغير الموقف الجديد شيئا من احســـــاسى نحو الملك والعرش ، انى على استعداد لان أقوم بأى عمل لحل هذه الازمة ولهذا فانى أعلن انســحابى من هذا الموقف الذى لم يؤد الا التماسة والازمة » .

وتلقفت صحف الملك هذه البرقية واعتبرتها حلا . ونشرت ذلك بعناوين رئيسية توحى بأن كل شيء قــد انتهى وطلبت اعطاء صاحب الجلالة فرصة .

وهللت جريدة « الديلى ـ اكسبريس » التى يملكها اللورد بيفر بروك لبيان « واليس » فكتبت عنوانا عريضا يقول :

« نهاية الازمة » .

ولكن « « جوفرى دوسون » كتب مقالا ينضح سخرية يعلن فيه ان الموقف لم يتغير .. وان الحل يأتى من قلعة « بلفدير » حيث يقيم الملك ، لا من « كان » حيث تقيم صديقته !

واستمرت الحملة اسبوعا واحدا ، ظهر الملك من خلال سطور التايمس وأعمدتها كرجل عابث مستهتر ، سيؤدى وجوده الى تفكك عرى الامبراطورية .. مما اضطر الملك الى اعتزال العرش . لان رئيس الوزراء وجد صحفيا ـ هو صديقه وزميله في النادي ـ يقف وراءه ضد رغبة الملك فى الزواج من المرأة التى يحبها .

وصف ادوارد الثامن شعوره وهو يطالع التايمس فى هذه الايام السبعة فقال :

« حملت جريدة التايمس على شخصى فى لهجة تختلف كل الاختلاف عن ذلك الاسلوب المهذب الذى كانت تسلكه كلما تحدثت عن الملك الشاب ، بل تناست كل المديح الذى كالته لى » .

وقال :

« تحولت الصحافة المعتدلة فى يوم واحد الى صحف مندفعـــة تردد فى قسوة ما يوجهه رئيس الوزراء مـن الاتهامات الى الملك » .

واعترف « دوسون » فى مذكراته ـ وقد نشرت فى

كتاب وضعه صديقه « جون ايفلين رينش » .. « انه فى تلك الفترة اجتمع برئيس الوزراء أكثر مما اجتمع به اي صحفي آخر .. وان صحف انجلترا جميعها كانت فى انتظار اعلان اتجاه التايمس لتتبعها » ..

ووجد ستانلى بولدوين رئيس الوزراء ان البيان الذى أصدرته « واليس » من « كان » وأعلنت فيه استعدادها للانسحاب .. هـذا البيان لا يغير من حقيقـة الموقف شيئا وان أدوارد الثـامن يجب أن يعتزل لان انسحاب « واليس » وحدها لا يكفي . لقد هدمت سمعة الملك وانهارت كرامته وأصبح من المحتم عليه أن يرحل .. الى الابد ..

بدأ أنصار « بولدوين » يتخـذون خطوات سريعة وحاسمة ..

اجتمع جوفرى دوسون رئيس تحرير جريدة«التايمس» بأرنست سيمبسون « الزوج السابق للسيدة واليس » .

وبدأ مجلس العموم يبحث تعديل قانون الطلاق للنص على أنه يجوز الحكم بالطلاق اذا ارتكب أحد الزوجين خيانة مستمرة .. اما الخيانة لليلة واحـدة فلا تعتبر مبررا كافيا للطلاق !!

وفى نفس الوقت تقدم كاتب محام اسمه « فرانسيس ستيفنسون » الى القضاء ببلاغ قال فيه انه يعـارض ويعترض على الحكم بالطلاق الذى صدر لصالح السيدة « واليس » . ومعروف ان حكم الطلاق لا يسرى الا بعد ستة شهور .. اذا لم يتقدم معترض قانونى خلال تلك الفترة .. وها هو ذا معترض قد تقدم .

وانهارت أعصاب الملك وهو يسمع نبأ البلاغ بعد ان عرف ان الكاتب يعمل فى مكتب محام اعتاد « بولدوين » أن يعهد اليه ببعض شئونه القانونية الخاصة .

وأدرك ادوارد الثامن ان « واليس » لن تصبح فى يوم من الايام زوجته سواء ترك العرش أو ظل جالسا عليه .

واستمر بولدوين يضرب فى كل اتجاه ..

أوعز الى محامى « واليس » بالسفر الى « كان » لاستشارتها فى بلاغ الانسحاب .. وكلف بولدوين المحامى بأن يعرف هل « واليس » تزمع الانسحاب حقيقة أم انها مناورة جديدة .

أعد رئيس الوزراء طائرة خاصة يستقلها المحامى فى رحلته الى « كان » .

ولما كان المحامى مريضا ويخشى على قلبه فقد أوفد رئيس الوزراء معه طبيبا خاصا لعلاجه اذا استدعى الامر .. وكان الطبيب متخصصا فى « أمراض النساء والولادة » .. ولم يعرف حتى الآن ما اذا كان اختيار هذا الطبيب تم مصادفة أم ان « بولدوين » تعمد هذا الاختيار لاثارة ضجة جديدة وفضيحة جديدة لصديقة الملك ! ..

... وبالفعل قامت ضجة لم تخطر للملك على بال .

وصل الطبيب الى « كان » . وعرف الصحفيون أن القادم طبيب بريطانى لامراض النساء والولادة .. وجنح الخيال بعض الصحفيين فقالوا ان مرافق الطبيب ـ أى كاتب المحامى ـ لابد انه طبيب تخدير .. ومعنى ذلك

ان الاثنين قادمان لاجراء جــــراحة عاجلة للســـيدة « واليس » .

باختصار .. كانت تلميحات الصحفيين قاسية وعنيفة ومؤلمة حطمت ما بقي من أعصاب الملك وهو يقرأ انه رأى ان يتخلص من « ثمرة » الغرام !!

اتصل ادوارد الثامن « بواليس » ليقول لها أنه مصمم على التنازل على العرش وان الاجراءات مستمرة .

وترك الملك سماعة التليفون لمحاميه الخـــاص ليؤكد « لواليس » النبأ ويطلب اليها انتظار صاحب الجلالة ..

ورغم هذا كله قصد « بولدوين » الى القصر ليقابل الملك ويقول له :

ـ ان الوزراء يرجون أن تعدل عن الزواج وكـذلك التنازل عن العرش .

وفهم الملك ان وزراء انجلترا عازمون على التمســك حتى النهاية بالتقاليد الشكلية وأنهم لا يعارضون بقـاء « واليس » صديقة وعشيقة .. فحسب .

وجد « بولدوين » أنه لم تبق فى الملك بادرة واحـدة تدل على روح القتال .. كان يدخن بافراط ســجائر أو « غليونا » ويضع رأسه بين ذراعيه . وينشر المنديل امامه ليجفف به العرق الغـــزير المتساقط فى شهور ديسمبر أو فى عز البرد !!

نشأت بعد ذلك مشكلة وراثة العرش .

اقترح البعض ان تجلس الام على العرش بدلا من ابنها العاشق واقترح آخرون مجلس وصاية برئاسة الملكة الام حتى تبلغ « اليزابيث » الملكة الحـالية سن الرشد ..

واتفق فى النهاية على ان يحكم انجلترا « دوق يورك » شقيق الملك الذى اسرع الى أمه يبكى كالاطفال قائلا :
ـ أخى مصمم على التنازل لى ..

***

عرف ان الملك سيتنازل على العرش فأخذت صحافة امريكا تهاجم انجلترا وتعتبر ما جرى اهانة لمواطنـــة أمريــكية وهى « واليس سيمبسون » .. بينما أصبح الامر سخرية فى انجلترا .. فقد شكت احدى الزوجات من أن زوجها اعتدى بالضرب وامام ضابط الشرطة تعهد الزوج بألا يتحدث مع زوجته عن « واليس سيمبسون » باعتبار ان المناقشة حول الموضوع هى سبب « العلقة » !

وفى صـــباح الخميس ١٠ ديسمبر ١٩٣٦ اجتمع مجلس العموم البريطانى لسماع وثيقة اعتزال الملك عن العرش .

بدات الجلسة بالطريقة الانجليزية المعتادة وبالبرود الانجليزى التقليدى .

أجاب الوزراء على خمسين سؤالا برلمانيا فى مسائل تافهة لم يستمع اليها أحد ... قبل أن يبحثوا مشكلة الجالس على العرش والذى يريد اعتزال العرش .

ثم وقف ستانلى بولدوين بعد ذلك ليقول ان عنده رسالة بخط صاحب الجلالة سلمها لرئيس المجـلس ، يعلن ادوارد الثامن انه لا يستطيع أن يقوم بواجبه ولذلك أعتزل العرش ليتولاه أخوه بدلا منه . وقد وقع على وثيقة التنازل أشقاء الملك الثلاثة ..

وروى رئيس الوزراء للمجلس قصـــة مقابلاته للملك والاحاديث التى دارت بينهما وأخذ ستانلى بولدين يؤكد أنه يحب صاحب الجلالة المستقيل .

وتكلم اتلى رئيس حزب العمال وسينكلير رئيس حزب الاحرار فأيدا رئيس الوزراء .

وارتفع صوتان فقط في مجلس العموم دفاعا عن ادوارد الثامن .

وقال أحد الاعضاء :

ـ هذا عيب .

وكان أول قرار للملك الجديد هو منح لقب دوق وندسور .. للملك السابق .

وكان ادوارد الثامن قد طلب ان يعطى لقب الاخ الاكبر للملك .. ولكن رفض طلبه .. كما رفض الملك الجديد منح أى لقب للسيدة واليس .

وطلب دوق وندسور أن يذيع حديثا بالراديو على الشعب البريطانى بمناسبة اعتزاله العرش فوافق رئيس الورزاء وأصر ـ طبعا ـ على ان يعرف نص الحديث .

وقد رأى أن يقدم الدوق للشعب مدير الاذاعة البريطانية « ريث » .. الذى قدم الدوق للناس ثم أراد أن يغادر الحجرة فاصطدم بمنضدة .. وعلقت بعض الصحف على ذلك فى اليوم التالى فقالت أن « ريث » .. أغلق الباب وراءه باحتقاره حتى لا يستمع الى صوت الملك الذى أهمل واجباته ورسالته ..

وكان أهم ما جاء فى خطاب الدوق أنه رأى استحالة قيامه بواجبه دون أن تكون بجواره المرأة التى يحبها ..

والحقيقة ان الملك ـ بخطابه ـ استطاع أن يسترد كثيرا من عطف الناس ..

توقفت دور السينما والمسارح أثناء اذاعة الحديث ليتابع الناس خطاب الملك ..

وفى بعض الدور تلا مديرو السينما والمسارح على الناس ملخصا للخطاب .

وفى نيويورك قالت أكبر شركة للتليفون انه لم ترفع سماعة التليفون فان الناس شغلوا بسماع الخطاب عن أى شىء آخر .

وفى مدينة « كان » جلست واليس تستمع لنهاية ملك وحولها كل خدم القصر ..

وكان اللورد « بيفر بروك » (يشد) شعره لان الملك شكر فى خطاب الوداع ستانلى بولدوين وأشاد بجهوده !

أما جوفرى دوسون فقد أعلن ان خطاب الملك كان مؤثرا ولكنه كتب فى اليوم التالى يقول :

« انتهت الايام السوداء » .

وجاء مقال « دوسون » ليعلن :

نحن نؤيد رئيس الوزراء لانه بقى فى منصبه يتحمل ضغطا قويا خلال الشهرين الماضيين .

ان دوق يورك — الملك الجديد — سيترك حياته المنزلية الهادئة ليتحمل قسوة الموقف الطارىء وهو أن يلى العرش بدلا من أخيه الحى ، ولكن الامبراطورية كلها تدعو له .

وهكذا أنقذت الصحيفة الامة من الانقسام بعد رحيل الملك ، لانها جذبت عواطف الجمهور نحو الملك الجديد .. المسكين !! لا الملك الضليل ، الشريد .. الطريد .

ولكن هل كان الشعب الانجليزى يعرف « دوسون » ويعلم انه الرجل الذى عزل ملكا عن عرشه .

وهل كان هذا الصحفى يكتب ليجد من الجمــــاهير تشجيعا واشادة بجهده كما يفعل الصحفيون فى كل مكان وفى كل زمان ..

يقول « دوسون » انه لم يوقع بامضائه خلال ربع قرن من عمله كرئيس لتحرير « التايمس » أى مقال بامضائه .

ولم يقل يوما كلمة « « أنا » اتباعا لسياسة الصحيفة وايمانا بمبدئها فى ان الكاتب المجهول كسب للشعب الذى يحصل على مناقشة حرة بعيدا عن الانانية التى يمكن فصلها عما يكتبه كاتب يذكر اسمه ..

ولذلك كانت نصيحة « دوسون » لكل صحفى هى .. « لا تهمك الشهرة ولا يعنيك أن تـكون معــروفا ، أو مجهولا . ولا تطالب بأن يعترف الناس بما حققت .. وانما المهم أن تحاول آداء الواجب وأن تفعل الحق .. وهذا وحده ينبغى أن يكون العامل المؤثر فى حياتك » .

***

غادر الملك دوق أندسور بلاده على ظهر اليخت «فيورى» ـ ومعناه الغضب ـ الى الابد ولم يعد مع واليس الى بريطانيا الا بعد وفاته ويومهــا ـ فقط ـ التقت الاسرة المالكة بزوجة الملك السابق .

ومرت السنوات وتكررت قصـــــة الغرام فى قصر باكنجهام .

اما البطلة فى هذه المرة فهى الاميرة مرجريت ابنة الملك الذى جلس على العرش بدلا من أخيه دوق وندسور . وهى فى نفس الوقت شقيقة اليزابيث الثـــانية ملكة بريطانيا .

كانت أول صحيفة فى انجلترا نشرت قصـــة غرام الاميرة « البيبول » الاسبوعية .

قالت ان الكابتن الطيار بيتر تاونسند يعمل فى القصر وقد تزوج وطلق ، وله طفلان أعطيت له حضانتهما .

وكتبت « البيبول » تقول :

« حان الاوان ليعرف الرأى العام حقيقة الاشاعات التى ترويها صحف أوربا وامريكا عن غرام الاميرة بالطيار وأنها تريد أن تتزوجه . ان هذه القصة كاذبة ولم يفكر احد فى هذا الزواج أو يسعى اليه ، وهو مستحيل .. وطالبت الجريدة باصدار بيان رسمى ينفى النبأ .

وكانت البيبول تكذب ان الاميرة أحبت الطيار وتحبه.

وكان يمـكن أن ينتهى الامر ببيان سـفير من قصر باكنجهام الملكى يعلن أن النبأ كاذب .

ولكن صحيفة « الديلى ميرور » وجـدت ان الامر لا يحتمل السكوت وانه يجب أن يعـــرف الناس كل ما يجرى ، حتى نبض القلوب وخفقاتها ، ولذلك أسرعت الصحيفة لتنشر أغرب واجرأ استفتاء من نوعه .

قالت تحت عناوين كبيرة :

« ... مطلوب رأيك ...

.. الـكابتن بيتر تاونسند ٣٨ سنة يحب الاميرة مرجريت ٢٢ سنة . ويريد الزواج منها فهل توافق على هذا الزواج ؟ » .

تلقت الصحيفة بعد أربعة أيام ٧٠ الف خطاب من القراء منهم ٦٧٩٠٧ أيدوا الزواج وعارضه ٢٢٣٥ .

ولكن صحافة انجلترا هبت صارخة تحتج على هذا الاستفتاء ..

وكتب بعض رجال الدين يقولون .. : « اننا نحتج على التدخل فى شئون الاسرة المالكة » .

فقد أحرجت « آلديلى ميرور » رجال الدين الذين لا يوافقون على زواج رجل مطلق .

وفتحت الجريدة بهذا العمل الباب على مصراعيه امام الاخبار المضللة .

واجتمع مجلس الصحافة البريطانى يوم ٢١ يوليو ١٩٥٣ ليناقش الامر ويبحث هذا الاستفتاء باعتبار إنه ضد تقاليد الصحافة البريطانية .

انتقد المجلس تصرف « الميرور » .

والجدير بالذكر ان رئيس المجلس اللورد « استور » المسئول عن جريدة « التيمس » أنذر ـ في صحيفته الاميرة بعد عامين من اجتماع المجلس بأن تترك الطيار أو تترك مكانها في القصر باعتبارها الوريثة الثالثة للعرش .

والجدير بالذكر ايضا أن رئيس تحرير جريدة « اليوركشير بوست » وهو عضو فى المجلس ايضا وجه نفس الانذار للأميرة بعد ٢٤ شهرا .

أما العضو الثالث فى مجلس الصحافة فكان يجب أن يكون المتهم لا القاضي لانه رئيس تحرير جريدة «البيبول» وهى أول جريدة نشرت نبأ غرام مرجريت .

... وظل حب الاميرة حديث الناس فترة ثم مل الناس الكلام عنه وقاطعت الصحف أخباره لان الاميرة بقيت خلال هذه الفترة مترددة .. تحزم أمرها يوما على الزواج ممن تحب .. وتتراجع ، يوما آخر ، تحت ضغط شقيقتها الملكة وزوجها ورجال الكنيسة .

ومضى عامان ارتفع خلالهما ترمومتر الحب .. وهبط حتى جاء وقت أصبح فيه محتما على الاميرة ان تختار بين قلبها وواجبها .. بين حبيبها ووراثة العرش حتى عادت من رحلتها فى البحر الكاريبى .

والتزمت الصحف البريطانية جميعا الصمت حتى بدأت جريدة « الصانداى بيكتوريال » احدى صحف مجموعة « الديلى ميرور » الجولة الثانية .

أعطت اشارة المرور الخضراء للصحف الاخرى عندما كتبت يوم ٦ مارس عام ١٩٥٥ تقول : « على الاميرة أن تختار » .

وطلبت « الميرور » من مراسلها فى بروكسيل ان يتحدث الى الكابتن « بيتر تاونسند » عن رأيه وموقفه .

قال الطيار للصحفى : « لا أريد أن أتكلم .. ان شخصا واحدا هو الذى يستطيع أن يتكلم الان .. هو وحده صاحب الكلمة ..وهى الكلمة الاخيرة » .. ويعنى بذلك الاميرة .

وللمرة الثانية فى قصة هذا الغرام ، عادت الصحف البريطانية تحمل على « الميرور » فقالت صحيفة الكنائس البريطانية « ان كل ما نشرته « الميرور » لا يدل على ان الاميرة تريد هذا الزواج .. ان كل ما قيل مجرد احداس وتخمينات .

ولم تجر مناقشات بشأن هذا الزواج مع الكنيسة ونحن نرى بعد رحلة الاميرة الموفقة ان ما نشر لا يتفق مع الكرامة فى شىء » .

ردت « الميرور » فقالت لا يوجد سبب فى الارض ــ

او حتى فى السماء — يمنع الاميرة من ان تكون الوريثة الثالثة للعرش اذا تزوجت .

ولكن الصحف ظلت تحمل على « الميرور » وتهاجمها وتنتقد كتاباتها .. واقتصر دفاع « الميرور » بأنهـــا لا تتحيز لزواج الاميرة من « تاونسند » ولا تعارض هذا الزواج . وانما كل موقف الجريدة يتلخص فى انهـا ترى أن الاميرة وحدها التى تختار وأن الحب الحقيقى هو الذى يجب أن ينتصر دون تدخل أحد .

وعلى هدى هذا الاتجاه قالت الجريدة تحت عنـوان ضخم « تحركى يا مرجريت .. استقرى .. اتخـذى قرارا لقد أصبحت فى الخامسة والعشرين » .

ووقفت باقى الصحف ضد الميرور وضد الحب فقالت « الديلى اسكتش » « القصة كلها من ألفها الى يائهـا كذب » ! ..

وقالت « النيوز كرونيكل » جريدة حزب الاحرار : « انحدرت الميرور الى أعماق بعيدة فى سوق الاخلاق على حساب فتاة لا تستطيع — بسبب مركزها — أن تدافع عن نفسها حتى لو أرادت ذلك » .

أما جريدة « اليوركشير بوست » فكتبت : « وافقت الملكة الام على لقاء بين الاميرة والعاشق » .

وصدر بعد ذلك بيان رسمى يقول ان ما جرى هو من شئون الاميرة الخاصة .

والغريب فى الامر انه بعد ذلك بشهور ، وعلى وجه التحديد فى شهر اكتوبر ، اتخذت الصحف المعـارضة « للميرور » موقفا يشبه موقف « الميرور » نفسه فقالت

اليوركشير بوست « ان مسألة ولاية العرش بحثت وهي مسألة تهم الناس جميعا والاثنان المعنيان بالامر ــ الاميرة والطيار ــ يواجهان مشـــكلة خطيرة ويجب أن يدركا مسئوليتها أمام الامة .. وان الخطـوبة قد تتم بعـد فترة » .

وكتبت « الديلى تلجراف » : يلتقى الطيار والاميرة ستة أيام كل اسبوع . ومعنى ذلك ان الاتفاق تم بشأن عقد الخطبة .. والتكهنات كثيرة وعلى أية حال فـلا ينبغى التعليق على الشئون الخاصة بالاسرة المالكة » .

وبدأت الصحف تلح فى ضرورة اصدار بيان رسمى .. واعلان أمر الغرام الملكى بصورة رسمية فقالت صحف اللورد « بيفربروك » : لا يهم من الذى يقرر نهاية هذا الغرام ولكننا وصلنا فى قصة الحب هـذه الى مرحلة ستصبح بعدها أضحوكة العالم كله .

وهكذا .. بعد عامين رددت الصحف كلمات «الميرور» فكتبت مجلة « الايكونومست » الوقورة : « ان الاميرة فى آخر لحظات رحلتها العاطفية .. وفى هذه اللحظات ينبغى أن تقرر موقفها بصفة نهائية فاذا أرادت أن تتزوج الطيار المطلق فالضمير الديمقراطى يحتم عليها أن تفعل ذلك .. ولكن الامر سيكون مؤسفا ومؤلما » .

وانتهى الغـــرام الملكى ببيان ملكى من القصر يوم ٣١ أكتوبر يعلن ان الاميرة اختارت واجبها وداست قلبهـــا ومشت فى موكب وراثة العرش بدلا من أن تمضى فى موكب الغرام .

وكان واضحا ان الاميرة تعرضت لضغط هائل وانها

ظلت تقاوم التيارات الملكية والكنائسية خلال مدة تزيد عن عامين ثم رضخت فى النهاية .

وعنـــدما أعلن قرار الاميرة وقفت صحيفة أخرى وقورة بجانب « الميرور » وهى مجلة «النيوستيتسمان» فقالت : « وظيفة الصـــحافة اطلاع الرأى العام على الحقائق ، والذين يريدون أن يحرموا الناس من حقهم الديمقراطى فى معرفة أخبار القلب الملكى مخطئون » .

وتزوجت مرجريت بعد ذلك .. أطاعت فى هذه المرة قلبها وتزوجت مصورا ينتمى الى أسرة الصـحافة .. ونزل القصر الملـكى على رأى الاميرة فالمصور رجل لم يسبق له الزواج .. أو الطلاق فرضيت عنه الكنيسة ثم رضى عنه القصر ومنحه لقبا .. ولم تسكت «الميرور» ولم تصمت أبدا بل هاجمت المصور لانه قبـــل اللقب وظلت سنوات تكتب اسمه العادى « تونى » وترفض أن تكتب انه الســـيد اللورد ؟! .. لان الصـــحيفة والمسئولين عنها كانوا يتمنون دائما أن تتزوج الاميرة واحدا من الشعب !!

وفرض الحب نفسه ، مرة ثالثة ، على الاميرة مرجريت أحبت رجلا ثالثا ، وطلبت الطلاق من المصور الصحفى .. وطلقت منه فعلا .. وبقيت بغير زواج تنشر الصحف بين الحين والحين تقلبات قلبها وأخبار غرامها باعتبارها أنباء عادية لا تهز العروش ..

أما دوق وندسور فقد بقى ٣٦ عاما حتى مات عام ٧٢ وهو يحب « واليس سيمبسون » !!

فهرس

صفحة

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٩١ ـ ٨٣
الترقيم الدولى : ٣ ـ ٠٥٣ ـ ١١٨ ـ ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول ـ الكويت ـ
الصفاة ـ ص. ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

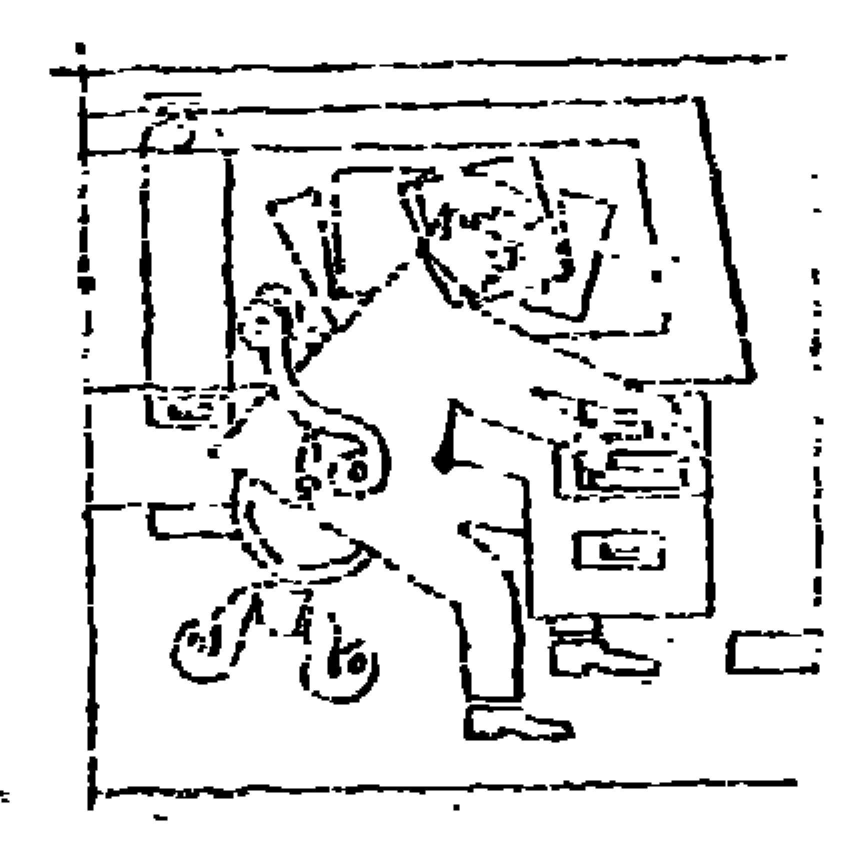
جدة ـ ص ـ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا : THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthrose Road
London S.E. 26 ENGLAND

البرازيل : S. Miguel Maccul Cury. R. 25 de Maroc. 990
Caixa Postal 7406, Sao Paulo. BRASIL.

اسعار البيع فى الخارج للعدد المتازفئة ٥٠٠ مليم :

سوريا ٩٠٠ ق.س ، لبنان ٩٠٠ ق.ل ، الاردن ٨٠٠ فلس ، الكويت ١١٠٠ فلس ، العراق ١٢٠٠ فلس ، السعودية ٨ ريالات ، السودان ١٠٠٠ مليم ، تونس ١٢٥٠ مليما ، المغرب ١٢٥٠ فرنكا ، الجزائر ١٢٥٠ سنتيما ، الخليج ٨٠٠ فلس ، غزة والضفة ٢٥٠ ليرة ، الصومال ٨٠ بني ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لاجوس ٨٠ بنس ، اسمرة ٦٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٨٠ بقي ، اديس أبابا ٦٠٠ سنت ، باريس ١٠ فرنكات ، لندن ١٠٠ بنس ، ايطاليا ١٥٠٠ ليرة ، سويسرا ٤ فرنكات، أثينا ١٠٠ دراخمة، فينا ٤٠ شلنا ، فرانكفورت ٥ ركات ، كوبنهاجن ١٥ كرونة ، استوكهولم ١٥ كرونة ، كندا ٣٠٠ سنت ، البرازيل ٤٠٠ كروزيرو ، نيويورك ٣٥٠ سنتا ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، استراليا ٤٠٠ سنت ، هولندا ٥ فلورينات .



هذا الكتاب

بدأ محسن محمد عمله الصحفى فى مدينة الإسكندرية التى شهدت ميلاد معظم الصحف الكبرى فى مصر خلال نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين •

انتقل بعد ذلك الى القاهرة حيث تولى عدة مناصب كبرى فى الصحف اليومية والأسبوعية • وهو يشغل حاليا منصب رئيس تحرير جريدة الجمهورية ويرأس مجلس ادارة دار التحرير ، وله الى ذلك نشاط أدبى شمل مجالات فكرية متنوعة ، من أهمها كتاباته التاريخية المعززة بالوثائق النادرة ، وقد كان لكتبه فى التاريخ والصحافة صدى واسع عميق لدى القراء فى مصر والبلاد العربية •

وقد أصدر كتابين عن الصحافة ، الاول : « حكايات صحفية » عام ١٩٥٤ والثانى : « الصحافة قصص ومغامرات » عام ١٩٨٢ •

وهذا كتابه الثالث يجول فيه بين صحف العالم يقدم قصص النجاح والفشل ، والعمالقة والأقزام ، وأشهر المعارك الصحفية والسياسية التى لعبت فيها الصحافة الدور الأول والأخير •

ومحسن محمد وهو يقدم كتابه هذا الى قارئه ، يقدم اليه مادة أدبية وصحفية ، وزاد فكريا ، بأسلوب سهل جميل شائق ، ويضيف الى المكتبة العربية كتابا جديدا هى فى حاجة اليه •

